مواقع النجوم

ومطالع أهلة الأسرار والعلوم

تأليف

الشيخ الأكبر والنور الأبهر سيدى

محيى الدين بن عربى

رضى الله عنه

تحقيق

محمد عبد الرحمن الشاغول

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

الجزيرة

للنشر والتوزيع

اسم الكتاب : مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلـــوم
اسم المؤلف :محيي الدين بن عربي
اسم المحقق : محمد عبد الرحمن الشاغـول
رقم الإيداع : ٨٣٧٦ / ٢٠٠٧
التاريخ : ٢٠٠٧/٤/١١
عدد الصفحات : ٢٠٠صفحة
تدمك : ٩٧٧ ٣١٥ ١٤٨
موضوع الكتاب : تصوف إسلامي
الناشـر : المكتبـة الأزهـرية
و الجزيرة للنشر والتوزيع
العنوان : ٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشـريف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه إلى يوم الدين، وبعد:

فهذا سِفْرٌ عظيم الفائدة جليل المرتبة، ألفه السيد الجليل والحبر الفريد سيدى الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى، ويقول عنه فى طياته: "وهذه الأسرار سترها أهل طريقتنا ونسترها كما ستروها، وإنما ذكرت هذا القدر منهـا تنبيهـا للقلـب المتعطش أن يعرف أن ثَمَّ مطلوبات غاب عنها، فعندما يقف عليه تحمله الهمة على طلبها فيأخذ فى الرحلة إليها، فربما يصل إليها إن شاء الله تعالى؛ فنجده فى ميزانى يوم القيامة إذ كنت المرشد له لنيل هذه المقامات، فنبهت عليها بهذا القدر وسـترت حقائقها وما حوى كل مقام منها، وسِرْ كما فعلت مشايخنا ــ رضــى الله عــنهم ــ تأسيا بهم ولو لم يكن على طريق التأسى، فإن المقام يعطى ذلك بنفسه".

وقال فى آخره: "انتهى الإلقاء والإلهام الروحانى، وقد علم كل قلب مشربه وأخذ كل سرٍ مطلبه، ووصلت الأعضاء بالإنضاء إلى حضرة التقريب والارتضاء من غير تناهٍ ولا انقضاء".

فبان لك بذلك لأى شيء ألف كتابه هذا، وفيما ألفه، وأنـه يتحـدث عـن المقامات والأسرار وأحوال العبد بين ذاك وذلك. وقد عملت على التالى:

ضبط نصوص المخطوط ما أمكن واستعنت بنسخة مطبوعة أحيانا كثيـرة لرداءة خط المخطوط وانطماس كثير من المواضع فيه، وخرجت الآيات الكريمـة،

وعلقت على بعض اصطلاحات السادة الصوفية فيه، وبعض المواضع التى احتـــاج المقام لذلك، وتعرضت لذكر أوزان كثير من الأبيات الشعرية، وترجمت لمصـــنفه وهو غنىٌّ عن الترجمة والتعريف لشهرته شرقا وغربا، وقدمت لـــه بهـــذه النبـــذة اليسيرة.

والحمد لله تعالى أولا وآخرا، جابر الخلل، ومجيب من كـــان لـــه أمـــل، والهادى إلى الصراط المستقيم بإذنه.

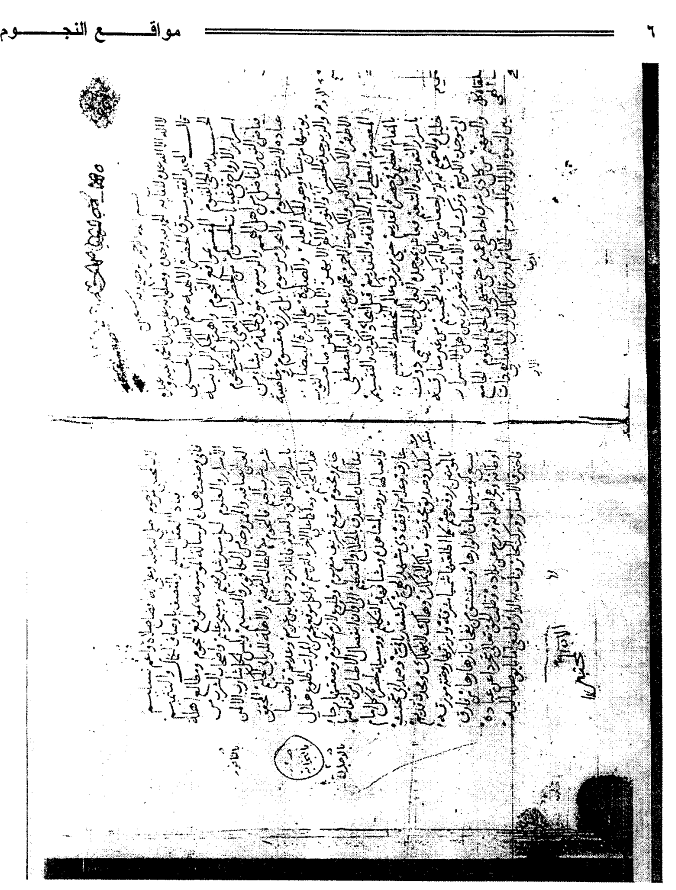
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المحقق

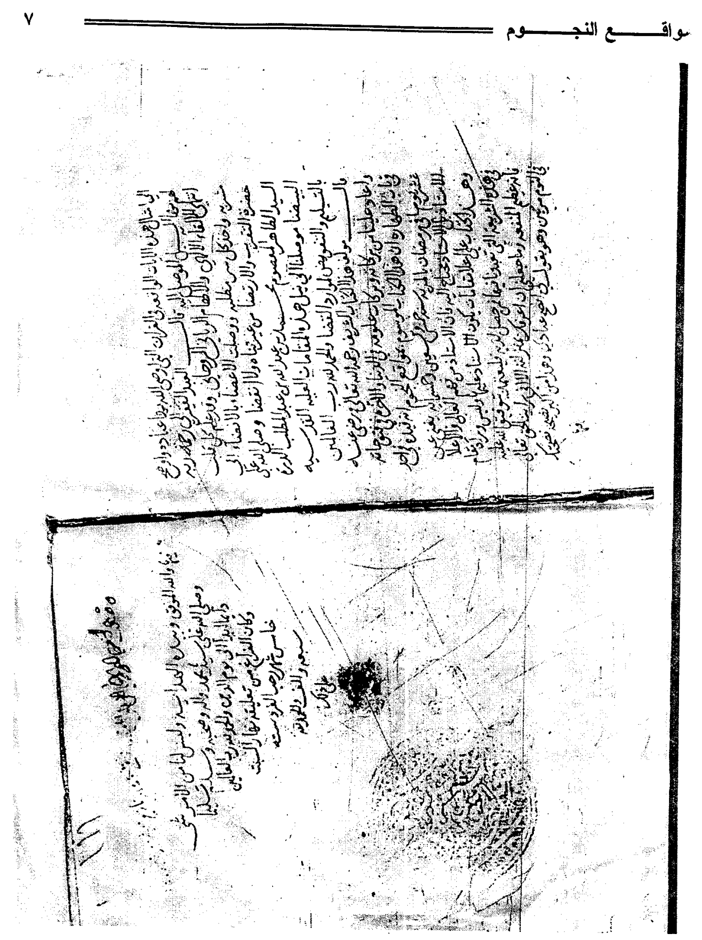
محمد عبد الرحمن الشاغول

وصف المخطوط

يقع مخطوط الكتاب تحت رقم (٢٧٧٩) تصوف، وذلك بدار الكتب القومية، وعنوانه: "مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم"، وعدد أوراقه (١١١) ــــ مائة وأحد عشر ورقة، ويقع فى الصفحة الواحدة حوالى (١٧) سبعة عشر سطرا، إلا أن خطه عاديٌّ، وفيه تصحيفات، وبدا الخط رديئا فى أكثره.



صورة الصفحة الأولى من المخطوط



صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله إلا الله عُدَّةٌ للقائه وبه نستعين، الحمد لله وحده وصلواته على سـيدنا محمد نبيه وعبده. قال العبد الفقير مُسْتَرَقُ الحضرة الإلهية[١] ختم الله له بالحسنى:

الحمد لله الحى القيوم المقْسِم بمواقع النجوم، واهب الحكم الربانية أسـرار الأرواح فى غيابات الجسوم، من الحضرات العُلى إلى تحت النجوم، فياض النـور الفاضل من أهل الهمم والرسوم، مؤتى الحكمة من يشاء من عباده لا بشرطٍ معلوم، ولا بحدٍ مرسوم بل برزقٍ مقسوم[٢]، وخاصيته يؤتيها من يشاء وهو الحكيم العليم، والصلاة على الدرة البيضاء والزَّبَرْجَدَة الخضراء والنور الإلهـى الأبهـر الإمـام الأظهر صاحب الثوب الأطهر الإكسير الأكبر[٣] والكبريت الأحمر[٤] محمد بن عبد الله النبى المصطفى المعصوم، المعطى لواء الخلافة والتقديم قبـل إيجـاد الكـون والتقسيم بالمقام العظيم فى حضرة القديم حتى برز فى عالم التخطـيط والتجسـيم

---

(١) الحضرة: بعض الصوفية يرون الحضرة الإلهية خمس حضرات: حضرة الغيـب المطلـق، وحضرة الشهادة المطلقة، وحضرة الغيب المضاف، وتنقسم إلى ما هو أقرب مـن الغيـب المطلق، وما يكون أقرب من الشهادة المطلقة، والخامسة هى الحضرة الجامعـة للأربعـة المذكورة، وهى الحضرة الواحدية، وهى مظهر الحضرة الأحدية، وتسمى حقيقة الحقـائق، وحضرة الجمع كذلك، وتسمى أيضاً حضرة الوجود. "المعجم الصوفى" د/عبد المنعم الحفنى.

(٢) قال ﷺ: «إنما أنا قاسمٌ والله يعطى» فمنه ﷺ حصل الاستمداد والنور والهـدى والإرشـاد، والله هو العاطى، والنبى ﷺ هو القاسم بإذن ربه.

(٣) الإكسير: الكيمياء، يعنى: الذى هو كالكيمياء. يتداوى بها من الأمراض.

(٤) وأطلق عليه هذا اللقب لندرة الكبريت الأحمر كما أن النبى ﷺ لا نظير له من حيث الوجود وأنه من الله علينا هو عين الجود.

بأسرار التعذيب والتنعيم، فعاش بموجده العلى إلى أجله المســـمى دون خليـــل ولا حميم ثم كر راجعاً من عالم التركيب والتجسيم من غير مفارقةٍ إلى موجده الكريم، وترك لواء الإمامة شورى بين أهل الأسرار والتفهيم من كل ذى شـــرفٍ إحـــاطيّ عميم حتى ينتهى إلى الختم، المعلوم الجامع بين النبوة والولاية الموســـوم الخـــاتم لدورة الفلك الترابى(١)، المضاهى ذات الأب المجتبى(٢) المرحوم ﷺ وعلـــى آلــــه أفضل صلاة وأعم تسليم.

فيا ذا العقل السليم والمتصف بأوصاف الكمال والتتميم، فإنى وضعت هــذه الرسالة الموسومة بـــ«**مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم**» لكل مسترشد فهيم ومتبحر عليم، وأصحاب الشرب من العين الصـــافية والممزوجـــة بالكـــافور والتسنيم، وليس لكل شاربٍ إلا لمن شَرِبَ شُرْبَ الهيم(٣)، فالنجوم منهـــا للطالـــب الفهيم، والأهلة للربانى الحكيم المحقق بأسرار الأخلاق والعلوم، فأنا أتردد فيها بين غريم وعديم قاضياً لهذا بالنجابة والتحليم وحاكما على الآخر بالترسيم، ولكل موقع نجمٍ من المراتب طلوع هلالٍ خاتمٍ ومختومٍ، موقع شريف مفهـــوم، وطلـــوع لازم محتوم، وضعتها رجاء ابتغاء لسان الصدق(٤) بالإجلال والتعظيم إلى أوان انفصال

---

(١) الختام: هو مقام الإنسان الكامل الذى يُنتهى إليه فى مدراج الرقى والكمال، والمدرج الأول يسمى: "البداية"، وهو التحقق بالأسماء والصفات، والثانى: "التوسط"، وهو مَحَكُّ الرقـــائق الإنسانية بالحقائق الرحمانية، والثالث: معرفة التنوعات الحِكْمِيَّـــة فـــى اختـــراع الأمـــور القدرية"، فإذا تمكن من هذا المدرج حلَّ فى المقام المسمى: "الختام" قلت: وصاحبه يســـمى: "ختم الأولياء". "المعجم الصوفى" د/ عبد المنعم الحفنى. مع زيادة.

(٢) أى: أصل إيماننا والذى عرفنا به الله تعالى وأسلمنا له، وقد ورد فى الخبر: "أنا منكم مثل الوالد للولد" لا بمعنى الأبوة الجسدية، بل الروحية، فإن الجسدية منفيه بقوله تعالى: ﴿مَّـــا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

(٣) أى: أراد أن يستكثر من الشرب من هذا النبع الصافى كما تشرب الهيم.

(٤) أى: طلباً أن ينزل بها منزل أصحاب لسان الصدق.

الأطيار من أقفاصها واتصالها بروضة، المشاهدة ومشافهة التكليم، ووسيلة لحضرة كل إمام عارف وعلاَّم واقف ذى مشهد إلهى وكشف ربانى وصمدانى متحنـث[١] وصديق مُحَدَّث، ومالك لا يملك[٢]، وهالك لا يهلك[٣]، ومُحْدَث قديم[٤] بـالمؤمنين رؤوف رحيم كما أطلعتها شمساً مشرقة وأبرزتها روضة مورقة يسـعى لـوميض لمعان أنوارها، ويستنشق من نفحات أزهارها من فارق أوطانه، وهجـر إخوانـه ونزح عن بلاده، وطلب الحقَّ تعالى متجرداً عن عباده فاخترق الأمصار وركـب البحار ونأت به الدار، وابتغى إماماً يوصله إليه وحاجباً يدخله عليه، وهيـأ ذاتـه للقبول وكان هو بنفسه المرسل والرسول، فكان داعيه من قلبه إلى طلب معرفة ربه – فذلك الابن الطاهر النقى الزاهد الفاضل السرى أبو محمد عبد الله بدر بن عبـد الله الحبشى الحرانى اليمنى – على المنهج القويم لما وقف لى– وفقـه الله وسـدده توفيق الصديقين – موقف التعليم، وسألنى إيضاح طريق من أتى الله بقلب سليم – منح الله للكل سرائر الكيان بفضله العظيم – وها نحن نشرع فى الغرض المقصود إن شاء الله تعالى بعد باب نقدمه فى سبب هذا التأليف وبَرْنَامَجِه، وعلى الله الهداية إلى الصراط المستقيم.

---

(١) أى: متعبِّد يتحلى بالفضائل ويتخلى عن الرذائل.

(٢) أى: أنه يملك كل شىء حيث كان الله معه، وكان هو بالله، فمن كان هكذا فهو مالك، ومـع ذلك فهو لا يملك لأن الملك الحقيقى إنما هو الله تعالى.

(٣) أى: أنه لابد وأنه يصير إلى الهلاك الذى هو الموت، ولكن هو مع ذلك لم يهلك لكونه من أهل الله الذين ارتضاهم ربهم وخصهم به. أو يكون المقصود بالهلاك الأول: الاستهلاك فـى ذات الله حتى يظن به أنه هلك لأنه يبيع نفسه فى كل نفس لله، وهو مع ذلك ليس بهالـك، والله أعلم.

(٤) أى: محدث من حيث إنه مخلوق كسائر المخلوقات ﷺ، ولكنه قديم فى علم الله، فكمـا ورد فى الحديث: «لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك».

باب فى سبب تأليف هذا الكتاب وبرنامجه

لما شاء الحق سبحانه وتعالى أنه يبرز هذا الكتاب الكريم إلـــى وجـــوده، ويتحف خلقه بما اختاره لهم من لطائفه وبركاته فى خزائن جوده على يد من يشاء من عباده حرك خاطرى إلى إنضاء المطية من مرسيه إلـــى المريَّـــة، فامتطيـــت الرحال وأخذت فى الترحال مرافقاً أطهر عصبة وأكرم فتية سنة خمـــس وتســـعين وخمسمائة، فلما وصلتها لأقضى أموراً أملتها تلقانى شهر رمضان المعظم بهلالـــه وصافحنى على مسامرته بها إلى أوان انفصاله، فألقيت بها عصا التَّسْيار، وأخذت فى الذكر والاستغفار، وكان لى أكرم جليس وأحسن أنيس، فبينما أنا أتبتل وأتخشع فى بيوت أذن الله أن ترفع – وقد أقمر هلاله وفاز بما مضى مـــن أيامـــه ولياليـــه رجاله – إذ أرسل إلى سبحانه رسول إلهامه مؤيداً بما أوحى للابن التقى فى منامه، فوافق المنام الإلهام ونظم عقد الحكم فى هذا الكتاب أبدع نظام، وعلمت عند ذلـــك أنى كما ذكرته من شاء من عباده فى إبراز هذا الكتاب وإيجاده، وأنى الخازن على هذه المعالم والمتحكم فى هذه المراسم، فنفث فى رُوعى روحه القدسى وطلع بـــأفق سماء همتى بدره النُّدْسى[1]؛ فانبعث الروح العقلى لتصـــنيفه، وتـــوفرت دواعيـــه لتأليفه، ونظر الروح الفكرى فى تكييفه الرفيع وحسن نظمه البديع؛ فرتبـــه ثـــلاث مراتب وسلك فيه أنجح المذاهب. **المرتبة الأولى:** فى العناية، وهى التوفيق. **المرتبة الثانية:** فى الهداية، وهى علم التحقيق. **المرتبة الثالثة:** فى الولاية، وهـــى العمـــل الموصل إلى المقام الصدِّيق، وهو الذى يرفع الكلم الطيب إلـــى المقـــام المســـتوى الأعلى، ولا يوجد إن لم يساعد التوفيق بسُلَّمه الأسنى المزلِّف[2] عنده فى الآخـــرة

(١) النُّدْسى: أى المشتمل على الفهم الصحيح، من قولهم: "النَّـــدِس" بمعنـــى "الفَهِـــم". انظـــر "القاموس".

(٢) أى: التى يحصل بها الزلفى أى القرب فى الآخرة والدنيا.

والأولى، وجعلت هذه المراتب تجرى على تسعة أفلاك تدور من مركز الإهلال إلى منتهى الأفلاك مستوى الإملاك. منها ثلاثة أفلاك **إسلامية**: أولها ورابعها وسابعها، وثلاثة أفلاك **إيمانية**: ثانيها وخامسها وثامنها، وثلاثـــة أفـــلاك **إحســـانية**: ثالثهـــا وسادسها وتاسعها.

فالثلاثة الإسلامية مواقع نجوم البدايات، وما بقى فمطالع أهلـــة النهايـــات، فالإسلامية جسمانية، والإيمانية نفسانية، والإحسانية روحانية. وجعلت بعد كل فلك إحسانى معقله الذى يتعشقه ويسكن إليه، وجعلت الهلال الأول فى كل مرتبة هلال مُحَاق[1]، والهلال الثانى هلال ارتقاب فى جميع الآفاق، ولوجود هـــذين المقـــامين جعلت فى كل مرتبة هلالين، وجعلت الفلك الخامس مشرقاً لثمانية أنوار، وجعلـــت هذه الأنوار تسبح فى ثمانية أفلاك: حسية وغيبية تدور فى الموقع الإسلامى مـــن المرتبة الثالثة، ثم ختمت الكتاب بفصلٍ شريف فيه مواقع نجوم ومطالع أهلة توضح مقاماته وترتب أدلته[2]، وعزمت أن لا أودع فيه لغيرى نثراً ولا نظماً، ولا أجعـــل لسواى عليه قضاءً ولا حكماً، فأنا فى هذا المجموع وفى غيره أتلقى من الملَك مـــا يرد به على المُلْك. قال العبد: ولما انتهى الكتاب وترتَّبت الأبواب علـــوت أعـــواد التشريف، ووجهت الابن الأنجب المبارك الأذكى بدر الدين بدرى بالتعريف إلـــى أهل التبحر فى المعارف والتوفيق، وقمت فى الملأين منشداً شعراً:

نحن سر الأزلـــى بـــالوجود الأبـــدى * إذ ورثنا خُلُقَ الطاهرِ فينا الهاشمى

واعتلينا واستوينا بالمقـــام الأقدســـى * ووَهَبْنَا ما وَهَبْنَا سر بدر الحبشـــى

وبعثناه رســـولا للـــرئيس النُدســـى * بكتاب رقمتـــه كـــف ذات الحكمـــى

بعلوم وسمتها موقـــع الـــنجم العلـــى * ومطـــاليع هلالـــين بـــأفق قطبـــى

---

(١) المُحَاق: من الشهر، بالضم، ثلاث ليالٍ من آخره، وعليه يقاس معنى كلامه.

(٢) فى المخطوط: "أدلة" والصحيح المثبت.

حرض الناس على نيل الوجود العملى * ونهايات التلقـى بالمقـام الخُلُقـى

ومشت أسماء ذاتى فى وضيع وعلى * والذى آمن منهم لم يزل حيًّا بحيي

والـــذى أعـــرض عـــنهم * لـــم يفـــز منهـــا بشـــئ

فهرست الكتاب:

المرتبة الأولى: فى توفيق العناية:

الموقع الأول: التوفيقى، ترجمته نجم العناية: وقع بقلب الإمام المدبر فـى عالم الشهادة فسطا، وهو الفلك الأول الإسلامى. المطلع الأول: الوِفَاقى، ترجمتـه هلال محاق: طلع بنفس الإمام المدبر فى عالم الجبروت والملكوت فغطَّـى، وهـو الفلك الثانى الإيمانى. المطلع الأول: الإلِّى والإلهى، ترجمته هلال ارتقـاب طلـع بروح القطب فى برزخ الرحموت والرهبوت فمنع وأعطى، وهـو الفلـك الثالـث الإحسانى يتلوه معقل أنسه.

المرتبة الثانية: فى علم الهداية:

الموقع الثانى: العملى، ترجتمه هداية، وقع بقلب الإمام المدبر فـى عـالم الشهادة فاهتدى، وهو الفلك الرابع الإسلامى. المطلع الثانى: العيانى، ترجمته هلال محاق طلع بنفس الإمام، المدبر فى عالم الجبروت فأهدى وهـو الفلـك الخـامس الإيمانى، وهذا الفلك مشرق لثمانية أنوار قدسية، وهى: الشمس والهـلال والقمـر والبدر والكوكب الثابت والبرق والنار والسراج. المطلع الثانى: الإلّـى والهلالـى، ترجمته هلال ارتقاب طلع بروح القطب فى برزخ الرحموت والرهبـوت فأضـل وأهدى، وهو الفلك السادس الإحسانى يتلوه معقل أنسه.

المرتبة الثالثة فى علم الولاية:

الموقع الثالث: العملى، ترجمته نجم ولاية، وقع بقلب الإمام المدبر فى عالم الشهادة فعنا، وهو الفلك السابع الإسلامى، وفى هذا الموقع أفلاك الأنوار الثمانيـة

التى فى مطلع الإيمانى من المرتبة الثانية، وهى ثمانية أفلاك: فلك السمع، وفلــك البصر، وفلك اللسان، وفلك اليد، وفلك الباطن، وفلك الفرج، وفلك الرِّجــل، وفلــك القلب. المطلع الثانى: الخلقى ترجمته هلال محاق، طلع بنفس الإمام المدبر فى عالم الجبروت والملكوت فهنأ، وهو الفلك الثامن الإيمانى. المطلع الثالث: الإلّى والإلهى، ترجمته هلال ارتقاب طلع بروح القطب فى برزخ الرحموت والرهبــوت فــأفقر وأغنى، وهو الفلك التاسع الإحسانى، يتلوه معقل أنسه، ثم يتلو هذا المعقل الفصــل الذى به خاتمة الكتاب. قال العبد: فهذا فهرست الكتاب مرتبة الأبواب على حســب ما يأتى إن شاء الله تعالى، ومن موجد الكون نسأل التأييد والعون، ولا حــول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

المرتبة الأولى فى توفيق العناية:

الفلك الإسلامى: نجم عناية وقع بالقلب فسَطَا[١].

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه آجمعين وسلم تسليماً.

يا بدر بادر إلى المنادى * كفيت فاشكر ضد الأعادى

قد جاءك النور فاقتبسه * ولا تُعَرِّج على السواد

فمن أتاه النضار ماءً * يزهد فى الخط بالمداد

فقم بوصف الإله وانظر * إليه فردا على انفراد

وحصِّن السمع إذ تُنَادَى * وخلِّص القول إذ تُنَادِى

والبس لمولاك ثوب فقرٍ * كى تحظَ بالواهب الجواد

وقل إذا جئته فقيراً * يا سيداً ودُّه اعتمادى

اسقى شراب الوصال صَبًّا * ما زال يشكو صدى البعاد

تاه زمانا بغير قوتٍ * إذ لم يشاهد سوى العباد

فكن له القوت ما استمرت * أيامه الغر باقتصاد

---

(١) أى: لما حصلت عناية من الله سابقة لعبده ووليه وقعت آثار هذه العناية بالقلب فسطت عليه واستولت وحركته نحو طاعة ربه والتقرب إليه، والهمة إلى النيل من معارفه وفتوحاته وتنزلاته.

(٢) أى: يموت محبوسا فيما هو فيه من بُعدٍ عن ربه وعدم تسليمٍ لأوليائه كما يموت المصبور، وهو المحبوس حتى الموت.

حتـــى يمـــوت العـــذول صـــبراً[٢] * وتنطفـــى جمـــرة المعـــاد
ويعجـــب النـــاس مـــن شـــخيص * يكـــون بعـــد الضـــلال هـــادى
مـــن كـــان ميتـــا فصـــار حيًّـــا * فقـــد تعـــالى عـــن النفـــاد
مـــا خلـــع النعـــل غيـــر موســـى * بشـــرطها عنـــد بطـــن واد
مـــن خُلعـــت نعلـــه تناهـــت * رتبـــة أقوالـــه الســـداد
فـــإن تكـــن هاشـــمىَّ إرثٍ * فاســـلك بهـــا مـــنهج الســـداد
والـــبس نعاليـــك إن مـــن لـــم * يلـــبس نعاليـــه فـــى المهـــاد
فهـــل يســـاوى المحـــيطَ حـــالاً * من لـم يـر الحـق فـى ازديـاد؟
فميِّـــز الحـــالَ إذ تـــراه * فى موكـب القـدس فـى الفـؤاد
ورتـــب العلـــم إذ تنـــاجى * ســـرك بالســـر فـــى الهـــواد
وارقبـــه فـــى فهـــم كـــل ســـرٍّ * فـــى ســـاترٍ إن أتـــى وبـــاد
ولا تُشَـــتَّتْ ولا تفـــرق * بـــين الحواضـــير والبـــوادى
فـــإن وهبـــت الرجـــوع فَـــرِّق * عنـــد نِـــدًا حاضـــر وبـــادى
واحـــذر بـــأن تركـــب المهـــارى[١] * إذ يُقْـــرَنُ العيـــر بـــالجواد
لا تحجبنـــك الشـــخوص واصـــبر * علـــى مهماتـــه الشـــداد
وانظـــر إلـــى واهـــب المعـــانى * وقـــارن العـــين بـــالفؤاد
وأســـند الأمـــر فـــى التلقـــى * لـــه تكـــن صـــاحب اســـتناد
ولا يغرَّنْـــك قـــول عبـــدى * فـــالحق فـــى الجمـــع لا ينـــاد

---

(١) أى: بالراء، أى: المقاتل التى تسبب لك الهلاك.

وإن هذا المقام أخفى * من عدم المثل للجواد

فكنه علماً وكنه حالاً * مع رائح إن أتى وغاد

وكنه وصفا ولا تكنه * ذاتا فعين المحال باد[١]

ولا تكن ذا هوى وحب * فيه فقلب المحب صاد

من بات ذا لوعة محبًّا * شكى لها[٢] حرقة الفؤاد

وانظر بعين الفراق أيضاً * فيه ترى حكمه العباد

وحكمة الحزم والتوانى * وحكمة السلم والجلاد

فحكمة الضدّ لا يراها * سوى حكيم لها وشاد

وانظر إلى ضارب بعود * صفاة[٣] يبس فانساب واد[٤]

واعجب له واتخذه حالاً * تجده كالنار فى الزناد

فالماء للروح قوت علم * والجسم للنار كالمزاد

فإن مضى الماء لم تزده * بدار دنياك بالمعاد

وإن خبت ناره عشاءً * فسوء من مات فى المهاد

أوضحت سرًّا إن كنت حرًّا * كنت به وارِىَ الزناد

من علم الحق علم ذوق * لم يقرن الغىَّ بالرشاد

---

(١) وفى هذا البيت نفى للحلول والاتحاد وأنه محالٌ أن يحل القديم سبحانه فى الحادث المخلوق، تعالى الله عما يشركون.

(٢) أى: شكى لأجل هذا اللوعة التى فى الفؤاد.

(٣) الصفاة: الحجر الصلد الضخم لا يُنبت. "القاموس".

(٤) أى: انقلب وصار وادياً.

فمـــن أتـــاه الحبيـــب كشـــفاً * لـــم يـــدر مـــا لـــذة الرقـــاد
مثـــل رســـول الإلـــه إذ لـــم * يكـــن لـــه النـــوم فـــى فـــؤاد
لـــو بلـــغ الـــزرع منتهـــاه * لاشـــتغل القـــوم بالحصـــاد
أو نـــازل الحصـــنَ قـــومُ حـــربٍ * لبـــادر النـــاس للجهـــاد
ناشـــدتك الله يـــا حبيبـــى * هـــل فـــرش الخَـــزِّ كالقتـــاد؟[1]
لا والـــذى أمرنـــا إليـــه * مـــا عنـــده الخيـــر كالفســـاد[2]

قال من جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [هـود:٨٨]

فأسنده سبحانه إلى الاسم الجامع الذى هو للتعلق لا للتخلق[3]، وفى إسناده إليه سر شريف نشير إليه – إن شاء الله تعالى – فى هلال هذا النجم السعيد التوفيق – أيها الابن الأنجب العتيق[4] – وفقك الله: مفتاح السعادة الأبدية[5]، والهادى بالعبد إلـى سلوك الآثار النبوية، والقائد له إلى التخلق بالأخلاق الإلهية، من قام به غنم، ومـن فقده حرِم، وهو خارج عن كسب العبد، وإنما هو نور يضعه الله فـى قلـب مـن اصطنعه لنفسه واختصه لحضرته، به تحصل النجاة، وبه تُنال الدرجات، ومع أنـه سر موهوب ونور فى قلب العبد موضوع فإن إرادات العبـد مـن جهـة العلـم

---

(١) القتاد: الشوك.

(٢) الأبيات من بحر البسيط، ووزنها: (مستفعلن فاعلن فعولن) مرتين.

(٣) لأن بعض أسماء الله تعالى للتخلق بما يصلح لنا من معانيها كالكريم والحلـيم والغفـور، فنكرم الناس بما هو فى موسوع قدرتنا الضعيفة بالنسبة لجناب الله تعالى، ونحلم عليهم إن أخطأوا، ونغفر لهم إن أساءوا، وبعضها لا يصلح كاسمه "الله"، واسمه "الخـالق"، واسـمه "المميت".

(٤) أى: الذى عتقه الله من مواطن سخطه وجعله فى أهل طاعته.

(٥) أى: التوفيق هو مفتاح السعادة الأبدية إلخ.

بخصائصه وحقائقه متعلقة بجود الله سبحانه وتعالى فى تحصيله منه والاتصاف به، فقد يحصل للعبد بتلك الإرادة فيتخيل أنه كسبى وأن دعاءه الله فيه وإرادته إياه سبب فى تحصيله، وما علم أن تلك الإرادة التى حركته لطلب التوفيق من التوفيق فإنهـا من آثاره ولولاه لم يكن ذلك، فإن إرادة التوفيق من التوفيق ولكن لا يشـعر لـذلك أكثر الناس، فإذا تقرر هذا فيكون الإنسان إنما يطلب على الحقيقة كمال التوفيق من الموفِّق الواهب الحكيم.

ومعنى كمال التوفيق استصحابه للعبد فى جميع أحوالـه مـن اعتقاداتـه وخواطره وأسراره ومطالع أنواره ومكاشفاته ومشاهداته ومسامراته وأفعاله كلها لا أنه يتجزئ ويتبعض، فإنه معنىً من المعانى القائمة بالنفس، فنقصه الذى يطلق عليه إنما هو أن يقوم بالعبد فى فعل ما من الأفعال ويحرمه فى فعل آخر، وكذلك زيادة استصحابه لجميع أفعال العبد، وقد بان علة سؤاله فى التوفيق من الله تعالى، وتبين أن التوفيق لم يكن معدوماً عند سؤاله لله تعالى فيه وهو تفعيل من الموافقة[1]، وهو معنىً يقوم بالنفس عند طروء فعل من أفعاله الصادرة عنه على اختلافها تمنعه من المخالفة للحدِّ المشروع له فى ذلك الفعل لا غير، فكل معنىً كان حكمه هذا يسـمى التوفيق، فلو وافق يا بنىَّ حال العاصى حقه المشروع له لم يكـن عاصـيا[2]، وإذا انتقت الموافقة فى حال ما مشروعٍ كانت المخالفة لأن المحلَّ لا يعرى عن الشـىء أو ضده، وقد يقوم بالعبد المؤمن التوفيق فى فعل ما والمخالفة فى فعل آخـر فـى

---

(١) أى: التوفيق على وزن "تفعيل" مشتق من مصدره وهو "الموافقة".

(٢) يعنى: كمن أخذ ماله أبيه خلسةً ثم تبين أن أباه قد توفى قبل اختلاسه وأن هذا المال إنمـا هو ميراثه من أبيه، فمثل هذا الابن عاصٍ فى الصورة إلا أنه صادف حقه المشروع فكـان هذا توفيقاً من الله أن لم تقع معصيته هذه بحيث يأثم بها.

زمن واحد كالمصلى فى الدار، المغصوبة[١] أو كمن يتصدق وهـو يغتـاب[٢] أو يضرب أحدا فى حال واحد، و أشباهه؛ فلهذا ما سأل العبد مـن مـولاه إلا كمـال التوفيق يريد استصحابه له فى جميع أحواله كلها حتى لا يكون منه مخالفة أصـلا، فإذا كمل التوفيق للعبد على ما ذكرناه فهو المعبر عنه بالعصمة والحفظ الإلهى[٣] – حفظ الله علينا الأوقات وعصمنا من نتائج الغفلات إنه جواد بالخيرات – فالتوفيق يا بنىَّ هو العناية التى للعبد عند الله تعالى قبل كونه، المتفضل به عليه عند إيجاده إياه وتعلـق خطابـه بـه: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس:٢]، فصحت لهم هذه القدم قبل كونهم حيث لا قبل فى علم الله خصوصـيةً منه تعالى لهم، وهى الرحمة التى كتبها على نفسه، فلما أوجدهم فى أعيانهم بصفة الجود وأبرزهم فى الوجود تولاهم بلطفه فحققهم بحقائق التوفيق، وبين لهم الطريق الموصل إليه كما بينه لأنبيائه بواسطة ملائكته، ولأوليائه بواسطة أنبيائه، والملائكة بالجبلَّة التى أوجدهم عليها فاهتدوا على أوضح منهاج وعرجوا على أنجح معراج، فما زال التوفيق يصحبهم فى كل حال ويقودهم إلى كل عمل مقرب إلى الله تعـالى من أعمال القلوب والنفوس والمعاملات المتوجهة على الحواس حتى انتهى بهم فوق الهمم وأنزلهم فى حضرة الجود والكرم؛ فغرقوا فى بحار المنن والآلاء من نعـيم جِنَان ومضاهاة استواءٍ على قدر ما أراده تعالى أن يمنحهم من نعمائه وأن يهـبهم من رُحْماه؛ فعاينوا عند ذلك تولى الحق لهم فى ذلك ولم يكونوا شيئاً مذكوراً، ثـم

---

(١) **فإنه قد وفق إلى الصلاة، وسقطت عنه المطالبة بها فى الآخرة، إلا أنه لم يوفق فـى أنـه صلاها فى أرضٍ غصبها فخالف بذلك فأثم.**

(٢) **أى: يباشر إعطاء الصدقة ولسانه يغتاب شخصاً ما فى نفس الوقت.**

(٣) **قوله: "العصمة" تجوزاً، وإلا فالأنبياء والرسل هم المعصومون، وسواهم يسمى "محفوظاً".**

استصحاب التولى لهم فى مَحَالِّ الدَّعَاوِى بتقديسهم عنها[١]، فأرادوا الشكر فمنعتهم الحقيقة وكان الشاكر هو المشكور والذاكر هو المذكور[٢]، فعجز العبيد عن الثنـــاء والحمد مع غاية الجد فى ذلك والجهد[٣]، ووقفوا فى موقف الحيرة لما رأوا الحـــال فوق الثناء، ثم رأوا أن الذى حصل لهم من الثناء عليه سبحانه إنما هو من عنـــده أثنى علـــى نفســـه بفعلـــه[٤]، قـــال تعـــالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥]، فالقليل مُعَادٌ عندنا وُهِبْنَاه عنايةً منه والكثير لم نصل إليه فليس لنـــا شيء ندعيه، فالمحقَّق شبحٌ منحوتٌ إلا أنه مبخوت[٥]، وصاحب الدعوى كـــذلك إلا أنه ممقوت. قال الصادق فى هذا المقام ﷺ: «**لا أحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيـــت على نفسك**» قال الصدِّيق: «**العجز عن درك الإدراك إدراك**[٦]»، ولنا فى هذا أبيات:

قـــال لامـــرئ رام إدراكـــاً لخالقـــه * العجـــز عـــن درك الإدراك إدراك

من دان بالحيرة الغرا فهو فتـــــىً لغاية العلـــــــم بالرحـــمن دراك

---

(١) أى: عافاهم من الدعاوى وأن يعتقدوا أنهم هم الذين امتنعوا عن المعاصى بحولهم وقوتهم أو فعلوا الطاعات بقدرتهم، وإنما كان نظرهم إلى الله تعالى، وما رميت إذ رميت ولكـــن الله رمى.

(٢) لأنهم لما أرادوا الشكر وجدوا أنفسهم مشكورين عند ربهم بدوام توفيقهم، ولمـــا ذكـــروا ربهم علموا أنهم بذكرهم هم عند ربهم مذكورون، «ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خيرٍ منه» الحديث.

(٣) فهم مع ذلك لم يتركوا الشكر والذكر امتثالاً لقول الحق: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِـــي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢]

(٤) لأن الذى خلق الذكر على ألسنتهم هو الله والذى خلق الثناء منهم أن وفقهم للذكر هو الله، فالكل من الله حينئذٍ وإن نسبنا ذلك إلى العبد.

(٥) المبخوت: صاحب البخت أى المجدود.

(٦) أى: عجزك عند إدراك منتهىً لثناء الله هو إدراك.

وأى شـــخصٍ أبـــى إلا تحققـــه * فـــإن غايتـــه جحـــد وإشـــراك

فالعجز عن درك التحقيق شمس ضـحىً * جرت به فوق جو النسك أفـلاك(١)





(١) الأبيات من بحر البسيط.

[مبادئ التوفيق ومواسطه وغاياته[١]]

اعلم يا بنى أن التوفيق قائد كل فضيلة، وهادٍ إلى كل صفةٍ منجيةٍ، وجالبُ كل خلق رَضِيٍّ، يجلو البصائر ويصلح السرائر ويخلص الضمائر، ويفتح أقفال القلوب، ويزيل ريونها[٢]، ويخرجها عن أكِنَّتها، ويهبها أسرار وجودها، ويعرفها بما تجهله من جلال معبودها، هو الباعث المحرك لطلب الاستقامة، والهادى إلى طريق السلامة، ما اتصف به عبدٌ إلا اهتدى وهدى، ولا فقده شخص إلا تردَّى وأردى، فنعوذ بالله من الخلاف، وله مبدأ وموسط وغاية، فمبدؤه يعطيك الإسلام، وموسطه يعطيك الإيمان، وغايته تعطيك الإحسان، فالإسلام يحفظ الدماء والأموال[٣]، والإيمان يحفظ النفوس من ظلم الضلال والإضلال، والإحسان يحفظ الأرواح من الأغيار، ويهبها المراقبة والحياء على الكمال، فالنفس تتنعم بشهواتها فى الجنان والعين تتنعم بحقائق الامتنان.

فانظر يا بنى ما أوصلك إليه التوفيق، فمن دعا لك بالتوفيق فى جميع الأحوال فما ترك لك شيئا من الخير إلا أعطاك إياه فلا ترده، مبدؤه يعطيك العلم والعمل، ووسطه يطهر ذاتك من دنس الأغراض والعلل، وغايته تمنحك أسرار الوجود والأزل، وليس وراء الله مؤمل يؤمَّل، مبدؤه يفنيك عن حسك، ووسطه يفنيك عن نفسك، وغايته تجود عليك بشمسك، مبدؤه يعطيك الكرامات، ووسطه يفنيك عن الصفات، وغايته ينعمك بالذات، مبدؤه يشهد لك بالجنان، ووسطه يشهد

---

(١) ما بين المعكوفتين من المطبوع لانطماسه من المخطوط.

(٢) جمع: "ران".

(٣) لحديث: «فإن هم قالوا لا إله إلا الله عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام».

لك بالعيان[١]، وغايته تشهد لك بفناء الأعيان، فسبحان المتفضل به والمنـــان إنـــه بعباده رحمن.

تقسيم: التوفيق – وفقك الله تعالى – على قسمين فى أصله: عام وخـــاص، فالعام هو الذى يشترك فيه جميع الناس كافة من المسلمين وغيرهم، وهـــو علـــى ضربين: منه ما يوافق الحكمة بما هى حكمة، ومنـــه مـــا لا يوافـــق الأغـــراض. فالتوفيق الذى يوافق الأغراض كرجلٍ أى رجلٍ كان على أى دينٍ كان حفر بئـــراً على قارعة الطريق بأرض لا ماء فيها، فهذا وافق كل غرض مارّ بذلك الموضع، والتوفيق الذى يوافق الحكمة كمن يقرن بين الأشياء لما يرى بينها مـــن المناســـبة، وأصلها إعطاء كل ذى حق حقه كرجل مثلاً رأى شخصاً يتنـــاول شـــرب المـــاء بالمنخل ويحاول تصفية الدقيق بالقدح، فيأخذ الدقيق ويلقيه فى المنخل، ويأخذ الماء ويجعله فى القدح، ويقول: "إنما جعل هذا لهذا وهذا لهذا"، وهكذا فى جميع الأشياء العلمية والعملية، فهذه موافقة الحكمة. والخاص: ما يخرجك من الظلمات إلى النور وينتهى بك إلى السعادة الأبدية على مراتبها وإن دخلت النار، وهـــذا أيضـــا عـــام وخاص، فالعام: كالإيمان بالله وبرسوله وما جاء به، والخـــاص: كالعمـــل بـــالعلم المشروع، وهو أيضا: عام وخاص، فالعام: كأداء الفرائض كما قال ضِمَام بن ثعلبة السعدى لرسول الله ﷺ حين سأله عن الواجبات فأجابه رسول الله ﷺ فقال: هل على غيرها؟ قال: «**لا إلا أن تتطوع**» فقال: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه ولـــم تكن غير الفرائض الخمس، فقال رسول الله ﷺ: «**أفلح إن صدق**».

والخاص: هو الذى يؤديك إلـــى تصـــفية القلـــب وتفريغـــه والرياضـــات والمجاهدات، وهذا الضرب أيضاً من التوفيق فيه عام وخاص، فالعام: هـــو الـــذى يثمر لك جميع الأخلاق العلوية والأوصاف الربانية القدسية، والخاص: هو الـــذى

(١) لأنه يؤدى إلى الإحسان الذى هو فى مرتبة العيان لحديث: «الإحسان أن تعبـــد الله كأنـــك تراه».

يثمر لك أسرار الخلق ومعانى التحقيق، وكلاهما على ضـــربين: عـــام وخـــاص، فالعام: ما أعطاك جميع ما تتخلق به وأسراره، والخاص: ما أعطاك الفنـــاء عـــن ملاحظة الفناء[1]، فكل توفيق يستصحب العبد فى حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة فهو توفيق العارفين الوارثين العالمين، وكل توفيق يصحب العبد فى بعضها فهـــو منسوب لذلك البعض ومضاف لما يعطيه المقام فى مراتب الوجود الصوفى خاصة، فيقال: هذا توفيق العارفين والزاهدين والعابدين وغيرهم من أصـــحاب المقامـــات وأرباب السلوك.

تقسيم: حصول التوفيق عند المحققين على نوعين:

توفيق أوجده للعبد الحق سبحانه وتعالى فيك منك، وتوفيق أوجده فيك على يد غيرك، فالتوفيق الذى فيك من غيرك كالإسلام الذى أبقاه عليك أبواك وربيـــاك عليه، فكل مولود يولد على الفطرة أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما جاء فى الخبر، أو كشخص قيض الله لك على مدرجتك من غيره قصـــد منـــك إليه فوعظك بموعظة زجرك بها فانتبهت من سِنَة الغفلة، فقذف الله سبحانه لك عند انتباهك نور التوفيق فقبلتها ونظرت فى تخليص نفسك، فقادك إلى الانتظام فى شمل السعداء. والتوفيق الذى فيك منك هو أن ترزق النظر ابتداءً فى عيوبك وذم ما أنت عليه من الأفعال القبيحة، وتمقتك نفسك وتبغض حالك لك، فإذا تقوَّى عليـــك هـــذا الخاطر وتأيَّد نهض بك فى طريق النجاة وسارع بك إلى الخيرات على قدر ما قدَّر لك أزلاً وقسم لك شرْبك[2]، وأول مقامات التوفيق الاختصاصى اشـــتغالك بـــالعلم المشروع الذى ندبك الشارع إلى الاشتغال بتحصيله، وآخرها حيث يقف بك فـــإن

---

(١) أى: الفناء عن رؤية أنه فانٍ مع الله، فلا يرى لنفسه فعلاً ولا تركاً ولا قولاً ولا شيئاً، بـــل يرى كل شىء من الله تعالى.

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء:١٥٥] فكل مسلم أو مؤمن أو ولىٍّ قسم الله له من الشرْب ما هو معلومٌ عنده.

تحققت لك المقامات حصَّلت فى التوحيد الموحَّد لنفسه بنفسه الذى لا يصـــح معـــه معقول، وإن بعَّضت لك بعض الحضرات الوجودية فلا حياة مع الجهل ولا مقام.




بابٌ فى نتائج المعاملات الموقوفة على الظواهر

والناس فيها على قسمين منهم من تحصل له على الكمـــال وهـــو القطـــب المشار إليه صاحب الوقت، ومنهم من ينتهى به إلى حيث قـــدره العلـــيم الحكـــيم، فالتوفيق يا بنى إذا صح – وتصحيحه بتحصيل العلم، فإذا حصل له وصح توفيقـــه أنتج الإنابة، والإنابة منتجة التوبة، والتوبة تنتج الحزن، والحزن ينـــتج الخـــوف، والخوف ينتج الاستيحاش من الخلق، فينتج[1] الخلوة، والخلوة تنتج الفكر، والفكـــر ينتج الحضور، والحضور ينتج المراقبة، والمراقبة تنتج الحيـــاء، والحيـــاء ينـــتج الأدب، والأدب ينتج مراعاة الحدود، ومراعاة الحدود تنتج القرب، والقـــرب ينـــتج الوصال، والوصال ينتج الأنس، والأنس ينـــتج الإدلال، والإدلال ينـــتج الســـؤال، والسؤال ينتج الإجابة، وتسمى جميع هذه المقامات "المعرفة" فى اصطلاح بعـــض أصحابنا، و"العلم" فى اصطلاح بعضهم.

والسؤال على تفرق أنواعه وتشتتها راجع إلى المقام الذى أنت به متحقـــق فى الحال، فتسأل على حسب ما يلقى الله فى نفسك، وهذا هو مقام المشاهدة، فمـــن شاهد رسماً ومن شاهد وسماً[2] ومن شاهد حيرة وعجزاً قد علم كل أناس مشربهم، ولا يصح شىء من هذه المقامات إلا بعد تحصيل العلم الرسمى والذوقى، فالرسمى كعلوم النظر وهو ما يتعلق بإصلاح العقائد وكعلوم الخَبَر[3] وهو ما يتعلق بك من

---

(١) الفاء ساقطة من الأصل.

(٢) الرسم: هو الخلق وصفاته، والرسم والوسم هما القِدَم والأزل، أو ما أحدثه وأجراه الأحـــد الصمد القديم، وما حكم به فى الأزل والأبد، فالرسم: هو ما رسم به ظاهر الخلـــق أو هـــو الظاهر المتحقق. والوسم: هو الصورة التى وسم بها الله تعالى عباده فى سالف علمه قبـــل أن تتحقق وتصبح رسماً. "المعجم الصوفى" د/الحفنى.

(٣) أى: الآثار المروية والأحاديث عن خير البرية ﷺ أو صحابته والتابعين.

الأحكام الشرعية ولا يؤخذ منها إلا قدر الحاجة على حسب ما نذكره فـــى مرتبـــة العلم – إن شاء الله تعالى – والذوق علم نتائج المعاملات والأسرار، وهو نور يقذفه الله تعالى فى قلبك تقف به على حقائق المعانى الوجودية وأسرار الحق فى عبـــاده والحِكَم المودعة فى الأشياء، وهذا هو علم الحال فإنه مهما تخلَّق العبد باسمٍ ما من الأسماء فشاهِد حاله يشهد له بتصحيح تخلقه أو بفساده. **شواهد الأحـــوال:** اعلم يـــا بنى أنه من قام به توفيقٌ ما فى أمر من الأمور للسعادة وغيرها فشاهد حاله يصدق دعواه أو يكذبها، وشواهد الأحوال على ضربين: ضرب يقـــوم بـــذات صـــاحب الدعوى، وضرب يقوم بذات غيره مقارناً لدعواه، وليس ثم قسم ثالـــث، فـــالمنوط بذاته كصُفرة الوَجَل وحُمْرة الخَجَل، وترك الاعتراض على الله تعالى فى أحكامه، والصبر إذا نالته المصائب فى حق من ادعى أنه فى مقام الرضا بالقضاء والتسليم لمجارى القدرة على الإطلاق، والضرب الثانى عن ذاته القائم بذات غيره لتحديـــه بانفعال كونٍ ما معين عنه بهمته وهو ساكن، ويكون ذلك على نوعين: إمـــا بـــأن يجوز أن يتوصل إليه بحيلةٍ ما حتى يقع ذلك ولم تعلم هذه الحيلة من المدعى لقرينة حالٍ صحت عند المشاهِد له المنتقد، وإما يكون خارجاً عن مقدور البشـــر، فهـــذه شواهد الأحوال محصورة، وغرضنا فى هذا الكتاب لُمَـــعٌ لا إســـهاب وتطويـــل، وباليسير المكمل الجهات يحصل الغرض – إن شاء الله تعالى – إذ التكثير يـــؤدى إلى الملل والسآمة – والله المرشد لا رب غيره.

الفلك الثانى: الإيمانى.

المطلع الأول: الوفاق

مطلع هلال وفاق طلع بنفس الإمام المدبر فى عالم الجبـروت والملكـوت فغطَّى ألم يعلم الإمام العلام وأولوا الألباب والأفهام أن نور صباح الموافقة تـنفس فأظهر ما كمن فيها وعسعس، فبموافقة مضاهاة الذاتين على التكميل فى عالم المثال الوجودى ظهر التوفيق فى عالم المثال الوجودى، فالحضـرات حضـرتان لهمـا علامتان: جمع وفرق، وحق لوجود خالق وخلق، فإن تعلق وجـود تجلِّـى المثـل ببعض التضاهى كانت الموافقة فى حضرة الفرق حقية وكان التوفيق فـى العـالم الأسفل خلقياً، وإن تعلَّق التجلِّى بالكلية كانت الموافقة فى حضرة الجمع حقيقةً وكان التوفيق فى العالم الأسفل خلقياً، فتوفيق الكون فرع من موافقـة العـين، وتوفيـق الأشباح نتيجة عن موافقة الأرواح، الأرواح جنود مجندة والأجسام خُشُبٌ مُسـنَّدة، فما تعارف منها هناك ائتلف هنا فتهنًا، وما تناكر منها هناك اختلف هنـا فتعنًـا، فيضاف التوفيق للأبرار والموافقة لأرباب الأسـرار، التوفيـق فـى المعـاملات، والموافقة فى المناجاة، وبين التوفيق والموافقة انتساب، فإذا اجتمعـا كـان الأمـر العُجاب، وإذا افترقا وقع الحجاب. اجتماعهما على الاتصاف موقوف وافتراقهمـا بحب الرياسه معروف. التوفيق مع المكاسب، والموافقة مع المواهب.

شعر:

إن وافـق الـنجم السـعيد هلالـه * كان الوجود علـى مسـاقٍ واحـد

وإن انتفى غيـر التواصـل منهمـا * نقص الوجود عن الوجود الراشـد

فانظر بقلبــك أيــن حظــك منهمــا * فى الجمع أو فى العالم المتباعــد[1]




(١) الأبيات من بحر الكامل، ووزنها: (متفاعلن متفاعلن متفاعلن) مرتين.

الفلك الثالث: الإحسانى.

المطلع الإلهى

مطلع هلال ارتقاب طلع بالروح القطبى فى برزخ الرحموت والرهبــوت فمنع وأعطى ألم يعلم الحكيم أن الوجود قبل صباحٍ تنفس ليلٌ عسعس عقل وإحساس مشكاة، ونبراس القنديل أسرج بألطف كاس فى مجلس ديماس، أشــرقت الحــواس برزجؤدر الكناس فى حدائق الأنفاس، بأيمانهم أكواب إيناس، بشمائلهم أقباس إبلاس لكل ماردٍ خناس ومتطلع جساس، شرب الخضر وإلياس والندماء الأكيــاس، بــادر منهم يعفور كالغصن المياس بيده قضيب آس، ضرب به على الراس هل مــن آس أو مشفق مواس؟ أجابت الأكياس: أفرغ عليه أحسن لباس، افتــتن النــاس، غــار الحراس، أنف الجلاس، ما عليكم من باس فما أنا بالمغفل عن الناس، يا ضــارب الأخماس فى الأسداس خفْ الخناس فإلهامه وسواس، ثم أخذ يقرأ القرطاس ليقــيم القسطاس فقال: انظروا إلى عرش ربكم فلكاً مشحوناً بناسه محفوظاً بحراسه، قرن مَلَكَه بخنّاسه وإلهامه بوسواسه، وجحيمه بحضيرة قدسه، وعذاب وحشــته بنعــيم أنسه، تنفس العارف فأجراه فى بحر الإرادة همساً، ولطمته أمواج أحوال عشــاقه فكادت تبسه بسًّا، سقطت كتائب ثناياه الخرس على العرب الفصحاء والغرس فأقسم بالخنس الجوار الكنّس إنه لمعقل أهل دارس وظــاهر طــامس، مهداتــه أربــاب النواميس، ونشرت فيه أذناب الطواويس، وحدَّثت به العــيس، وأوســقه الــرحمن بالجوهر النفيس من كل صيغة تعرية أو صنعة لبوس، فمؤخره معقــول ومقدمــه محسوس، فهو يسبح فى بحر القدس إلى انقضاء السبعة والسدس، وهنــاك تبعــث النفوس وتؤتى بالمعقول والمحسوس، وتبقى الحالة على أولها بين رهــين حبــيس وأمين عروس، فسبحان من طور خلقه بين أخرق عابث ومدبر مَسُوس.

انظـــر إلـــى العـــرش علـــى مائـــه * ســـــفينة تجـــــرى بأســـــمائه

يا عجـب لــه مــن مركــب دائــر * قـــد أودع الخلـــق بأحشـــائه

وموجـــه أحـــوال عشـــاقه * وريحـــه أنفـــاس أبنائـــه

فلـــو تـــراه بـــالورى ســـائراً * مـــن ألـــف الخـــط إلـــى يائـــه

ويرجـــع العـــود إلـــى بدئـــه * ولا نهايـــــات لإبدائــــــه

يكـــوِّر الصـــبح علـــى ليلـــه * وصـــبحه يفنـــى بإمســـائه

فـــانظر إلـــى الحكمـــة ســـيارة * فـــى وســـط الفلـــك وأرجائـــه

ومَـــنْ أتـــى يرغـــب فـــى شـــأنه * يقعـــد فـــى الـــدنيا بعيَّائـــه

حتـــى يـــرى فـــى نفســـه فلكـــه * وصـــــنعة الله بإنشـــــائه

(معقل أنه): ألم يعلم الحكيم أن حقيقة هذا المعقل الكريم الصدق دمع حـــار ولهيب أوزارٍ من عاشقٍ ذى أعذارٍ كذوب غدار يشكو انتزاح الدار وبُعد المـــزار، والمحب إذا اشتاق زوَّار، متى اقتفى الآثار، متى عطل العشـــار، متـــى امتطـــى القطار، وثبج البحار، متى جاب البحار، متى جاب الأمصار، متى آل أن لا يقر له قرار، حتى يصل الديار بالديار، هيهات لعبت به الأعصار فاشتغل بملاعبة الأبكار، واستنشاق نفحات الأزهار، ولذة الاستثمار، وتغاريد الأطيـــار، وترجيـــع القيـــان بالأوتار عن مراعاة كواكب الأسحار، عميت الأبصار، كَلَّ وحار، شكى الضِّرَار، أهلَّ هلال الإفطار كأنه شطر سوار، مشرق استنار صنعة حليم وصيغة جبار، فلك دوار هلال أبدار وسر التقيا بمعاقد الأزرار، ماء ونار ما التقيا إلا لإكبار، تشاجرت الأغيار، أضرمت للحرب نار الدار البدار لطلب الأوتار، أشرعت شـــفار ســـيوف غوار من كل ماضى الفرار، الحد طوراً باليمين وطوراً باليسار، شدَّ الآسار، حـــلَّ البوار بساحة الكفار، بئس عقبى الدار، وقع الصلح على الدينار، عن ذلة وصغار،

أشرق الإيمان وأنار، انحلت عقد الإصرار، اصطحب الأسد والخوار، صار الزئير لا يستوحش منه الخوار، حفظ حق الجار تخلق المحسن بالإيثار، صارت سـيئات المقربين حسنات الأبرار، نِعْمَ القرار خير دار فى أتقياء أخيار، قعـد فـى نـادى التذكار، سردت نوادر وأخبار، قام خطيب من آل سيار لا يُشَق له غبـار، دعانـا بإسرار، إماءً وأحرار، أين النظار وأهل الاعتبار؟ متى كان الإبدار؟ لاحت الأنوار، أذهبت ظلم الأغيار، والأغيار محل العثار، ومتى كان السـوار؟ بـدت الأسـرار والأسرار تمحو الآثار، والآثار محك ومعيار على النفوس والأبشار، فهى رفيعـة المنار، مشرقة بالعشى والإبكار، عبد مختار، استعمل الأذكار، فساقت الأفكار، بين مقيم وسيار، فأطال الانتظار، فوهب الأخبار، فنزل يسيراً حين ضحوة نهار، فوقع الإنكار، رفعت الأستار، طلع بدر التسليم فأنار، وأذعن الكل لهلالـى الاستبشـار، ورسولى الملك القهار.

يـا هـلال الـدياجى لُـحْ بالنهـار * فلقـد كنـت نزهـة الأبصـار

أنـت محـو وأنـت للعـين بـدر * بتجليـك فـى الضـياء المعـار

فـإذا مـا بـدا هـلال المعـانى * طالعـاً مـن حديقـة الأسـرار

قـل لـه بالتواضـع المتعـالى * لا بـنفس الـدعاوى والإنكـار

يـا هـلالاً بـين الجـوانح سـار * لا تفـارق حنـادس الأغيـار

كـن عبيـداً لقصـرها ومليكـاً * بعـد محـوٍ ينـالكم فـى السـرار

حكمـة قـد تحيَّـر العقـل فيهـا * وسـراجان أسـرجا بنهـار

عجبـاً مـن سـناهما كيـف لاحـا * وسـنا الشـمس مـذهب الأنـوار

كـل نـور فـى كـل قلـب معـار * ما عـدا كـل قلـب وارث مختـار

فاشـكر الله يـا أخـى علـى مـا * وهبتـه نتـائج الأفكـار

المرتبة الثانية فى علم الهداية:

الفلك الرابع الإسلامى: الموقع الثانى العلمى

نجم هداية وقع بقلب الإمام المدبر فى عالم الشهادة فاهتدى، قال من غمرنا بنعماه وحبانـــا برحمـــاه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران:١٨] أخبر سبحانه وتعالى عباده بشرف العلم حيــث وصف به نفسه، فينبغى لك أيها الابن الموفق أن تعتقد فيه الشرف التام وليس فـــى الصفات أعم منه تعلقاً لتعلقه بالواجبات والجائزات والمســـتحيلات، وغيـــره مـــن الصفات ليس كذلك، واعلم أن الشرف الذى للعلم شرفان: من حيث ذاته، ومن حيث معلومه، فالذى من حيث ذاته كونه يوصلك إلى حقيقة الشىء على ما هـــو عليـــه ويزيل عنك أضداده إذا قام بك، فالجهل بذلك المعلوم والظن والشك والغفلـــة ومـــا ضاده والذى له من حيث معلومه، يكسبه ذلك الشرف، فكما أن بعض المعلومـــات أشرف من بعض كذلك بعض العلوم أشرف من بعض فكثيّر[1] بين من قام به العلم بأوصاف الحق تعالى وأفعاله وبين من قام به العلم بأن زيداً فى الدار وخالداً فـــى السوق[2]، فكما أن ليس بين المعلومين مناسبة فى الشرف كـــذلك العلمـــان، فهـــذا

---

(١) أى: ففرقٌ كثيّر.

(٢) قال الشاعر فى شرف العلم وفضله:

علم العليم وعقل العاقـــل اختلفـــا * من ذا الذى منهما قد أحرز الشـــرفا

العلم قـــال أنـــا أحـــرزت غايتـــه * والعقل قال أنا الـــرحمن بـــى عرفـــا

فأفصح العلم إفصاحاً وقـــال لـــه * بأيّنـــا الله فـــى قرآنـــه اتصـــفا

فبـــان للعقـــل أن العلـــم ســـيده * فقبّل العقـــل رأس العلـــم فانصـــرفا

الشرف الطارئ على العلم من المعلوم، ثم إن الله تعالى مدح من قامت بــه صــفة العلم وأثنى عليه ووصف بها عباده كما وصف نفسه فى غير ما موضع من الكتاب العزيز، قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران:١٨] فأخبر تعالى أن العلماء هم الموحدون على الحقيقــة، والتوحيد أشرف مقام ينتهى إليه وليس وراءه مقام إلا التشبيه أو التعطيل، فمن زلت قدمه عن صراط التوحيد رسماً أو حالاً وقع فى الشرك، فمــن زلــت قدمــه فــى الرسمى فهو مؤبد فى الشقاء لا يخرج من النار أبداً لا بشفاعة ولا بغيرها، ومــن زلت قدمه فى الحال فهو صاحب غفلة يمحوها الذكر وما شاكله، فإن الأصل بــاقٍ يرجى أن يجبر فرعه بمَنِّ الله وعنايته وليس الفرع كذلك. قال أيضاً جل ثناؤه فى صاحب موسى عليه السلام: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف:٦٥] وهو علــم الإلهام، والعالم أيضاً صاحب إلهام وأسرار، وكقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر:٢٨] فالعالم أيضاً صاحب خشية وكقوله تعــالى: ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٣] فالعالم أيضاً صاحب الفهم عن الله تعــالى، العالم بحكم آيات الله وتفاصيلها وكقولــه تعــالى: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران:٧] فالعالم هو الراسخ الثابت الذى لا تزيله الشُــبَه ولا تزلزلــه الشــكوك لتحقيقه بما شاهده من الحقائق بالعلم، وكقولــه تعــالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء:١٩٧] فالعلماء هم الذين علموا الكائنات[1]

---

(١) أى: علموا بعض ما هو كائن فى كون الله تعالى بإعلام الله إياهم ذلك عن طريق الكشفات للمغيبات بشيء يجعله الله فى قلوبهم كأنه العيان، وهذا أمر ذوقى يعرفه من أوقع الله فــى

قبل وجودها وأخبروا بها قبل حصول أعيانها، وهى الصفة الشريفة التى أمـــر الله تعالى نبيه محمـــداً ﷺ بالزيـــادة منهـــا فقـــال تعـــالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه:١١٤] ولم يقل له ذلك فى غيره من الصفات وإنما أكثرنا هذا فى العلم لأن فى زماننا قوماً لا يحصى عددهم غلب عليهم الجهل بمقام العلم ولعبت بهـــم الأهـــواء حتى قالوا: "إن العلم حجاب"(١)، ولقد صدقوا فى ذلك لو اعتقدوه، إى والله حجـــاب عظيم يحجب القلب عن الغفلة والجهل وأضداده، فما أشرفها من صفة – حبانـــا الله بالحظ الوافر منها – وكيف لا يفرح بهذه الصفة ويهجر من أجلها الكونان؟ ولهـــا شرفان كبيران: الشرف الواحد أن الله سبحانه وصف بها نفسه، والشرف الآخـــر: أنه مدح بها أهل خاصته من أنبيائه وملائكته ثم مَنَّ علينا سبحانه ولم يزل ماناً بأن جعلنا ورثة أنبيائه فيها، فقال ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء**» فلأى شىء يا قوم ننتقل من اسم سمانا الله به ونبيه إلى غيره ونرجحه عليه ونقول فيه عارف وغير ذلـــك، والله ما ذلك إلا من المخالفة التى فى طبع النفس حتى لا توافـــق الله تعـــالى فيمـــا سماها به ورضيت أن يقول فيه عارف وتقول عالم – نعوذ بـــالله مـــن حرمـــان المخالفة – ولو لم يكن فى المعرفة من النقص عن درجة العلم فى اللسان العربـــى إلا أنها تعطيك العلم بشىء واحد فلا يحصل لك سوى فائدة واحدة لأنها تتعدى إلى مفعول واحد والعلم يعطيك فائدتين لتعديه إلى مفعولين، ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [الأنفال:٦٠] لما ناب العلم هنا مناب المعرفة وجعـــل بدلاً منها تعدى إلى مفعول واحد فلحقه الحرمان بالنيابة، وإن كان العلم والمعرفـــة

قلبه ذلك، وربما كانت المعرفة أيضاً حاصلة بالإعلام من خلال الرؤيا الصالحة التى تكـــون مثل فلق الصبح من حيث تحققها وحصولها فى الواقع.

(١) ومعنى قولهم: "العلم حجاب" أى: إذا اتخذ العلم لممارة السفهاء ومجادلة العلماء والكبـــر والتعالى على الناس.

فى الحد والحقيقة على السواء من كشف الشىء على ما هو عليه، فما لنا لا نبقــى على ما سمانا به الحق ولا نخالف، بل أقول إن هذا القابل بإطلاق المعرفــة فــى الموضوع الذى يجب فيه إطلاق العلم بلزوم الأدب الإلهى أنه لو تحقــق بــالورِث النبوى ما سمى ذلك المقام إلا علماً ولا سمى صاحبه إلا عالماً كما فعل سهل بــن عبد الله حين قال: "لا يكون العبد بالله عارفاً إلا إذا كان به عالماً، ولا يكــون بــه عالماً إلا إذا كان رحمة للعالمين"، وقال بعد هذا: "والسماء رحمة للأرض، وبطــن الأرض رحمة لظهرها، والآخرة رحمة للدنيا، والعلماء رحمــة للجهــال والكبــار رحمة للصغار، والنبى رحمة للخلق، والله رحيم بخلقه"، فيا مَن وفقك الله أين جعل سهل العالم؟ وفى أى مقام أنزله؟ وبمن شبَّهَه؟ فالحمد لله الذى وفقنا بالاطلاع على ما خالفه هذا الإمام وهو حجة الله على الصوفية المحققين، كذا ذكر القاسم الجنيــد فى كلامٍ له يقول فيه: "إن سليمان حجة الله على الملوك[1]، وأيوب حجة الله علــى أهل البلاء"، وذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وجعلهم حجــة علــى أصــناف المدعين، ثم قال بعد ذلك: "ومحمد ﷺ حجة على الفقراء"، قال: "وسهل بن عبد الله حجة على المحققين"، هذه شهادة[2] الجنيد الذى قال فيه أبو القاسم القشــيرى فــى رسالته فى ذكر الشيوخ حين ذكره فقال: "والجنيد هو سيد الطائفة"، وأبــو القاســم القشيرى من أئمة القوم أيضاً، فالحمد لله على الموافقة، وإنما قال سهل فى كلامــه الذى ذكرناه: لا يكون العبد بالله عارفاً إذا كان الجارى على ألسنة القوم فأعطاه ما تواطئوا عليه أن يذكر ما ذكره حتى يفهم عنه، وأعطاه الأدب الإلهى والمقام أن لا يسميه إلا عالماً، وأخرج[3] أبو طالب فى القوت عن سهل – رضى الله عنهمــا – قال أبو طالب: "قال عالمنا: للعالِم ثلاثة علوم – يريد سهلاً رحمه الله – علم ظاهر

(١) فعلى طريقته وعدله وحكمه ينبغى أن يحكم الملوك.

(٢) فى المخطوط (شاهدة) والمثبت أولى.

(٣) المثبت من المطبوع لانطماسه بالأصل.

يبذله لأهل الظاهر، وعلم باطن لا يسع إظهاره إلا لأهله، وعلم هو سر بين العـــالِم وبين الله هو حقيقة إيمانه، لا يظهره لأهل الظاهر ولا لأهل الباطن[١]، فانظر كيف أطلق سهل عليه اسم العالم وعلى ذلك العلم ولم يقل العارف ولا المعرفـــة لـــلأدب الذى ذكرناه آنفاً، فلما نقص غيره عن ذلك المقام الشريف ولم تتعلق همته إلا بشىء واحد إما بربه أو بنفسه أعطاه المقام بذاته أن يسمى نفسه عارفاً، فإن الكمال علـــى الحقيقة إنما هو فيمن شاهد نفسه وربه، وهو المعبر عنه ببقاء الرسم[٢] عند القـــوم وبه يقول النَّهْرَجُورى وغيره، فمن شاهد ربه عرياً عن مشاهدة نفسه حالاً كما قال بعضهم فهو عارٍ عن الفائدة صاحب نقص؛ فإن الحق إذ ذاك يكون الذى شاهد نفسه بنفسه وكذلك كان فأىُّ فائدة أتى بها هذا الفانى عن نفسه على زعمه المشاهد لربه حالاً المدعى مشاهدةً لا يصح وجودها أصلاً كما يقول بعضهم للحال الذى يدخلـــه فيها، وإنما هو تلبيس فى المقام التبس عليه فى مشاهدة ربه ببقاء الرسم حالاً أفنـــاه عن رسمه علماً بتولى الحق له فى تلك المشاهدة فتخيل الفناء حالاً فى الرسم بـــل تلك الحالة ادعاها حالة النائم الذى قد استغرق النوم حسَّه ونفسَه فلا هو مع الحـــس ولا هو مع الخيال، كذلك مدعى هذا المقام لا هو مع نفسه ولا هو مع ربه، وإنمـــا هو هذا النائم الذى نصبناه مثالاً للتقريب عليك، فإذا استيقظ هذا النائم قيل له: قـــد فاتك علم كثير طراً بعدك فى عالم الحس فما حصل لك فى عالم الخيال؟ فيقول: ما رأيت شيئاً، فيقال لهذا الشخص: لقد خسرت الوقت فلا معنا ولا مع نفسك، وهـــذه حالة مدعى هذه المشاهدة التى لا تصح ولا نطق بها – والله أعلـــم – إلا صـــاحب

---

(١) وهذا موافق لما ورد أن العلم ثلاث: علم بثَّه النبى ﷺ بين الناس عامةً، وعلم اختص بـــه بعض أصحابه، وعلم لم يبثه لأحد.

(٢) الرسم: هو الخلق وصفاته؛ لأن الرسوم هى الآثار، وكل ما سوى الله آثاره الناشـــئة مـــن أفعاله، وإياه عنى من قال: الرسم نعتى يجرى فى الأبد بمـــا جـــرى فـــى الأزل. "المعجـــم الصوفى" د/الحفنى.

قياسٍ فاسدٍ على طريق القوم – رضى الله عنهم – أو من التبس عليه العلم بالحال، فإن أتى بفائدة فى مشاهدته لم تكن عنده وأنكر بقاء الرسم بالحال فهذا غير عارف ببقاءِ الرسمِ صحيحِ المشاهدةِ، التبس عليه بالحال، فهذا صاحب نقص كمـــا تبـــين، وكذلك الثانى أيضاً من شاهد نفسه ولم يشاهد ربه فهو مشرك صاحب دعوى وغفلة – نعوذ بالله من هذين المقامين– والكامل على التحقيق الذى هو كامـــل لا يوجـــد غيره إلا مجازاً من شاهد ربه علماً وحالاً وشاهد نفسه حالاً لا علماً؛ فإن المعلـــوم المشار إليه هنا معدوم أصلاً، وإلى هذا المقام أشار أبو العباس القاسم بـــن القاســـم السيارى بقوله: "ما التذ عاقل بمشاهدة قط لأن مشاهدة الحق فناء[1] ليس فيها لذة إلا أنه قوى على صاحب هذه المشاهدة مشاهدة العلم على مشاهدة الحال وإن حصـــلا فى مقام واحد"، وهذا الشيخ يقول ببقاء الرسم بدليل قوله: ما التذ عاقل وهـــذا هـــو بقاء الرسم، فإن قلنا فيه: وشاهد نفسه حالاً وعلما كما قلنا فى مشاهدة ربـــه فإنمـــا يتعلق هنا بمعلوم معدوم غير موجود رأساً، فإذا تقرر هذا وتبين أنه الحـــق فهـــو صاحب فائدتين: فائدة المعاينة، وفائدة اللذة والمعرفة التى تحصل له عند المعاينـــة ببقاء الرسم فى المشاهدة، وصاحب الفائدتين هو العالم المطلق كما قلنا بالمعقولين، ومن لم يتحقق هذا المقام فهو العارف ذو الفائدة الواحدة من هاتين الفائدتين اللتـــين للعالم كما تقدم، فلو صحت الموافقة مع الحق كما ذكرناه فى نجم العناية المتقدمـــة لصح التوفيق فى عالم الشهادة كما نقول بفضل العلم على المعرفة والعـــالم علـــى العارف. الكلام الذى ذكرناه عن سهل – رحمه الله – حكاه القاضى الزاهد أبو عبد الله الحسين بن موسى السلمى النيسابورى فى "إيضاح الطريق فى أصـــول أهـــل

(١) الفناء: هو تبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية دون الذات، فكلما ارتفعت صفة قامـــت صفة إلهية مقامها، فيكون الحق سمعه وبصره كما يقول رسول الله ﷺ: «كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به...». "المعجم الصوفى" د/الحفنى، مع زيادة.

التحقيق" المسمين بالملامتية[1] له، والكلام الذى ذكرناه عن الجنيد فى سهل مذكور فى كتاب "منتخب الأسرار فى صفة الصديقين والأبرار"، والكلام الذى ذكرناه عن أبى العباس السيارى مذكور فى "رسالة القشيرى"، ومما يؤيد ما ذكرناه فـــى حـــق العارف أنه دون العالم الصديق لو شرح الله صدر من فضَّله على العالم وتأدب مع الحق تعالى إذ هم أهل الأدب معه بشرط الحضور أنَّ الله ما سمى عارفاً إلا مـــن كان حظه من الأحوال البكاء، ومن المقامات الإيمان بالســماع لا بالعيـــان، ومـــن الأعمال الرغبة إليه سبحانه والطمع فى اللحوق بالصالحين وأن يكتب مع الشاهدين قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ [المائدة:٨٣] ولم يقل: "علمـــوا" فوصـــفهم بالمعرفـــة، ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ [المائدة:٨٣-٨٥] فأخبر تعالى أن سماعهم من الكتاب الكبير لا من أنفسهم، وهنا إشارة يفهمها أصحابنا ثم قال: ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ﴾ ولا تشك أن الصديقية درجة فوق هاتين الصفتين اللتين طلب العارف أن يلحق بهما فهو دونهما وقد سمى عارفاً وقال تعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النساء:٦٩]، فـــانظر إلـــى هـــذه الدرجات، ثم لتعلم أن الشهداء الذين رغب العارف أن يلحق بهم هم العاملون على الأجر وتحصيل النور، وأن الله تعالى قد برأ الصديقين مـــن الأعـــواض وطلـــب

(١) الملامتية: هم الذين لم يظهر على ظواهرهم مما فى بطونهم أثر البتة، وهم أيضاً: مـــن لا يظهرون خيراً ولا يضمرون شراً. المعجم الصوفى – د/الحفنى.

الثواب؛ إذ لم يقم بنفوسهم ذلك لعلمهم أن أفعالهم ليست لهم عياناً، فلم يتجه لهم أن يطلبوا عوضاً بل هم العبيد على الحقيقة، والأجراء مجازاً[١].

قـــال تعـــالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ﴾ [الحديد:١٩] ولم يذكر لهم عوضاً على عملهم إذ لم يقم لهم خاطر به أصلاً لتبريهم من الدعوى. ﴿ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡ ﴾ [الحديد:١٩]، وهـــم الرجال الذين رغب العارف أن يلحق بهم ويرسم فى ديوانهم، وقد جعلهم تعالى فى حضرة الربوبية ولم يشترط فى إيمان الصديقين السماع كما فعل بالعارفين حكمـــةً منه سبحانه. لنا أن نتعلم الأدب وكيف نرتب الوجود حتى ننزل كل موجود منزلته، وأين تقتضيه مرتبته ونقتصر على الاسم الذى سماه به الحق وعرفه بـــه[٢]، فعلـــم الأسماء عظيم وفيه يظهر أهل الطريق مع الله، وبه صح الشرف لأبينا آدم عليـــه السلام، فلو قال آدم عليه السلام يسمى البغل حماراً مثلاً اصطلاحاً منى لأن آبـــاء الحمار لم يكن يقف عندما علمه الله، فصاحب الأدب المراعـــى حرمـــة الحضـــرة الإلهية يقف عندها ويمشى معها، فإذا رمت له شيئاً لم يعرفه باسمه حينئـــذ لـــه أن يصطلح مع نفسه فى تسميته بما يقارب معناه إن كان حكيمـــاً، ثـــم انظـــر بعـــين البصيرة أدب رسول الله ﷺ أين جعل العارف حيث جعله الحق فقال: «**من عـــرف نفسه عرف ربه**» ولم يقل: "علم" فلم يزله عن حضرة الربوبية ولا عن نفسه التى هى صاحبة الجنة كما قال تعالى: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ ﴾ [الزخرف:٧١]، فالعارف صاحب الشهوة المحمودة تربيته بين يدى العالِم الصدِّيق، فتأدب يا غافل عن ملاحظة الحقائق، معذرةٌ[٣] أعتذر بها عن أصحابنا فى تسميتهم

(١) فى المخطوط (أجانب) والمثبت الصحيح وهو من المطبوع.

(٢) فى المخطوط (وعرفيته) والصحيح المثبت.

(٣) يعنى: هذه معذرة.

صاحب المقام الذى ذكرناه آنفا عارفاً ولم يسموه عالماً كما قررنا، وهو كان الأولى والأسدد من كل وجه، ولا عذر لمن تحقق بالمقام المذكور فى حَيْدَتِه عن اسم العالم إلى العارف، فإن الحكم يتوجه عليه فــى دعــواه بلســان ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام:٩١] ويمشى حاله مع الأدب الإلهى، كما يعطيه المقام، ولكن غلبت عليهم – رضى الله عنهم – الغيرة على طريق الله لما رأوا أنه قد شاع فى العالم أنه يسمى عالماً من كان عنده علم ما من العلوم وإن كان قد أكب علــى الشهوات وتورط فى الشبهات بل فى المحرمات وآثر الكثير على القليل ﴿ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ [النساء:٧٧] وهو عالم بهذا فعمَّر دنياه وخرَّب آخرته، فهذا شخص تناقض أفعالُه أقوالَه، وهو من الثلاثة الذين تَستَعِرُ بهم النار قبل كل أحدٍ كما صــح فى الحديث الذى خرجه مسلم عن أبى هريرة، ثم إن تاب ورجع فإن النفس مالكــة له وحاكمة عليه، فغاية مجاهدته أن يقنع بحظٍّ ما دنيٍّ من الجنة على أنه ليس ثمــة من دنيٍّ، ومع هذا كله يطلق عليه اسم العالم، فرأوا – رضى الله عنهم – أن المقام العالى الذى حصل لهم ولساداتهم كان أولى باسم العلم وصاحبه بالعالم كما ســماه الحق، فأدركتهم الغيرة أن يشاركهم البطال فى اسم واحد فــلا يتميــز المقــام ولا يقدرون على إزالته من البطال لإشاعته فى الناس فلا يتمكن لهم ذلك، فأداهم الحال إلى تسمية المقام معرفة وصاحبه عارفاً، فإذاً العلم والمعرفة فى الحد والحقيقة على السواء، ففرقوا بين المقامين بهذا القدر، فاجتمعنا والحمد لله فى المعنى واختلفنا فى اللفظ؛ إذ هذا الطريق الذى لا يتصور فيه خلاف فى المعنى أصلاً، فإذا وجد فإنمــا هو راجع إلى الألفاظ خاصة ولكنه فىْ حقهم بالإضافة إلى من آثر تسمية الله على اصطلاحهم وقت غفلةٍ مرت عليهم لغلبة الغيرة عليهم، فيرجى لهم بقصدهم تنزيــه

المقام، وغيرتهم أن يحصل لهم ما حصل لأهل الحضور منا والحمـد لله المـنعم المتفضل.

هدايةٌ: حد هذا العلم وحقيقته المطلقة معرفة الشيء علـى مـا هـو بـه، والمقيدة: العمل، وهو الذى يعطيك السعادة الأبدية ولا يُخَالَف فيه، وكل من ادعـى علماً من غير عمل به فدعواه كاذبة إن تعلق به خطاب للعمل، وإذا تحقق ما أردناه وما أشرنا إليه فليقل من شاء ما شاء، وكل حجة تناقض ما أشرنا إليـه فداحضـة وعلى قائلها توبة من الله تعالى ومغفرة والله غفور رحيم، إن العلم نور من أنـوار الله تعالى يقذفه فى قلب من أراد من عبـاده، قـال الله تعـالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنعام:١٢٢] وهو العلـم، وهو معنىً قائم بنفس العبد يطلعه على حقائق الأشياء، وهو للبصيرة كنور الشمس للبصر مثلاً بل أتم وأشرف، وللعلماء فيه ثلاثة أقوال: منهم من قال باتحاده، ومنهم من قال بتوحيده، ومنهم من قال بتعداده لكل معلوم علم، وأنه لا يتعلـق أصـلاً إلا بمعلوم، يعنون العلم الحادث، ومنهم من قال على الإطلاق، ومنهم من قال: يتعلـق بمعلومين وثلاثة وتعداده على نوعين بتعداد المعلومات وبتعدد الزمـان، وهـذا لا يحتاج إليه فى هذا الكتاب فلنقبض العنان وننظر العلوم التى تقودنا إلـى السـعادة الأبدية.

بابٌ فيما يحتاج إليه من العلوم المرتبطة بالسعادة الأبدية

أجناس العلوم كثيرة منها: علم النظر، وعلم الخبر، وعلم النبـات، وعلـم الحيوان، وعلم الرصد، إلى غير ذلك من العلوم، ولكل جنس مـن هـذه الأنـواع وأمثالها فصول تقومها وفصول تقسمها، فلننظر ما نحتاج إليه فى أنفسنا مما تقترن به سعادتنا فنأخذه ونشتغل به ونترك مالا نحتاج إليه احتياجاً ضرورياً مخافة فوت الوقت حتى تكون الأوقات لنا – إن شاء الله تعالى – والذى نحتاج إليه من فصول هذه الأجناس فصلان: فصلٌ يدخل تحت جنس النظر، وهو علم الكلام، ونوع آخر يدخل تحت جنس الخبر، وهو الشرع، والعلوم الداخلة تحت هذين النـوعين التـى يحتاج إليها فى تحصيل السعادة ثمانية وهى: الواجب والجائز والمستحيل والـذات والصفات والأفعال، وعلم السعادة، وعلم الشقاوة، فهذه الثمانية واجبة طلبها علـى كل طالب نجاة نفسه، وعلم السعادة والشقاوة موقوف على معرفة ثمانية أشياء منها خمسة أحكام وهى: الواجب والمحظور والمندوب والمكروه والمباح، وأصول هذه الأحكام ثلاثة لابد من معرفتها: الكتاب والسنة المتواترة والإجماع، ومعرفة هـذه الأشياء لابد منها، والناس فى تحصيلها على قسمين: عالم، ومقلّد لعالم، فإذا علمها الطالب وصح نظره فيها توجهت عليه لطائف التكليف فاختصت من الإنسان بثمانية أعضاء: العين والأذن واللسان واليد والبطن والفـرج والرجـل والقلـب، والعلـم بتكليفات هذه الأعضاء هو العلم بالأعمال القائدة إلى السعادة إذا عمل بها على حـد ما نذكره فى نجم الولاية عقب هذا النجم.

العلوم يا بنى – وفقك الله وشرح صدرك – هى الأنـوار التـى قـال الله سبحانه فيمن علمها: ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [الزمر:٢٢] وقال فيها جل اسمه: ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ ﴾ [التحريم:٨]، وقـال رسـول الله ﷺ:

«بشّر المشّائين فى الظُّلَم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة» الأنوار لها ثمانية ألقاب، ولكل نور رجال، وهم ثمانية أصناف، ولهم ثمانية مقامات، ولها ثمانية ظُلَم، فأصحاب الشهوات فى هذه الظلمات تائهون، كما قال تعالى: ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [البقرة:١٧]، وأصحاب الحضور[1] والعناية فى الأنوار ينعمون فهم على نور من ربهم، وطائفة أخرى وهم أهل التخليط تــارة مع النور وتارة مع الظلمة، وهم المعترفون بالذنوب، ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة:١٠٢].

هــزم النـــور عســكر الأســحار * فــأتى الليــل طالبــاً للنهــار

فمضـــى هاربـــاً فـــرار خـــداع * والتـــوى راجعـــاً علـــى الأســحار

وهذه الأنوار تسبح فى ثمانية أفلاك، ولها ثمان حركات، وثمانية مشــارق وثمانية مغارب، وثمانية مواسط حيث نقطة الاستواء، وتقابلها نقطــة الاســتواء، وتقابلها نقطة الحضيض، فألقابها الشمس والهلال والقمر والبدر والكوكب الثابــت والبرق والسراج والنار، ورجالها ومقاماتها ثمانية، فالنور الشمسى لأهل المعرفة، والهلالى لأهل المراقبة، والقمرى لأهل الاعتبــار، والبــدرى لأهــل المســامرة، والكوكبى لأهل المراعاة، والسراجى لأهل الخلوات، والنارى لأهــل المجاهــدات، والبرقى لأهل العلم أهل الاختصاص الجامعين المقامات وهم أهل الذات[2]، وهــو أرفع الأنوار وأعلاها وهو لمح يخطر للعالم لا يثبت لقوته فإنه مهلك لكــن فائــدة عظيمة لمجيء رعد الهيبة بعده وأمطار الأسرار، هذا إذا كان تجلى هيبة فإن تجلى

---

(١) الحضور: حضور القلب لما غاب عن عيانه بصفات اليقين، فهو كالحاضر عنده وإن كــان غائباً عنه، يقول النورى: "إذا تغيبتُ بدا، وإن بدا غيبنى". المعجم الصوفى – د/الحفنى.

(٢) وهذه المسميات باعتبار قوة النور فى كل واحدة منها.

جمالاً فهو الخلب، فهؤلاء هم رجال هذه الأنوار وأحوالهم، وأما مقاماتها فثمانية – وأعنى بمقاماتها مدلولاتها التى هذه الأنوار دلائل عليها – فمدلول البـــدر: الـــدنيا الكبرى، ومدلول الكوكب الثابت: الدنيا الصغرى، ومدلول السراج: الجنة الكبـــرى، ومدلول النار: الجنة الصغرى، ومدلول القمر: جهنم الكبرى، ومدلول الهلال: جهنم الصغرى، ومدلول الشمس: صفات المعني، ومدلول البرق: صفات النفس، والكبرى من هذه فى العالم الإنسانى، والصغرى فى العالم الكبير، فانظر وتحقق، وظلمـــات هذه الأنوار ثمانية: فنور الشمس يزيل ظلمة النفس، ونور الهلال يزيل ظلمة الشك، ونور القمر يزيل ظلمة الغفلة، ونور البدر يزيل ظلمة الخيانة، ونور الكوكب يزيل ظلمة الجهل والشبهة، ونور السراج يزيل ظلمة الوسوسة، ونور النار يزيل ظلمـــة الرعونة والكون، ونور البرق يزيل ظلمة الريبة، وأسرار هذه الأنوار كثيـــرة لـــو ذكرناها لخرجنا عن المقصود من الاختصار، وهذا النور البرقى يغشى الأبصـــار ويرمى صاحبه فى بحار العجز والحيرة لا يدرك بقياس ولا يحصـــل بمثـــال ولا يرتقم فى الخيال، هو السر الذى مُنِعْنَا عن كشفه وهو المانع نفسه لفردانيتـــه فـــى الوجود وتقديسه عن القياس والتشبيه، فلا يقوى أحد على التعبير عنه أصلاً لعـــدم اجتماع اثنين على معرفة المعنى الذى يليق به وأنه متى أخذ رسماً بخسيس قيـــاس أو مثال بعيد عن المقصد كان وبالاً على صاحبه وناقض ما كان فى نفســـه مـــن التنزيه له، وصار الوهم مسلطاً بالتقدير، فإن تعطش المريد لنيل هذا السر الموهوب الحاصل بالذوق لأرباب القلوب الذى لا تستقل بإدراكه العقول، إذ لا توحيد كـــاملاً مع معقول طلب الطريق الموصل إليه وهو التخلق السماوى والوصف الربانى حتى يفنى عن كل كائن وغير كائن، وحينئذ بالحرى أن يذوق إذ بدت منه لائحة أو تنسم منه رائحة على قدر محوه[1] وإثباته وفنائه وبقائه وما يريده الواهب فيلتذ به إذ ذاك

---

(١) المحو: أن ترفع أوصاف العادة بحيث يغيب العبد عندها عن عقله، ويحصـــل منـــه أفعـــال وأقوال لا مدخل لعقله فيها كالسكْر. يقول تعالى: ﴿يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد:٣٩].

فى نفسه كذائق العسل والناظر إليه مع من عدم حساسة الذوق، فهو ناظر فى ذات العسل غير عارف بمعناه وحَدَّه فهل يتساويان فى اللذة؟ أبداً ولو سردت القراطيس أقيسة وأمثلة ما التذ أبداً لذة الذائق له، فكم بين رجلين فى مشاهدة العيان مشتركين وفاز أحدهما بلذة حقائق الامتنان، فازوا وخسر البطالون والله ما سبق مقصر مجداً أبداً، فما أشرف الإنسان من حيث هو مجتمع الموجودات ومحل المضاهات ومرآة المؤمن فى الذات والصفات، وما أوضعه حيث عمى عن معاينة ما أخفى له مـــن قرة أعين، يا أسفاه إذا فاز بلذة وجوده سواه.

اعلم يا بنى – وفقك الله بتوفيق الصالحين المختصين بنور البرق الذاتى – أن لهذه الأنوار السماوية والأقمار العلوية الروحانية أفلاكاً من جنسها على أنواعها تسبح فيها ما دامت هذه الهيئة الإنسانية الفلكية، فنور المجاهدة يسبح فى فلك معرفة عيوب النفس ودورانه من المغرب إلى المشرق، ونور الخلوات يسبح فى فلك اتقاء الأوقات[1] ودورانه من المشرق إلى المغرب، إذ لو انعدمت الأغيار لم يحتج إلـــى خلوة وهى ظاهر الكون، فلهذا كان دورانها من المشرق إلـــى المغـــرب، وعلـــى الظاهر والباطن تنظر دوران هذه الأفلاك، فأصل حركات هذه الأفلاك من المغرب إلى المشرق وأحكامها فى الوجود من المشرق إلى المغرب، ولما كان الباعث على المجاهدة فى ظاهر الكون المراد اهتمام القلب لحسرة السباق شرع فـــى تضـــمير الجواد العتيق وتربيض الصعب الفنيق حتى يحوز قَصَب السَّبْق فى شـــأو الحـــق؛ ولهذا كان دورانه من المغرب إلى المشرق، ونور المراعاة يسبح فى فلك ترتيـــب المعاملات ودورانه من المشرق إلى المغرب، ونور المراقبة يسبح فى فلك محافظة الحدود ودورانه من المشرق إلى المغرب، ونور الاعتبار يسبح فى فلـــك مـــوازين الأعمال ودورانه من المشرق إلى المغرب، ونور المسامرة يسبح فى فلك التـــدبير

المعجم الصوفى – د/الحفنى.

(١) أى: اتقاء شرور الأوقات، واتقاء فواتها من غير التقرب إلى الله، والله أعلم.

ودورانه من المشرق إلى المغرب، ونور المعرفة يسبح فى فلك المشاهدة ودورانـه من المغرب إلى المشرق، وفى هذه الأفلاك لها دورتان مختلفتان فى أوقات، وأمـا النور الذاتى الذى هو نور العلم فإنه يسبح فى فلك التوحيد وليس لـه مشـرق ولا مغرب وهو أصل مادة النور كما قال تعالى: ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ [النور:٣٥] لكن يظهر نوره للذائق لـه المعـاين المحقـق ونتيجته اتحاد الأشياء وفناء الكون عنده بالعلم والحال على حسـب مـا تقتضـيه الحقيقة حتى يكون التوحيد موجوداً موحداً ولا شئ معه كما كان وكالـذى هـو، ومثاله طلوع الشمس من مغربها حيناً ما؛ ولهذا أعطيناه من أنوار الحـس البـرق لسرعة زواله فيعود الغرب شرقاً فتشرق الجهات ولا يبقى مغرب وإذا انتفى الفناء من حيث أمر ما لا من حيث الذات، ولما كانت أبواب التوبة تغلق عنـد ذلـك ولا يرتفع عمل كذلك الذائق لهذه الحقيقة يذهب رسمه ويزيل تكليفه وتفنـى ذاتـه؛ إذ حقيقة المقام تعطى ذلك، فإذا رد لعالم الكون بالتبليغ على أى وجه كان صار حاله فى حضرة التفريق متحركاً وحقيقته هناك ساكنة كشفاً وعلماً كما هى رسماً وحكماً.

يا بنى إن لهذه الأفلاك حركات وهى دورانها الذى ذكرناه، وينبغى لك أن تعرفها حتى تضع كل حركة على فلكها إذا تخلقت بها والله الموفق.

فاعلم أن حركة فلك عيوب النفس: المسارعة إلى الخيرات، وحركة فلـك اتقاء الأوقات: المسابقة إلى مجالس العلماء، وحركـة فلـك ترتيـب المعـاملات: المبادرة إلى معرفة الأوقات، وحركة فلك محافظة الحدود: المجاراة إلـى الوفـاء بالعهود، وحركة فلك موازن الأعمال: الانتهاض إلى محاسبة النفس، وحركة فلـك التدبير: الاستعداد إلى التلاوة بتفريغ الخـواطر، وحركـة فلـك المعرفـة: دوام الإخلاص، وأما حركة فلك النور العلمى الذاتى فسكون دائم، ولكن ليس السـكون الذى هو ضد الحركة بل هو سكون تنزيه وتقديس، فإن أضيف إليه يوماً ما حركة

على جهة ما فى حق من جهل الحقيقة فتكون حركة إفاضة ورحمة وغفران ووهب كما قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر:٢٢]، ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ [البقرة:٢١٠]، «**ينزل ربنا إلـى سماء الدنيا**»[1] وأشباه ذلك.





---

(١) **يشير إلى حديث: «إذا كان الثلث الأخير من الليل ينزل ربنا إلى السماء الدنيا فيقول: هـل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فأعطيه...».**

معرفة حركات هذه الأفلاك الروحانية ومعرفة مشارق هذه الأنوار ومواسطها فى الاستواء والحضيض ومغاربها

اعلم يا بنى – هنأك الاختصاص الإلهى والاجتباء والاعتنـــاء – أن لهــذه الأنوار مغرباً ومشرقاً وموسطاً وهى نقطة الاستواء ونقطة الحضيض يقابلها دورة الفلك، فمشرق نور المجاهدة التحول، وموسطه[1] الصـــمت، ومغربـــه الخـــرس، ومشرق نور الخلوات الإطراق فى المحافل، وموسطه الفرح بالانفصـــال عنهـــا، ومغربها الأنس فى كل الأحوال، ومشرق نور المراعـــاة الابتهـــال فـــى الـــدعاء، وموسطه الإجابة إلى الإجابة، ومغربه الأدب، ومشـــرق نـــور المراقبـــة إمســـاك الجوارح عن المحرمات، وموسطه إمساك النفس عن المباحات، ومغربـــه إمســـاك القلب عن طوارق الغلبة والكون غفلة فافهم، ومشرق نور الاعتبار الســـياحة فـــى البلدان، وموسطه الهرب إلى الآكام، ومغربه الوجود فى أى موضع كان، ومشرق نور المجاهدة المسامرة فى التهجد، وموسطه الالتذاذ بسماعه إياك، ومغربه تلاوته عليك، ومشرق نور العلم الولاية، وموسطه النبوة والرسالة.

---

(١) فى المخطوط: (موسطاه) فى هذا الموضع والذى يليه، والمثبت الصحيح.

الفلك الخامس: الإيمانى.

المطلع الثانى العيانى

هلال محاق، طلع بنفس الإمام المدبر فى عالم الجبروت والملكوت فاهتدى، ألم يعلم الشيخ الإمام أنه لما اجتمعت الأنوار فى نـادى المسـاجلة وأخـذوا فـى المناضلة وأنصت الجمع وألقى السمع أخبروا أولو المعاينة والفهم أنه ما طاش لأحد سهم إلا بحمد الله أصاب القرطاس، وأقام العدل فى افتخاره والقسطاس، وأول مـن قام الشمس فأظهر ما فى النفس صعدت الشمس على منبر القدس وقالـت: شـمس أشرقت النفس، أنارت الحس، فى الليالى الدمس، تعالت عن الجنس، تجلـت فـى حضرة الأنس، أنكره الإنس، لما وقع اللبس، وحبست بأضيق حبس، وقُيدت باليوم والأمس، جاء نداء الهمس، يدخل أكرم بَعْلٍ بأطهر عرس، فى بيت القدس، كفـرت العرب وآمنت الفرس، إذ هم الفصحاء الخرس، الله أعلم حيث يجعل رسالته مـن الخمس.

شعر:

شمس الهدى فـى النفـوس لاحـت * فأشـــرقت عنـــدها القلـــوب

الحـــب أشـــهى إلـــىَّ ممـــا * يقولـــه العـــارف اللبيـــب

يـــا حـــب مـــولاى لا تـــولّى * عنـــى فـــالعيش لا يطيـــب

لا أنـــس يصـــفو للقلـــب إلا * إذا تجلـــى لـــه الحبيـــب[1]

ثم نزلت وصعد الهلال، على منبر الوصال، وقال: هلال أهَلَّ فأزال، منـه شبه الاتصال بالمتعال، ببرهان الانفصال، فظهر المثل فى المثال كالآل أو الـلال،

---

(١) الأبيات من بحر البسيط.

فيما يعطيه الخيال، فصال، وتحكم وطال، وتكلم فأطال كلام عـــال، عـــذب زلال، سحر حلال، السابقة والمال، إلا بصفاء الأحوال ونتائج زكـــى الأعمـــال، وعلـــى الأعراف رجال، فى ميدان القتال، يوم تدعى نزال، عند الظهيرة والزوال، فالتزم يا بطَّال مقارعة الأبطال، ولا تشتغل بالمحال إن أردت أن تكون من أهل الوصال، ثم أنشد:

أهـــلَّ الهـــلال بشـــهر الصـــيام * وشـــهر الزكـــاة وشـــهر القيـــام

فصام الحكـيم عـــن اســـم الصـــفات * وأفطـــر ذاتـــاً بـــدار الســـلام

وقـــال أنـــا الحـــق فاســـتمتعوا * بنـــور التجلـــى وحســـن الكـــلام

تعـــالى الهـــلال بأوصـــافه * على بدره الفـــرد عنـــد التمـــام[1]

وصعد القمر على المنبر الأزهر، وقال: قمر طلع فنوَّر، وتكلـم فسـحر، ونظم ونثر، الجواهر والدرر، أنا الإكسير الأكبر، والبرزخ الأظهر، صاحب المقام الأزهر، والنور الأبهر، الله أكبر سبحانى لا أكثر نظر الناظر فاعتبر، جمـــالاً قـــد بهر، وجلالاً قد غمر، كل من شاهد ونظر، ممن تكشَّف أو تستَّر، العلم سر القدر، والمعرفة نتيجة الفكر، نفس تُقْبر، وشر يقهر، وروح تزهر، حمل الكل فمر، علـــى ذات ألواح ودسر، فالتقى الماء بالعين على أمر قد قدر، فهى تجرى بأعيننا جـــزاءً لمن كان كفر، جسم عبر لما قبر، روح تبهر، تبكى درر على العين، جاء الخبـــر، عند السَحر، ما ينتظر، يا روح سر للمقتدر، آن السفر عن البشر، حيـــث الســـرر، عش فى نهر، على سرر، يوم أغرّ، ظل نثر على الزهر، لا ينتظر من قال بشـــر، إن الأشر، إذا بطر يصلى سقر، ثم أنشد شعرٌ[2]:

شـــاهد الغيـــب عنـــد ذاك عيانـــا * بـــين جســـم وبـــين روح دفـــين

(١) الأبيات من بحر المتقارب، ووزنها: (فعولن فعولن فعولن فعولن) مرتين.

(٢) يعنى: هذا شعرٌ.

وحبـــاه الإلـــه منـــه بعلـــم * لم ينله بعـد إلا المطـاع المكـين

غيـــره فـــانعموا بمـــا لاح فـــيكم * من سناه البهـيج عنـد السـكون

ثم نزل وصعد البدر على المنبر، وقال: بدر بدا فى الصدر، وقـال: أنـا الجليل القَدْر، والبيت اليتيم النَّذْر، ذو الرداء الغَمْر، لست ببَكْرٍ ولا عمرو، قربنـى فاسود الشهر، قابلنى كاتب الليالى الغر، أضاءت بى الكثبان القفـر، تحـدثت فـى الليالى القمر، بيمينى اليمن ويسارى اليسر، أنا قائد الزهر، صاحب المد والجـزر، أمددت النهر كأن الكُثْر على أنه النزر، توالى البر، صحبنى الكبر، سدل الستر قلت أنا العمر، أعطيت الصبر، اعترفت بالفقر، قبل له العذر، جاء البشر، صحوت من السكر، صارت العتمة كالظهر، قمت بالشكر بقية العمر، إلى من له الخلق والأمر.

البـــدر فـــى المحـــق لا يجـــارى * وفـــى تناهيـــه لا يحـــد

صـــح لـــه النـــور بعـد محـــق * ثـــم إليـــه يعـــود بعـــد

ســـرائر ســـرُّها ثـــلاث * ربٌّ مليـــك والله فـــرد

فى المحق صحـــت له فأثنـــت علـيـــه، لما أتاهـــا بعـــد

جاءهـــا فـــى التمـــام ربـــا * ثلاثـــة طـــيهن عبـــد[1]

ثم نزل وصعد الكوكب على المنبر المركب، وقال: كوكب طلع ولم يتنكب، عن طريق المذهب، توسط المركب، ذهب فى كل مذهب، أبقى مَنْ أبقى، وأذهـب مَنْ أذهب تولع بذات ريق أشنب، أعذب من جاء ذر الربوب أنصب قلبه وأتعـب، قلب تقلب، دمع يسكب، يسأل ويرغب، فى تقضى لبانات الفؤاد المعذب، قيل لـه: تطيب فى كل مشرب، وحينئذ تقرب وإلا فشرِّقْ أو غرِّبْ، تحيَّرْ فى المطلب، نيران تقرب أو تغرب، قال طراز مذهب جزع لم يثقب، قرطاس لم يكتب، عجـب لمـن

(١) الأبيات من بحر البسيط.

تعجب، وقع الترجيح كذب، رمته الشهب بين جد ولعب، نطقت بتعيينه الكتب لما لم يترتب، بسبب كذب، خاف الريب، كذب حين انتحب، حَنِق وغضب، لمـا غيـب، برز فى أثوابه القشب، أتاها بجميع القرب، وقف موقف سلب، سأل الإقالـة مـن العطب، نظم وخطب، صَبٌّ رغب واعترف بالنقص والكذب من آل العُرب، هـام فى الغرب، حائز نقب جد عليه بما طلب، خرج إليه منتقب، قصـر ولا تطنـب، أوجز ولا تسهب، دعيت فأجب، سلم بما يجب، اضمم إليك جناحك مـن الرهـب، فذانك برهانان من ربك بالكوكب فاقترب، ثم أنشد:

كوكـب قـال بتنزيـه نفسـه • فرماه العجب فـى سـجن رمسـه

طلعـت حكمـة مـولاه لـيلاً • بمحيـاه فـأودت بنفسـه

فشـكى الكوكـب وجـداً وشـوقاً • لسـناها عنـد أبنـاء جنسـه

قيـل يـا حكمـة هـذا محـب • جـاءكم يرغـب وصـلاً بخمسـه

قيضـتها وأنـت فـى حلاهـا • نحـو بارئهـا وحطـت بقدسـه

ودعتـه فأتاهـا مجيبـاً • يـا محبـاً يشـتهينا لنفسـه

اشـكر الله علـى كـل حـال • وانـس يسـلك هـذا بعرسـه

ثم نزل وصعد بالنار على منبر الأنوار، وقالت: يا نار، أحرقتِ الأغيـار، ومحيتِ الآثار، وخرقت الأستار، أظهرت الأبكار، كشفتِ الأسرار، لأهل البصائر والأبصار، مرَّ فى الأوَار، لا يعرف إلا الدمع المدرار، لو أنار، ما تعذب عاشـق بنفار، ولا تنعم بقرب مزار، ولا باتصال ديار، ولا بكاء الأطلال، ولا ندب الآثار، وجب السرار لهذه الأنوار، فإنها محل الأسرار، فأنوار التجلى لا تصح مع الأغيار إلا للمحبين الكبار، ثم أنشد:

النار تضرم فى قلبـى وفـى كبـدى • شوقا إلى ذات نور الواحد الصـمد

فَجُـدْ علــيَّ بنـــور الــذات منفــرداً * حتى أغيب عــن التوحيــد بالأحــد
جاد الإله به فـــى الحـــال فارتســمت * حقيقة غيبت قلبـــى عــن الجســد
فصـــرت أشـــهده فـــى كـــل نازلـــةٍ * عنايةً منه فى الأدنى وفى البعــد[1]

ثم نزلت وصعد السراج، على منبر الابتهاج وقال: سراج هدى ذو اعوجاج استضاء به التاج، سلك الفجاج فى ظلمة الليل الداج، كان له أقوم معراج إلى مقــام الابتهاج، أعطى الإكليل والتاج، وقيل: اسكن فى قصر الأمشاج حتى تعلم حكمـــة الازدواج، ولطف ذات الكأس بالابتهاج واغسله بماء الثجاج، حتى يمتزج صـــفاء السراج بصفاء الزجاج، فإذا حسن المزاج صح النتاج، ولاحت أنـــوار الاخـــتلاج، وكان لصباح الحكمة ابتلاج، بالمقام المحمدى المكرم التاج، ثم أنشد:

سُـــرُجُ العلـــم أســـرجت بـــالهواء * لمـــــرادٍ بليلـــــة الإســــــراء
أســـرجتها عنـــد العشـــاء لديـــه * طالعـــــات كواكــــب الأنــــواء
فاهتـــدى كـــل ســـالك بســـناها * من مقـــام الثـــرى إلـــى الاســـتواء
ثـــم لمـــا توحـــدوا واســـتقلوا * زاد أعلاهـــم إلـــى الاهتـــداء
هكـــذا حكمـــة المهـــيمن فينـــا * بـــين دانٍ وبـــين وانٍ ونـــائى

وصعد البرق على منبر الصدق، وقال: برق لمع فى جو الفرق، ســلطان المحق يليه الصعق إن أومض فى الصدق، أظهر الرتق وإن أومض فــى النطــق أظهر الفتق، تردد فى الخلق بين غرب وشرق وحقيقة وحق هو سر ذاتية الحــق، خدم الأنوار بالملك والرق، يزيل الرتق، ويذهب العشق ويجود بالعتق فهو فى حلية الأنوار حائز قصب السبق

لمـــع البـــرق علينـــا عشـــاء * وكمثـــل الصـــبح رد المســـاء

(١) الأبيات من بحر البسيط.

وسَـــطَا باســـم الحكـــيم وأخفـــى * زمـــن الصـــيف وأبـــدى الشـــتاء
زرع الحكمـــــة فـــى أرض قـــوم * وكســـاها مـــن ســـناه البهـــاء

الفلك السادس: الإحسانى.

المطلع الثالث الإلهى

مطلع هلال، ارتقاب، طلع بروح الإمام المـدبر فـى عـالم الرحمـوت والرهبوت، فأضل وهدى ليت شعرى هل صرح الحكـيم فـى لسـان مشـاهدته بحمامتين مطوقتين تجاوبتا فى سوْرة المثانى، وليس سر أحدهما مغـاير الثـانى، فصعد الواحد على حد الاستواء، ونزل الآخر إلى مستقر المـاء، فتنـاولا حقـائق الأشياء، الصاعد على كشف الغطاء، والنازل لتعليم الأدباء، ومـن يطيـق بهـاء العظمة والكبرياء، إلا بلطف اللطيف الأرجاء، ثم كر النازل راجعـاً، والصـاعد جامعاً، والتقيا فى الهواء، وتعانقا بحيث منطق الجوزاء، وتناجيا على الكثبان العُفْر فى الليلة القمراء، بظلال الأفياء واجتمع إليهما ملء الأرض والسماء، حتى ضـاق متسع البطحاء، فقام الصاعد خطيباً على منبر الظرفاء، بلسان الاهتداء إلى العبيـد والإماء أهل المودة والصفاء، وأهل الأهواء، فسقطت كواكب الأنواء على قلـوب العلماء، فأمطرت معارف الكيمياء، ومعالم السيمياء[1]، وقام النازل خطيبـاً علـى منبر سدرة المنتهى، وقد تأخر عنها أمين الأمناء، أنا النور الثامن المسـتور فـى مضاهاة النظراء، فالزموا معشر الملائكة والأنبياء، وأهل المعاملة مـن الأوليـاء قارعة السبيساء؛[2] فأمطرت كواكب الآلاء، فى السَّنَة الشهباء، على قلوب النجباء، والعاملين من النقباء، ومعالم تصحيح البقاء فى اللقاء، ثم انصـرف الجمـع علـى محجة الأتقياء، إلى يوم الجمع والقضاء، واجتمع الطـائران مـن بعـد بالصـعدة السمراء، واكتنفا العوالم على السواء، وظهر الواحد وبطن الآخر من غير تدانٍ ولا

---

(١) فى المخطوط (السيماء) والصحيح بالياء بعد الميم كالمثبت.

(٢) هكذا فى المخطوط، وفى المطبوع (السبب).

تناء، فانظر يا أخى إلى عالم الأنباء، تعش عيشة السعداء، فقد لعبت بك الأهــواء، واسمع ما سامرتنى به بمنزلة العذراء فى جو السماء:

قمـــر الكوكـــب الســـعيد أمـــامى * عـــن هلالـــين طـــالعين أمـــامى

فـــإذا أدبـــرت بقيـــت وحيـــداً * ســـاهراً لا أذوق طعـــم المنـــام

ذاك نـــور الجـــود بـــالحق يســـعى * مـــن ورائـــى بـــه ومـــن قـــدامى

يوم فقـــرى ويـــوم حشـــرى لربـــى * وبـــه همتـــى ومنـــه اهتمـــامى

إن ســـــرى وإن ســـــر حبيبـــــى * واحـــــد أول عنـــــد الختـــــام

هـــو غيـــرى إذا بعثـــت رســـولا * وهـــو ذاتـــى لقـــدس دار نظـــام

خـــادمى نـــور الـــذى كـــان عنـــدى * والذى عند مـــن هويـــت غلامـــى

يـــا أخـــى فالتفـــت لحالـــك وانظـــر * فـــى وجـــودى بطرفـــك المتعـــامى

تـــرى غيـــرى إذا افترقـــت أمـــامى * وإذا ما اجتمعـــت كنـــت أمـــامى[1]

معقل أُنْسه ليت شعرى هل أشهَد الحكيمُ المهيمنُ الخـــلاقُ صـــفوَ إشـــراق ذواتى، أطواق عاشا فى ارتفاق، سر عاشق توّاق، ومعشوق ذواق، جل الإمـــلاق، زال الإشفاق، وقع الفراق، نادت الأشواق دمع براق، ونفس فى التراق، هـــل مـــن راق أو من ولىِّ واق؟ قول غير مصداق، نزلت واحـــدة لمـــاء مهـــراق، إماطـــة الأخلاق، وارتفعت الأخرى على جواد طراق، انفرجت الطباق، وثبتـــت مفـــاتيح الأخلاق فتحت الأغلاق، فدخلت فى المحاق، أعطيت الأشواق، ثلاث مقامات على اتساق، ساقت الأمر أحسن مساق، تحلت بالإرفاق، وقع الإطراق، سُوِّدَت الأوراق، امتطيت العتاق، وقع السباق التفت الساق بالساق، فاز السباق، لساق المســـاق، زج البراق، خرج عن الطباق، التقت الأحداق، تذكر عهد وميثاق، كان الـــتلاق اتحـــد

---

(١) البيت إشارة إلى مقام الفرق، ومقام الجمع.

الافتراق، وقع الاتفاق، على ترتيب الإنفاق، وجه نجم براق لصيحة مالها فــواق، همت سحب بغيداق، حلت الوثاق، جادت بالإطلاق، حصل العتاق، نبتت الأوراق، درت الأرزاق، شنشنة أعرفها من رزاق

جســـم بـــلا روح ضـــجيع الـــردى * غصـــن ذوى يابســـة أورقـــا

روح بـــلا علـــم وهـــا بيتـــه * لرؤيـــة الأغيـــار إذا أُخلقـــا

افتقـــر الكـــل إلـــى جـــوده * أهـــل الأباطيـــل ومـــن حَقَّقَـــا

فوجَّـــه الأنـــوار ســـيارة * أنـــارت المغـــربَ والمشـــرقا

فأشـــرق الجســـم بـــأنواره * وأظهـــر الأســـرار إذ أشـــرقا

فالحمـــد لله الـــذى قـــد وقـــى * من شـــر مـــا يُحْـــذَرُ أو يُتَّقَـــى[1]

---

(١) الأبيات من مجزوء البسيط، ووزنها (مستفعلن فاعلن مستفعلن) مرتين.

المرتبة الثالثة فى عمل الولاية:

الفلك السابع الإسلامى: الموقع الثالث العملى

موقع نجم ولاية وقع بقلب الإمام المدبر فى عالم الشهادة فعنَّاه[1] قال الله: ﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَـٰمِلِينَ ﴾ [الزمر:٧٤] أخبـر تعـالى أن أصـحاب الأعمال الحافظين لحدود الله الموفين لما عاهدوا الله عليه، المشتغلين بكـل عمـل توجه عليهم، منةً فى أوقاتهم أن لهم الآخرة والأولى، أعطاهم ملك الدارين ونزههم فى العالمين، وذكرهم بلسان صدق فيمن عنده فى كتابه العزيز منةً منه وطَوْلاً والله ذو الفضل العظيم، فاعلم يا بنى – أصلح الله بالك – أن الله تعالى ما أثنى على أحد من عباده فى كتابه ولا على لسان نبيه فى حديثه إلا إذا كان الثنـاء عمـلاً مـن الأعمال، ما مدحهم إلا بأعمالهم، فأعمالهم هى التى رد سبحانه عليهم مع توليه لهم فيها، وهذا غاية الكرم والجود أن يمنحك ويعطيك ويثنى عليك بعد ذلك بما لـيس لك، فإنه سبحانه آخذ بناصيتك قائدك إلى كل فعل أراده منك أن يوجده فيك أو على يدك وأنت فى غفلة لا تشعر، فمن شعر لتولى الحق له فى أفعاله فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴾ [المعارج:٢٣] لأنهم فى مشاهدة الفاعل ومناجاته، ومن لم يشعر بذلك فهو من الذين قال تعـالى فـيهم: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴾ [الماعون:٥] فيقول العبد: صليت وتصدقت

---

(١) فى المخطوط (فعنا) بغير هاء، والصحيح إثباتها، بمعنى أعناه أى: أنصبه وأتعبه، بدليل ما يأتى بعده من الكلام على العاملين وأجرهم.

وجاهدت وعملت وسابقت إلى الخيرات وشهدت الجماعات وقد اســتغرقتك المــنن وسبحت فى بحر النعم الإلهية الذى لا ساحل له، والله لو فتح لك باباً إلى مشــاهدة توليه لك فيها وأخذه بناصيتك إليها لبهرك المقام وخرست، وما أعطاك الحــال إن تقول: "صليت ولا صمت"[1]، ولا كنيت عن نفسك بشىء من هذه الأفعال، ألا ترى الخليل عليه السلام وقوله فى هذا المقــام: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝ ﴾ [الشعراء:٧٨-٨٠]، فانظر إلى أدبه فى مرضه، وانظر إلى حكمة النبوة فى تفطنه حيث قال: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝ ﴾ [الشعراء:٨٢] فابحث تولانــا الله بما تولى به عباده الصالحين، فطائفة أثنى عليهم بالتقوى، وطائفة بالإيمان، وطائفة بالعلم، وهــو مــن جملــة الأعمــال، فقــال تعــالى: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٣] ثم فصّل أعمالهم اعتناء بهم وشرفاً وتعليماً لنا وهداية وبيانا وموعظة فقـــــال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١٣٤] الآيات وقال: ﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [الحديد:٢١] فما وصفهم إلا بأعمالهم التى خلق لهم، ثم إنه سبحانه ما نص على مقام يناله العبد عنده إلا قرنه بالعمل الصالح كما قال تعــالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [يونس:٦٣-٦٤] وقــال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ

---

(١) أى: ليس هذا القائل لهذا القول من أصحاب ذاك الحال مع الله تعالى الذى يرى أن الله هو الذى أقدره عليها وتولاه فيها وأخذ بناصيته إليها.

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فصـــــلت:٣٠]، وقـــــال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ [القمر:٥٤-٥٥] كنايةً عن أصحاب الهمـم ﴿ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمــر:٥٥] كنايةً عن العلماء وهم الأقطاب وهم الرسل والورثة إلى أمثال هذه الآيات النيرات، فقد شاء الله سبحانه أن لا تنال هذه المقامات على تفاضيلها بتفاضل[1] بعضها على بعض إلا بعمل، فإن قيل: قد يرتقى الإنسان بالبلاء مقامات لا يوصله إليها عمـل والبلاء ليس بعمل. وهذا غلط فإن البلاء لا يعطى مقاماً أصلاً، ولا يُرَقِّى أحداً عند الله درجة، ولو كان البلاء بما هو بلاء يرفع درجات من قام به عند الله وينال بـه السعادة الأبدية لنالها أهل البلاء من المشركين والكفار بل هو فى حقهـم تعجيـل لعذابهم كما قال فى المحاربين: ﴿ أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾ [المائـــدة:٣٣] ثـم قـال: ﴿ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأَٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [المائدة:٣٣] فما يعطى لأهل البلاء المقامــات إلا بالصـبر عليه والرضا به كل على حسب شِرْبِهِ، والصبر والرضا من جملة أعمال الأحوال المشروعة لنا المأمور بها شرعاً كما قال تعــالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل:١٢٧]، وما يكون الصبر إلا على بلاء ومشقة، وأصل الســعادة الجامعــة موافقة الحق تعالى فيما أمر به ونهى عنه شرعاً كما تقدم فى نجم العناية وموافقته توحيداً بنفى الأغيار[2]، وتلك الموافقة عناية من الله ببعض عباده، ولكنه يــا بنـــى

---

(١) فى المخوط (تفاضيلها بتفاضيل) والمثبت الصحيح.

(٢) بأن ينفى عن خاطره كل ما سوى الله تعالى من الأغيار، ولا يرى لأحد فعلاً ولا أثراً، فـإن الجميع لا يملكون من دون الله موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، وإنما تنسب أفعال العباد إليهم من

ينبغى للعبد أن يعتقد أن أعماله لم توصله إلى نيل تلك المقامات، وإنما أوصله إلى ذلك رحمة الله الذى أعطاه التوفيق للعمل والقدرة عليه والثواب، فحصول السعادة – أعنى دخول دار الكرامة ابتداءً – إنما هو برحمة الله تعالى كما قال رسول الله ﷺ: **«لا يدخل الجنة أحد بعمله قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته»** فالدخول برحمة الله وقُسِمَتْ الدرجات بالأعمال والخلود بالنيات، وهذه ثلاثة مقامات، وكذلك فى دار الشقاء دخول أهلها فيها بعدل الله وطبقـــات عـــذابها بالأعمال ودخولهم بالنيات، وأصل ما استوجبوا به العذاب المؤبد المخالفة كما كانت السعادة فى الموافقة، وكذلك من دخل من العاصين النار لولا المخالفة ما عذبهم الله شرعاً – نسأل الله تعالى لنا ولك ولجميع المسلمين أن يســـتعملنا بصـــالح العمـــل ويرزقنا الحياء منه تعالى.

واعلم يا بنى – أسعدك الله سعادة من اصطفاه – أنه أول ما يجب عليك إن رزقت الموافقة والتوفيق العلم بالأمور التى مهدناها لك فى نجم العناية فإذا علمتها توجه عليك العمل بها وإن كان طالب العلم فى عمل من حيث طلبه ولكن يعطيـــك العلم والعمل بأمور أخر توجه عليك بها خطاب الشارع كما أن العلم لم يصح طلبه إلا بالعلم، فمن حصل له العلم بالأحكام التى يحتاج إليها فى مقامه فلا يكثر مما لا يحتاج إليه؛ فإن الكثير مما لا حاجة فيه سبب تضييع الوقت عمَّا هو أهم، وذلك أنه مما يعول أن يلقى نفسه فى درجة الفتيا لأن فى البلد من ينوب عنه فى ذلك حتى لا يتعين عليه طلب الأحكام كلها فى حق الغير طلب فضول العلم، فيأخذ منها ما توجه عليه فى الوقت من علم تكليف ذلك الوقت، والعلم الذى يعم كل إنسان فـــى الحـــال عند البلوغ على أحد أنواعه وشروطه من الإسلام وسلامة العقـــل علـــم العقائـــد

حيث الكسب والتسبب والفاعل فى الحقيقة هو الله، قل الله ثم ذرهم فى خوضـــهم يلعبـــون، قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـــكِنَّ اللّهَ رَمَى﴾ [الأنفال:١٧]، قال تعالى: ﴿بِيَدِهِ الْمُلْـــكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١].

بواضحات الأدلة، وإن كانت فطرته تعطى النظر والنجح فيه، ومن لم يكن له ذلك فى فطرته وكان جامداً يخاف عليه إن فتح له باب النظر لإيراد شبهات الملحـــدة، فمثل هذا يعطى العقائد تقليداً مسلَّمة ويُزْجَر عن النظر إن أراده فى ذلك العلم بأشد الزجر، فإذا صبحت إرادته باعلم أو التقليد يُعَرَّف بقواعد الإسلام، فإذا عرف ترتب عليه أن يعرف أوقات العبادات، فإذا دخل وقت الصلاة مثلاً تعين عليه أن يعـــرف الطهارة وما تيسر من القرآن ثم يُعلَّم الصلاة لا يحتاج إلى غير هذا، فـــإن أدركـــه رمضان وجب عليه أن ينظر فى علم الصيام، فإن أخذه الحج وجب عليـــه حينئـــذ علمه، فإن كان له مال وحال عليه الحول تعين عليه عم زكاة ذلك الصنف من المال لا غير، فإن باع واشترى وجب عليه علم البيوع والمصارفة، وهكذا سائر الأحكام لا تجب إلا عندما يتعلق به الخطاب، فذلك وقت الحاجة إليها، فإن قيـــل: يضـــيق الوقت عن نيل علم ما خوطب به فى ذلك الوقت قلنا: لسنا نريد عند حلول الوقـــت المعين وإنما نريد بقربه بحيث أن يكون له من الزمان قدر ما يحصل له ذلك العلم المخاطب به ويدخل عقيبه وقت العمل، وهكذا ينبغـــى أن تقـــرأ العلـــوم وتنظـــر المعارف ويربط الإنسان نفسه بما فيه سعادته ونجاته، ولا يكون ممن قال ســـبحانه فيهم: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ [التكاثر: ١] ليقال: فقد ذم الله ذلك فى كثير العلم وقليله، وليعمر أوقاته بما هو أولى، وليحذر العبد أن تفتح له خزائنُ الغفلات أوقاتاً تصرفه فى المباحات وليملأها بالذكر وأشباه المندوبات، وهذا لا يصح له ما لـــم يعـــرف الواجبات حتى يسارع إليها ويؤديها والمحظورات حتى يتجنبها والمندوبات حتـــى يرغب فيها والمكروهات حتى يحفظ نفسه منها والمباحات حتى يتعوذ بـــالله مـــن الغفلة، وتحقيق هذه المعانى التى هى أم أحكام أصول الفقه، ويعرف أيضاً ما تحت كل واحد منها على التشخيص مما يلزمه كما تقدم، ومعرفة هذا من كتاب الله وسنة رسوله وإجماع العلماء، فإذا عرفت هذا ولازمت العمل فأنت الموَفَّق السعيد، واعلم

أنه إذا تقرر هذا عندك فإنه ينبغى لك أن تعرف ما يعم ذاتك من الأحكام وما يخص وأريد بالعام لذاتك كل عبادة دخلت فيها حَرُمَ عليك التصرف فى غيرها كالصـــلاة، وأريد بالخاص كل عبادة تختص ببعض الجوارح دون بعض أو كل عبادة لا تمنعك من إتيان بعض الأفعال المباحة، إن عدد الأعضاء المكلفة ثمانيـــة: العـــين والأذن واللسان واليد والبطن والفرج والرجل والقلب، فعلى كل واحد من هـــذه الأعضـــاء تكليف يخصه بأنواع الأحكام الشرعية ثم تصرفها على الوجه الشرعى فى محلًّـــين خاصة إما فى ذاتك وإما فى غير ذاتك، فالذى فى ذاتك منه يلحقك عليـــه المذمـــة الشرعية أو المحمدة عند الله تعالى، فالمحمود كالصلاة والصـــيام ومـــا أشـــبههما، والمذمومة كضربك نفسك بسكين لتقتلها، ومنها ما لا يلحقك فيه مذمة ولا محمـــدة كصنف المباح ولا يجوز لك هذا الفعل إلا فى ذاتك وأما فى غيـــر ذاتـــك فـــلا إلا بشرط، فالذى لذاتك كنظرك إلى عورتك.

والذين هم غيرك ثمانية أصناف خارجون عنك: الولد والوالدان والزوجـــة وملك اليمين والبهيمة والجار والأجير والأخ الإيمانى والطينى، واعلم أن الله تعالى إذا أيدك بالتوفيق للعلم والعمل على الإخلاص فتح لك باباً إلـــى ملكوتـــه يمنعـــك مشاهدة ما تجلى لك وراء ذلك الباب من طوارق الغفلات والرجـــوع إلـــى عـــالم الشهوات، واشتغلت بموارد الحق عليه من لطائفه وأسراره وكشف حقائقه، وذلـــك هو علم التدلِّى وعلم التلَقِّى، فاسع فى تحصيله بمداومة الـــذكر والخلـــوة، وطيـــب الأطعمة وقلة الأكل، والورع فى النطق وتصرف القلب فـــى فضـــول الخـــواطر، ولتسجن نفسك تحت آمرٍ يأمرك وينهاك وتَلْمَذْ له واتخذه شيخاً مرشداً فإنه إن لـــم تجرِ أفعالك على مراد غيرك لم يصح لك انتقال عن هواك[1]، ولو جاهدت نفســـك عمرك بما ترتبه عليها، وإن صغب لم تزل عن هواها فإنها المرتبة على نفســـها،

---

(١) لأن الغير من شأنه أن يكون مخالفاً ولو فى بعض مرادك، فتعين أن يكون للمريـــد شـــيخ يربيه ويستخرج قاذورات أخلاقه ويرشده إلى إصلاحها والتحلى بأضدادها.

وإن فتح لها فى لطائف المكاشفات وضروب المشاهدة لم تزل بذلك عن رعونتهـــا ورياستها التى لا يمكن خروجها منها إلا بالانقياد إلى طاعة نفسٍ وتصرفها تحــت أمره ونهيه[١]، وذلك لكثافة حجابها وعظم أشراكها[٢] حتى ترتقى إلى الأمر علـــى الإطلاق ويكون ذلك سلماً لها إليه، ولذلك قال المحققون: كل عمل لا يكون عن أثر فهو هوى النفس، وآخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرئاسة، وقـــال الحـــق لأبى يزيد البسطامى فى بعض مشاهدة معه: تقربْ إلىَّ بمـــا لـــيس لـــى، الذلـــة والافتقار، وهذه إشارة إلى إزالة الرياء[٣]، فاسعَ يا بنى فى طلـــب شـــيخ يرشـــدك ويعصم خواطرك حتى تكمل ذاتك بالوجود الإلهى، وحينئذ تُدَبَّر نفســـك بـــالوجود الكشفى الاعتصامى.

---

(١) فإذا دخلت تحت أمر ونهى نفسٍ أخرى خـــرج منهـــا حبهـــا للرياســـة وتعلمـــت الأنقيـــاد والتواضع، فإنهم قالوا: آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة.

(٢) جمع (شَرَك) أى: مصائدها ومواطن هلكتها ووقوعها.

(٣) أى: إن الناس يجعلون الذلة والافتقار لغيرى، فاجعلها أنت لى وتقرب لى بها، واخرج عن مراءاة الخلق إلى الإخلاص بها للخالق.

باب علامات من تحقق بأعمال أعضائه الشرعية

اعلم يا بنى أنه من ادعى مراعاة التكليفات المتوجهة عليــه شــرعاً، فــى بصره علامته الغض عن نظر المحرمات والإطراق وقايةً مــن النظــرة الأولــى المعفو عنها، وكل عمل توجه عليه فى بصره شرعاً ومن لم يشاهد من أحواله مثل هذا فدعواه كاذبة، ومن ادعى مراعاة التكليفات المتوجهة عليه فى سمعه علامته ما قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ [الزمر:١٨] وسماع العلم ومواظبة مجالس الذكر، والعمل بكل خير يسمعه، وكل من ادعى هذا المقام لم يزل يحن إلى الأوطان والحُدَاة، وعلامة صدق حنينه إليها العمل بما يســمع علــى قدر الاستطاعة، فمن نودى من جهة قد تعشَّق بها وكَلِفَ بها لأنها منزل حبيبه حنَّ إلى ذلك النداء فمن ناداه حبيبه من جهات حن إلى تلك الجهات، ولم يرد بها بــدلاً، فمن ناداه الحق من الخلوة حن إليها فاستوحش من المخلوقات وآثرها على جميــع المقامات، ومن ناداه من الحكم يباشر الناس ولا يباشرونه، ومن ناداه من التأثيرات المُرَقِّيَة باشره الناس حتى يؤذوه، وكل صاحب مقام فَرِحٌ بمقامه، مسرور به يدعو نفسه وغيره إليــه ﴿ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الــروم:٣٢] بخــلاف المكمل فإنه لا يحن لمقام أصلاً على الاختصاص، ولهذا لا يقتصر على مقام وإنما هو صاحب الوقت ورئيسه جامع الحكم لا يدعو غيره أبداً إلا من حيث يرى قوتــه تميل إليه، فمن هناك يدعوه إما بالموافقة وإما بالمخالفة على حسب ما يــرى أنــه الأصلح به ولا يدعو نفسه إلا من حيث حكمة الوقت، ومن ادعى مراعاة التكليفات المتوجهة عليه فى لسانه علامته قلة الكلام إلا فيما يفرض عليه من نصح وتبليــغ رشد وغيره، ودوام الذكر، واسترساله على التلاوة إن كان من أهل القرب وصدقه فى الحديث وخجله إن كان من أهل الإلقاء فيما يخبر به عن الحــق وبطــؤه فــى

الجواب فى المسألة إذا سُئِلها، وإذا سأل أن لا يسأل إلا فيما له فيه فائـــدة ســـعاديَّة وأشباه ذلك، ومن ادعى مراعاة التكليفات المتوجهة عليه فى يـــده علامتـــه أن لا يبطش بها فى محرم من لمس امرأة لا تحل له أو قتل إنسان أو لطمه أو سرقة أو لمس ذكره بيمينه عند البول وأن لا يستنجى بها وأن لا يدخلها فى الإناء عند القيام من النوم أعنى فى وضوئه[1] وأشباه ذلك، ومن ادعى مراعاة التكليفات المتوجهـــة عليه فى بطنه علامته الورع والاكتساب والبحث عن الكسب، وإذا أكل أن لا يمتلئ من الطعام ولا من الشراب حذراً من كسل الجوارح عن الطاعة والإيثار بقوته فما ملئ وعاء شر من بطن ملئ بحلال، ومن ادعى مراعاة التكليفات المتوجهة عليـــه فى فرجه فعلامته الحفظ من التحرك إلى غير أهله من أحرار وإماء وهو أمر يقـــع فى قلب العبد المعتنى به على حسب مقامه فيسمى ذلك الأمر فى حق شخص خوف وفى حق آخر قبض وفى حق شخص هيبة وفى حق آخر جلال، هذا مع الحضور، وإن كان غائباً كان فى حقه إما سُكْراً[2] أو مَحْواً[3] أو مَحْقـــاً[4] أو فَنَـــاءً[5] علـــى اختلاف المقامات وهذه كلها على تفاصيلها إذا تحقق شخص ما بأخذها منعته قطعاً أن يتعدى حدود سيده ومولاه وأن لا يراه حيث نهاه ولا يفقده حيث أمره، فإذا شاء

---

(١) ففى الخبر أنه ﷺ نهى عن إدخال اليد فى ماء الوضوء عند الاستيقاظ مـــن النـــوم حتـــى يغسلها ثلاثاً – يعنى خارج الإناء.

(٢) السكر: دَهَشٌ يلحق سر المحب عند مشاهدة جمال المحبوب فجأة، فيـــذهل الحـــس ويلـــم بالباطن فرح وهزة وانبساط لتباعده عن عالم التفرقة. المعجم الصوفى – د/الحفنى.

(٣) المحو: رفع أوصاف العادة بحيث يغيب العبد عندها عن عقله ويحصل منه أفعال وأقوال لا مدخل لعقله فيها كالسكر. المصدر السابق.

(٤) المحق: فناء وجود العبد فى ذات الله تعالى، كما أن المحو فناء أفعاله فـــى فعـــل الحـــق. المصدر السابق.

(٥) الفناء: تبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية دون الذات، فكلما ارتفعت صفة قامت صفة إلهية مقامها. المصدر السابق.

سبحانه إنفاذ قوله: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٨] على عموم الأفعال فى العبد بإيقاع زلة ما منه قبض عنه ذلك المقام بغفلة تحصيل مكانه حتى ينفذ فيه الأمر ويجرى عليه القدر بما أراده الحكيم، قيـل لأبـى يزيـد: أيعصـى العارف؟ فقال: وكان أمر الله قدراً مقدوراً ثم يرد إلى مقامه بعد ذلك إن كان مـن أهل العناية والوصول فتكون توبته من ذلك على قدر مقامه فيرجى أن يكون فـى قوة تلك التوبة وعلو منصبها أن تجبر عليه وقت الغفلة حتى تكون له وكأنـه مـا خسر شيئاً وما انتقل، وكتوبة ماعز[1] الذى قال فيها رسول الله ﷺ: «**لو قسمت بين أهل السماوات والأرض وسعتهم**» ومن ادعى مراعاة التكليفات المتوجهة عليه فى قلبه علامته الانتباه واليقظة والفكر والهيبة وترك الحسد والغل والبغض بالاجتماع إن كان من أهل الأحوال الموقوفة على الخلوة وإن كان فى خيـر، ودوام الحـزن على قدر مقام المحزون، والتوكل والتفويض والتسليم، والفرح بمـوارد القضـاء، والمراقبة والتنزه فى العَالَم وفعل الله فيه وفيهم، وأشباه ذلك مما لا يحصى كثـرةً، وكل فعل حسن للجوارح رأسه انتباه القلب، وهذه الأعمـال كلهـا مبـادئ الإرادة والسلوك وليس لها زوال عن شخص حتى يموت، فإن عدمها السالك المريـد فـى أحواله وطريقه فهو مخدوع، وأما الواصل فلا يتصور منه ترك لهـا أصـلاً وإن ادعى الوصول وفارق العلامات استصحاباً فدعواه كاذبة، ولو فتح لـه فـى علـم الكونين وسر العالم فمكر واستدراج، فلا سبيل إلى الوصول إلى نهاية صحيحة عن الشوب الإبليسى خالصة عن الغرض النفسى مالم يَزُلْ المريد أولاً عـن رعونـة النفس وكدورة البشرية، وعلامة المدعى الوصول رجوعه إلـى رعونـة الـنفس

(١) هو رجل فى عصر النبوة تناول ما لا يحل له من الزنا ثم تاب الله عليـه وهـدى وطلـب الصحابى ماعزٌ منه ﷺ إقامة حد الزنا عليه فرجم حتى مات، فقال فى شأنه هـذه الكلمـات العظيمة.

وأغراضها، ولهذا قال أبو سليمان الداراني من رؤساء المشايخ: "لو وصـــلوا مـــا رجعوا، وإنما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول، فمن لم يتخلـــق لـــم يتحقـــق"، وعلامة من صح وصوله الخروج عن الطبع والأدب مع الشرع واتباعـــه حيـــث سلك، والشفاء الشافي والدواء الكافي لهذا الدواء العضال العلم بشرط التوفيق، فإذا اجتمعا فلا حائل بينك وبين التحقيق فافهم ترشد إن شاء الله تعالى.

[منازل هذه الأعضاء وكراماتها لأربابها المتحققين بها][(١)]

اعلم يا بنى أن كل من تحقق بهذه الأعمال رسخت قدمه فيها وصح اتصافه بها فإن الله سبحانه قد أجرى عادة لأهلها المتحققين بحقائقهـا أن يهـبهم أسـرار الاختصاص التى هى حرام على غيرهم الموقوفة بهذه الأسباب، وتسـمى شـواهد الحال الغيبى والتحقق الملكوتى، وهو السر الخفى المرموز فى قوله علـى لسـان رسوله: «**ولا يزال العبد يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنـت سـمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به..**» الحديث، وأن ينزلهم سبحانه بهذه المنازل العلية ويوقفهم عليها، وأن يكرمهم بكرامات فى ظاهر الكون ولكن ليست عند القوم بشرطٍ لازمٍ وقوعه ووقوعٍ واجبٍ، فلنذكر فى هذا الباب ما يصل إليه كل عضو من هذه الأعضاء الثمانية من المنزلة وما يصل إليه من الكرامات التى ذكرناهـا فـى عالم الملكوت الروحانى كالجن والملائكة والملكوت الترابى كالمتروحن من البشر، وهذا السر خفى إذ هذا الرجل إذا تحقق بهذه الأعمال حتى يبلغ بها المنازل التـى ذكرها يتروحن باطنا ويجرى على العادة ظاهراً لسببٍ ذكرناه شافٍ فـى مشـاهد الأسرار القدسية، ولنبدأ بترتيب الأفلاك العضوية فلكاً فلكاً حتى نستوفيها إن شـاء الله تعالى. شعرٌ:

يا صاحب البصر المحجـوب نـاظره * غمِّض لتدرك من لا شـىء يدركـه

واعلـم بأنـك إن أرسـلته عبثـا * فإنه خلف سـتر الكـون يتركـه[(٢)]

اعلم يا بنى – أشهدك الله ذاته فى دار القدس– أن الإنسان إذا زكت أحواله وطابت أقواله وحسنت أفعاله وكان هذا حاله حتى قبضه الله إليـه فـذلك الموفَّـق

---

(١) ما بين المعكوفتين من المطبوع لانطماسه من الأصل.

(٢) البيتان من بحر البسيط.

السعيد، فإذا تحقق العبد فى مراعاة ما توجه عليه من التكليف فى بصره، ووقف به عندما حدَّ له الشارع وصرفه فى بعض ما أباحه له وإن استطاع أن لا يصرفه إلا فى واجب أو مندوب فلا يقصِّر فذلك عندنا صاحب بصرٍ علـــى الحقيقـــة وإن الله تعالى إذا حصل العبد فى هذا الباب ولم يتعد الحد المشروع له فى بصره إذا شـــاء يكرمه بكرامات يختص بها هذا المقام وينزله أيضا منازل مختصة به لا ينالها أبداً إلا صاحب منة منهُ سبحانه، فالمنازل قطعها لا يحصل إلا لأهل الوصول المحققين أهل العناية، وأما الكرامات فمن حيث هى كرامات هى لهم ومن حيث هى خـــرق عوائد قد ينالها الممكور به والمستدرج[١]، فإذا وقعت[٢] لك يا بنى خرق عادة فـــلا تحجبك عن نظرك فى نفسك كيف هى مع الحد والمشروع، فإن كنت مـــن أهـــل الاتباع وقام الوزن من نفسك وكلفت وجريت مع الشارع بالأدب والامتثال حيـــث سلك فخذها كرامةً واشكر الله تعالى عليها وادْعُهُ واسأله أن لا يجعلها حظ عملـــك وأن لا تكون من العاملين لها، وإن رأيت نفسك حائدة عن السنن متعديـــة للحـــدود الظاهرة فى الشرع فلا تنظرها كرامة فى حقك وانظرها منبهةً لك إن لزمت بعدها الاستقامة كإبراهيم بن أدهم حين نودى من قربوس سرجه وهو غير مســـتقيم فـــى الحال ثم استقام وكانت له منبهة، وكصاحب السكرجتين وغيرهما وإن لـــم يعقبهـــا الاستقامة فانظرها مكراً واستدراجاً، فسل الله الإقالة والرجوع إلى الجادة والصراط المستقيم، فإن نبهك الله لهذا النظر فهذه الكرامة التى يقال لها كرامة، وكل خـــرق عادة فى ظاهر الكون فأعراض زائلة.

---

(١) إذن فالكرامة لها اعتباران: اعتبارٌ هو من حيث كونها إكراماً للعبد المتبع لنبيه وشريعته، وهذا للواصل المحقق، واعتبارٌ من حيث هى فعل شىء خارقٍ للعادة فقد يعطاها المســـتدرج الممكور به، فهما متحدان بالذات مختلفان بالاعتبار.

(٢) تاء التأنيث إشارة إلى الكرامة، أى: كرامة خرق عادة.

الكرامات أنواع[١] فمنها: رؤية الزائر له قبل قدومه على مسافة بعيدة أو من خلف حجاب كثيف، ورؤيته الكعبة عند الصلاة حتى يتوجه إليها، وما أشــبه ذلــك، ومنها: مشاهدة العالم الملكوتى الروحانى والترابى، والمراد بهذه الكرامات للعبــد أن يشهده الله من عجائبه ويريه من آياته ما يزيده رغبةً فى مقامه وقوةً فيما هو بســبيله كما قال تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ﴾ [الإسراء:١] فذكر العلة فإنه إذا صح ورثُ النبى الصادق ﷺ فى أفعاله بحسن الاتباع والاقتداء ليس ببعيد أن يتحف الله عبده الولى بمثل هذه الكرامات التى كانت للنبى عليه السلام بل من[٢] تتميم شرفه كرامة من اتبعه وأحبه، وأما قولنا: العــالم الملكــوتى الروحــانى والترابــى، فالروحانى الملكوتى كالملائكة، والروحانى الجبروتى كالجن عند بعــض أصــحابنا، والروحانى الطينى أو الترابى كالأبدال[٣] فيشاهد الملائكة والملأ الأعلى الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٠] يسبحون بحمده وهم لا يستكبرون يستغفرون للذين آمنوا ولمن فى الأرض، فما ظنك يا بنى بحالــة شخص جليس لهؤلاء السادات الأعلام المعصومين من فترات الغفلات هل يكون أبداً إلا ذاكراً ناظراً نفسه بعين التقصير فيما يأتى به من فنون الطاعات لما يعاينــه مــن علو المقام ويشاهد من الجلال، فجليس المفلح مفلح ضرورة، فأما الروحانى الترابــى فأعنى به كل عبد اتصف بأوصاف الملائكة من الحضور مع الحق تعالى فى ميــدان

---

(١) زيادة لازمة من المطبوع.

(٢) فى المخطوط (هى) والصحيح (من) كالمثبت.

(٣) الأبدال: جمع (بدل) وهم بدلاء أيضاً، قيل: هم فى أمة الإسلام ثلاثون رجــلاً علــى قلــب إبراهيم خليل الرحمن، كلما مات منهم واحدٌ أبدله الله بآخر مكانه، وقيل غير ذلك. المعجــم الصوفى – د/الحفنى.

الجد والاجتهاد والاتصاف بأوصاف الكمال كالخَضِر وما أشبهه من الأبدال والأوتاد[١].

ألا ترى الخَوَّاص حين اجتمع مع الخضر كيف جعل اجتماعه به كرامة وقال له: بماذا رأيتك؟ فقال له الخضر: ببركة أمك ولو لم يكن رؤية هذا الصنف كرامة ما سأله الخواص[٢]، فبمثل هؤلاء السادات النجباء وبصحبتهم فليفرح، وليتحقق أن ذلك من اعتناء الله سبحانه حيث جمعه بأهل خاصته وحببهم إليه، فأولئك الذين انتقلوا من معادنهم الطينية وخرجوا عن رعونة البشرية وطبختهم شمس العناية بأرضهم الطيبة المباركة، المعتدلة المزاج، اللطيفة الأمشاج حتى أخرجتهم من مراكزهم وألحقتهم بالعالم الأعلى، فانخرقت العوائد في الأجسام وضُرب بسور القدرة القديمة فى وجه الطبيعة الذميمة لما تلطفت الجوهرة وخفت طلبت العلو فهفت مع تعلقها بتدبير الجسم الذى به كلفت سلطت عليه القوة القهرية متى شاءت فحجبته عن أعين الناظرين ولحق بالعالم الأعلى فى صفائهم كما تطبخ الشمس الذهب فى معدنه الطيب حتى تبرزه على وجه الأرض بخلاف غيره من المعادن النازلة عن هذه الدرجة لما صفت جوهريته ولطف معناه فكما يؤخذ بعد خروجه عن الأرض وطلبه الهواء ويشجر حتى يزول منه بقية التغيير والامتزاج

---

(١) الأوتاد: هم أربعة رجال من رجال الغيب، منازلهم على منازل الجهات الأربع من العالم، شرق وغرب وشمال وجنوب، ومع كل واحد منهم مقام تلك الجهة، ويحفظ الله بهم تلك الجهات لكونهم محل نظره تعالى، والولى يتصور بصورهم فيكلم الناس فى الباطن والظاهر ويخبرهم.

قلت: وكل هذا بجميل إكرام الله لأوليائه ورحمته بأصفيائه، وإنما يتصور الولى بتصوير الله له ويجعله على مثال معين لا بنفسه بل بفعل الله. المعجم الصوفى – د/الحفنى.

(٢) ومسألة رؤية الخضر تواترت بين العلماء والأولياء وبلغت حداً عظيماً من الكثرة وألف فيها العلامة نوح بن مصطفى الرومى كتابه: "القول الدال على حياة الخضر ووجود الأبدال" وألف غيره أيضاً فيها.

بالطين، كذلك هذا العبد إذا خرج عن أرضه كما ذكرنا والتحق بهـؤلاء السـادات أعنى الملائكة اكتسب منهم صفة لم يكن عليها حكم فيها الغائب على الشاهد فخرج عن العادة البشرية بالتصفية اللطيفة الملكوتية، والتشجير الذى حصـل مـن تلـك المشاهدة حتى خفى عن الأبصار، وهذه كرامة أصل وجودها مـا ذكـره وسـبب الاحتجاب مانع يقوم بإدراك الرأى حتى يهتف بك وأنت لا تراه وتمشى على الماء وفى الهواء ويصير كالهَيُولَى قابلاً للتشكيل والصور كالعالم الروحانى مثل جبرائيل ﷺ الذى كان ينزل تارة على صورة دِحْيَة[1]، وقد تجلى له ﷺ وقد سد الأفق ولـه ستمائة جناح، وتشكل الروحانيين غير منكور عندنا وهكذا رجع الخضـر يتشـكل على أى صورة أحب أن يُرَى فيها، وهى على قدر مقامك، فالمَلَكَة[2] التى أُعْطِـى إنما هو فعل يشخصه لك فى ذاتك وهو على صورته التى خلقه الله عليها، ويغلـط فى هذا المقام جماعة من المتطفلين على الطريق، وكل ما أتاك يا بنى مـن هـذا المقام فهو عائد عليك والمانع فيك غير أن لهـم عليـك سـلطاناً وعلـى جميـع الموجودات وليس لغيرهم ذلك.

اعلم يا بنى أن أصل النفوس واحد فإذا ركبت فى الجسوم علـى اخـتلاف أمزجتها صارت من طبع المزاج للمجاورة حتى تضرم عليها نار المجاهدة وتلقيها فى أبواط الرياضة فإن كانت تلك الأرض معتدلة المزاج أعنى قريبـة الاعتـدال تخلصت فى الحال والتحقت بعالمها ولم يحجبها تدبيرها لـذلك الجسـم، وإن بعـد الاعتدال كثر التعب فى التخليص والمشقة وطالت الشقة، وهـذا إيضـاح راجـع للعارف بالتخليص فَواصِلٌ ومُقَارِبٌ ومدلِّسٌ، فالمدلِّس: المدعى، والواصل: صاحب

---

(١) هو سيدنا دحية الكلبى صحابى معروف، وكان جميل المنظر.

(٢) الملكة: هى صفة راسخة فى النفس، وتحقيقه: أنه تحصل للنفس هيئة بسـبب فعـل مـن الأفعال، ويقال لتلك الهيئة: كيفية نفسانية، وهى هنا رؤية الخضر عليه السلام، فيؤدى ذلك إلى حدوث كيفية نفسانية للرائى للخضر عليه السلام. التعريفات – للجرجانى، مع زيادة.

الحقيقة، والمقارِب: المجتهد الذى قد لاحت له بارقة من مطلوبه عرفها وسكن إليها، فالرجال الأمجاد – رضى الله عنهم – ما اشـــتغلوا بتـــدبير نفوســـهم مـــن حيـــث الشهوات، وإنما اشتغلوا بنفوسهم أن يخلصوها من رعونة الطبع حتـــى يلحقوهـــا بعالمها، ألا ترى سهلاً التسترى وهو من رؤساء الطريق وساداته لما قيل له: مـــا القوت؟ فقال: "ذكر الحى الذى لا يموت"، قيل له: هذا قوت الأرواح، فمـــا قـــوت الأشباح؟ فقال – رضى الله عنه: "دع الدار لبانيها فإن شاء عمرها وإن شاء خربها" فما أجرم عبداً لم يوفقه الله لتخليص جوهرته نعوذ بالله من الحرمان.

منازل أهل التحقيق

اعلم يا بنى أن الإنسان ينتقل من مجالسة العالم الملكوتى الخارج عنه إلــى رؤية العالم الملكوتى الخاص به الذى هو غيبه أو باطنه، وهذه الرؤية عبارة عــن فتح عين بصيرته إلى مشاهدة ما أوقر الله فيه من الأسرار، ورتب فيه من الحكــم وأودعه فيه من الفوائد، وهذه الحضرة عليها باب مقفل وعلى كل سر فيها كِــنٌّ[1] يحجبه، وعلى عين البصيرة غطاءٌ فى حق من فَتَحَتْ له عيناً، وصداً فى حق مــن فتحت له مرآةً على حسب ما نذكره، فإذا زال الغطاء أو الصدأ وانحل القفل وانهدم الكِنُّ وطلعت شمس الحقيقة على مرتبة ما من مراتبها على تفاصيلها، فاجتمع نور تلك الشمس مع نور العين أو صقالة المرآة نتجت بينهما رؤيا وإدراك أو انطبــاع، وجاءت العناية العلمية فأزالت القفل عن باب الحضرة الإلهية فدخل الحكيم فوجــد الأسرار قد خرجت من أكنتها والأنوار قد تقشعت عنها سحائبها وبرزت مستبشرة بقدوم الحكيم عليها، فلا يزال يلتذبها على قدر كشفه ونظره؛ وذلك أن البصـــر إذا استدَّ بالسر عن المحرمات[2] والوقوف عند الحدود وانفتح باطن إدراكه إلى خزانة الخيال الصحيح الذى حصلته القوة المفكرة؛ فصفت مرآة تلك الخزانة وكحلت عينها وجليت، وفتحت لها طاقات لخزانة المعانى السرية الراسخة فى القلب، المحجوبــة بالريون فترفع هذه الحجب وهى عبارة عن فتح الخزائن فتبرز المعـــانى الإلهيـــة والأسرار العلوية فيتجلى فى مرآة الخيال فيراها باطن إدراك البصر وهو المعبـــر عنه بعين البصيرة فيكشف له ما فى غيابات الوجود، وفى هذا المقام يتفق للمتوسِّم به الكلام على الخواطر والفراسة الرئيسة كيفيةً، فأما كيفية حصول خواطر الأغيار

---

(١) الكِنُّ: وقاء كل شىءٍ وستره. القاموس المحيط.

(٢) أى: اشتد بعده عن المحرمات لما أودعه الله فى سره من ودائع عنايته.

فى نفس الحكيم الإلهى صاحب هذا المقام فإن عين القلب إذا ارتفعت عنه الحجــب التى ذكرناها وانكشف الغطاء أدركت بحسبها كل قلب يكون مقابلاً لها، واعلــم أن كل قلب كتابٌ مسطورٌ لكل ما فيه من الخواطر والعلوم وله طبقات نظيــر أوراق المصحف، وكل ذى قلب لا يخلو من قراءة مصحفه أو كتابه ساعةً، إما ماراً عليه أو متردداً أعنى لابد أن يكون متردداً فى خاطرٍ واحدٍ وتمر عليه خــواطر شــتى، فيتطلع الحكيم المكاشَف إلى مصحفه الداخل أو كتابه وينظر فى أى صــفحةٍ هــو؟ وفى أى آية هو منها؟ وذلك لا يشعر إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فإن شاء الحكيم بعد تحصيله لما فى نفسه أظهر وإن شاء ستر على حسب الوقت وما يعطيه مــن المنفعة والمصلحة، فعلى هذا الحد هو الكشف لبعض العارفين غيوب العالم.

وكيفيةٌ أخرى: وبعضهم يرتقم فى مرآة قلبه انطباعا الذى فى نفس الغيــر على وجه المقابلة لصفائها، وذلك أن يكون منزهاً عن الخواطر العرضــية عارفــاً بخواطر المقامات محققاً لموارد خواطر مقامه، وإذا وجد من هذه صفته خاطراً لا يقتضيه مقامه يعلم على القطع أنه خاطر بعض الحاضرين[1]، ومتى فــرق بــين المقامين قد يعرف الخاطر ولا يعرف لمن خطر فيتكلم هذا الموصوف فى ميعــاده على ما وجد فى نفسه فيعرفه من قام به فيجد شفاه، ورجل آخر عندما يقوم به ذلك يعرف صاحب ذلك الخاطر حتى يواجهه بالكلام دون غيره، وأصل معرفته أن بين القلوب مناسبة فى الأصل فإذا خطر الخاطر فى قلب الوارد أو المريد فــإن كــان قبيحاً انبعث من القلب دخان يجيء به سحابة على قلب الشيخ فــإذا قابــل الشــيخ بوجهه من قام به ذلك الخاطر تكاثف ذلك الدخان، وإذا خرج عن مواجهته مر عليه متقطعاً، فيعرف ذلك الشخص، وإن كان حسنا كان بدل الدخان بخار لطيف الرائحة يجد طيبها فى أنفه، والحال كالحال هذا إذا كان صاحب الخاطر حاضراً، فإن كان

(١) وقد حصل لسيدنا عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – خاطر وسواس وهو يتوضأ فأشــار أن الوسواس حصل لبعض المتوضئين بجواره.

غائباً كعارف قاعد بالجامع مثلاً، فخطر بأهل داره شهوة اللحم فيجد ذلك فى نفسه وهو طاهر النفس عن الشهوة، ثم يجد فى نفسه أنه لا يحمل ذلك الشىء إلا لمنزله، فإن تمناه شخص مجهول فى حق العارف وأراد الله أن يكون قضاء ذلك الأمر على يده، فإنه يشترى تلك الشهوة، ومتى اتفق له أمران الواحد قد يمثل له مثـــال ذلـــك الشخص حتى يعرف أو يمثل له الشخص إن كان يعرف منزله، وإن لم يكن مـــن هذا الصنف فإنه ينصرف حيث حمله الله تعالى لا يقصد طريقاً معينـــاً وخـــاطره متحرك أبداً، فإذا قابل صاحب ذلك الخاطر أو داره كان حاله معه كحال الخـــاطر المتقدم فيدفعه له وينصرف.

كيفيةٌ كشفيةٌ: وهذه من لطائف المكاشفات – فاكتف مـــن ذلـــك – هـــو أن يخطر لك خاطر فيجيء المكاشَف ويجده مرقوما فى ثوبك النهى عنه أو الأمر بـــه كما اتفق للشيخ أبى مدين حين خطر له أن يطلق امرأته فرأى أبو العباس الخشاب مخطوطاً فى ثوب الشيخ أبى مدين: "أمسك عليك زوجك" واتفق لى ألطف من هذا وذلك أنى كنت مشغولاً بتأليف كتاب إلقائىٍّ فقيل لى: اكتب هذا باب يَـــدِقُّ وصـــفه ويُمْنَع كشفه، ثم لم أعرف ما أكتب بعده وبقيت انتظر الإلقاء حتى انحرف مزاجى وكدت أهلك، فَنُصب قُدَّامى لوح نورى وفيه أسطرٌ خضرٌ نوريةٌ فيها مكتوب: هذا باب يدق وصفه ويمنع كشفه، والكلام على الباب، فقيدته إلى آخره، ثم رفع عنى.

كيفية فعليةٌ: وذلك أن يزنى الرجل أو يسرق أو يشتم أو يفعل فعلاً حراماً، فيدخل على المكاشف فيرى ذلك العضو الذى يكون منه العمل تخطيطاً أســـود ولا يرى غير ذلك، وكان هذا المقام غالباً على حال أبى يعزى – رضوان الله عليـــه – وهذه المكاشفة موقوفة على المتحققين فى مقام الـــورع، وثَـــمَّ معرفـــة الخـــواطر والفراسة مقام غير هذا يحرم كشفه فمن ذاقه يلتذ به وهو أسنى المقامات لا يناله إلا أهل العناية من الرجال مثل نبى أو بعض الصديقين، وهو الكشف الملكى، وألطف منه الكشف اللوحى، وألطف منه الكشف القلمى، وألطف منـــه الكشـــف النـــونى،

وألطف منه الكشف اليمينى، وألطف منه الكشف الإرادى، وألطف منــه الكشــف العلمى، وألطف منه الكشف الذاتى، منزل الحركات والســكنات، وأمــا الفراســة فنوعان: رئيسية، ودون ذلك، فأما الدنية فنوعان: النوع الواحد ما تقــدم، والنــوع الثانى موقوف على العارفين بالمزاج ونتائجه، وهذا يعرفه الحكماء من الفلاسفة ولا حاجة لنا هنا به، وأما الرئيسية فسببها حكم غير هذا كله، وبهــا يقطــع بخاتمــة المتفرَّس فيه قطعاً ويعلمه علماً، وذلك بأن يمشى الحكيم المتخلق المتحقق الواصل إلى عين الوجود والحقيقة على منازل نفسه وحالاتها منزلاً منزلاً وحالاً حالاً على الترتيب الحكمى الإلهى فى النفوس على الإطلاق مرتبة بعد أخرى علــى التتــالى والتتابع ولا يصح له المشى فيها إلا كذلك حتى يعرف المنازل كلها مــن طريــق المقامات، ثم ينظر نفسه فلا يجد منزلاً ولا حالاً إلا وله حكم وتأثير على ظــاهره من حركة أو سكون وهى منازل مختلفة تنتهى إلى غايات مختلفات، فإذا تحقق بهذه المرتبة وعرف تأثيرات المنازل وحالاته صحت له الرئاسة المكمَّلة، فصاحب هــذا المقام إذا رأى شخصاً فى الوجود فلابد أن يكون متحركاً أو ساكناً بأى نوع كــان من الحركات من لسان أو يد أو غير ذلك فيعرف من ذلك منزلة ذلــك الشــخص، ويعرف تلك المنزلة أين مآلها فى الوجود فيقطع على ذلك الشخص بها، فيكون كما قال.

وقد اتفق لشيخ الشيوخ أبى مدين – رضى الله عنه – هذا فى حق شــخص تحرك فى مجلسه، فأمر بإخراجه وقال: سترى ما يكون من حاله بعد كــذا ســنة، فاستفصله بعض الحاضرين عن الأمر، فقال – رضى الله عنه: يدعى الهداية وفى نسخة: "الرئاسة"، فكان كما قال الشيخ بعد عشرين سنة، وهذه العلوم كلها من العلوم الإلهية عين اليقين وحق اليقين، وهى من العلوم الإلهية اللدنية، والزيادة على حسب الفتح، وبين مقامات هذه العلوم فرقان بين منزل وعال ثم قد يرتقى من هذه المنازل إلى أن تحصل له رؤية الحق من جهة صفات الكمال، فإن كل رؤية تقــدمت إنمــا

هى من حضرة الأفعال، فلا يزال يرتقى فى أطوار المشــاهدات الانفعاليــة إلــى مشاهدة صفة الكمال البسائط ثم إلى مشاهدة صفة الجلال التى هى للســلب وهــى المشاهدة الذاتية هنا المشار إليها فى قوله ﷺ: «**إن فى الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**» وجنتنا فى هذه الدار ما وصل إليها وهى الطاعة فبما ينتج دخول الجنة هناك نتيجة الطاعات هنا لمن اختصه الله بها، وأعلم أن العلم المتعلق بالذات إنما يناله كل من نال منه شيئاً من جهة السلب لا من جهة الإثبــات مثــل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشــورى:١١] ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصافات:١٨٠] وهذا مقام الحيرة والعجز، وفيه قال الصدّيق: العجز عن درك الإدراك إدراك، وقال الصادق ﷺ: «**لا أحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**» جعلنا الله ممن استمرت حالاته على الاستقامة فإنها أكبر كرامة.

الفلك الأدنى السمعي

يـــا صـــاحب الأذن إن الأذن ناداكـــا * فعى الخطاب إذا الــرحمن ناجاكـــا

فإن وعيت الذى يلقيــه مــن حكــم * عليك كانت لــك الأسـرار أفلاكـــا

وإن تضاممت عن إدراك مــا نشــرت * لديك كانت لك الأكــوان إشــراكا[1]

اعلم يا بنى – وفقك الله – أن السمع لا يصح إلا مـــع الحضـــور– أعنـــى حضور القلب– قـــال الله تعـــالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق:٣٧] فحقيقة السمع الفهم عن الله فيمـــا يتلـــوه عليك سبحانه، ولا تظن يا بنى أن تلاوة الحق عليك وعلى أبناء جنسك مـــن هـــذا القرآن العزيز خاصة ليس هذا حظ الصوفى بل الوجود بأسره، كتاب مسطور فـــى رق منشور تلاه عليك سبحانه لتعقل عنه إن كنت عالماً، قـــال الله تعـــالى: ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٣] ولا تحجب عن ملاحظة المختصر الشريف من هذا الكتاب المسطور الذى هو عبارة عنك[2]، فإن الحق تعالى تارة يتلو عليـــك من الكتاب الكبير الخارج وتارة يتلو عليك من نفسك، فاسمع وتأهب لخطاب مولاك إليك في أى مقام كنت، وتَحَفَّظ من الوَقْر والصَّمَم؛ فالصمم آفة تمنعك مـــن إدراك

---

(١) الأبيات من بحر البسيط.

(٢) قال الشاعر:

وتـــزعم أنـــك جـــرمٌ صـــغيرٌ * وفيك انطـــوى العـــالم الأكبـــر

وقال الشاعر:

ولـــيس علـــى الله بمســـتغربٍ * أن يجمـــع العـــالم فـــى واحـــدِ

تلاوته عليك من الكتاب الكبير المعبر عنه بالفرقان، والوقر آفة تمنعك مـــن إدراك تلاوته عليك من نفسك المختصرة وهو الكتاب المعبر عنه بالقرآن إذ الإنسان محل الجمع لما تفرق فى العالم الكبير، ومعنى التلاوة أذكرها فى عضو اللسان بعد هـــذا إن شاء الله تعالى، وعلامة السامعين المحققين فى سماعهم انقيادهم إلى كل عمـــل مقرب إلى الله تعالى من جهة سماعه أعنى من التكليفات المتوجهة على الأذن مـــن أمر ونهى كسماعه للعلم والذكر والثناء على الحق تعالى والموعظة الحسنة والقول الحسن، ومن علامته أيضا التصامم عن الغِيْبَة والبهتـــان، والســـوء مـــن القـــول، والخوض فى آيات الله تعالى، والرفث، والجدال، وسماع القِيَان، وكل محرم حَجَّر الشارع عليك سماعه، وقد وصف الله تعالى مَنْ هذه أوصافه فى كتابه العزيز فـــى معرض الثناء عليهم لنقتدى بهم، ونعرف أنَّا إذا سلكنا مسلكهم كان لنا نصيب مـــن ذلك الثناء الذى صح لهم من الحق جل اسمه قال الله تعـــالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القصص: ٥٥] لما يئسوا من إرشادهم وفلاحم سلموا الأمر لله واشـــتغلوا بمـــا يزلفهم لديه، فأعرضوا شرعا وسلموا حقيقة، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ٨٣ ــ ٨٥]، فـــانظر كيـــف جعـــل تعـــالى السامعين من الكتاب الخارج عنك ممن حاله البكاء لمعرفتهم بما سمعوا ومقـــامهم الإيمان ومآلهم الجنان مع المحسنين من عباده، وقال تعـــالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٦] فأثنى عليهم لما سمعوا داعية بالإجابة الذى أمرهم

بها سبحانه فى قولــه: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحقــاف: ٣١]، وكرامــة هؤلاء عنده سبحانه إجابته لهم إذا دعوه لارتباط الحكمة فى المناسبة، فلا يُجَاب إلا من يُجِيب، ألا تراه سبحانه كيــف قــال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فإذا صحت منهم الإجابة لما دعاهم إليه وهو حقيقة السماع صح لهم إجابته إذا دعوه، والله ذو الفضل العظــيم، وقــال تعــالى: ﴿ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٠]، فــانظر قوله تعالى: (إذا سمعتم) فمن لم يحضر عند الكلام بسمعه لم يعلم هل كفر بها أو لم يكفر؟ ولا يصدق فى دعواه أنه سمع فإنه لا يغنيه سماع الأذن من الله شيئا، ولهذا قــال تعـــالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ ﴾ [فــاطر: ١٤]، وقال تعالى: ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٧١]، فلا يعقل إلا من سمع، ولا يسمع إلا من حضر، فلما أخبر سبحانه أن الذين يخوضون فى آيات الله إذا قعد معهم سامع لهم أنه فى مقامهم، وأنه يجازى من حيث هم للاشتراك، ولا يرضى بهذه المنزلة إلا منافق، ولهــذا قــال فــى نفــس الآيــة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠]، فالكــافر الخــائض والمنافق الجليس والمستمع لخوضه، كذلك فمن جالس الصديقين والعــارفين فــى مجالسهم المطهرة وأنديتهم المقدسة فإنه شريك لهم فى كل خيــر ينــالوه مــن الله تعالى، وقد قال ﷺ فيهم: **«هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»** فالمرء مع من جالس؛

لأن المجالسة والاجتماع ينتجان عن المحبة، وقال ﷺ: «**المرء مع من أحب**»، وهنا سرٌّ صوفى، يريد ﷺ فى الدنيا والآخرة، فى الدنيا بالطاعة والأدب الشرعى، وفى الآخرة بالمعاينة والقرب المشهدى، فمن لم يتحقق بما سمع وادعى أنه عقل فدعواه كاذبة، ولهذا السماع المبارك كرامات ومنازل كما تقدم للبصرى الكرامات، ومن الكرامات: البُشرى له بأنه من أهل الهداية والعقل عن الله تعالى، وهى الكرامة الكبرى، فإنه كما سمع فأجاب أُسْمِعَ أيضا إجابة الحق له بالبُشرى، وهى نفس حالاته التى هو عليها، فسماعه هو عين البشرى له بأنه من المهتدين، فتفطن لهذا المعنى فإنه حسن، قال الله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝ ﴾ [الزمر: ١٧ ــ ١٨]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ ﴾ [يونس: ٦٣، ٦٤].

والإيمان لا يكون إلا بعد سماع الخير وعقله، وقال ﷺ: «**من خلق للنعيم فَسَيُيَسَّر للبشرى**»[1] وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ ﴾ [الليل: ٥ ــ ٧]، ولا يكون هذا كله إلا بعد السماع والعقل، ومنها: سماع نطق الجمادات على مراتب نطقها فى العوائد وخرقها، وخرق العادة فيها على قسمين: راجع إليك، وقسم راجع إليها، فالراجع إليك فهمك لحقائقها والذى يرجع إليها نطقها فى نفسها على طريق الإعجاز والكرامة، وكيفما كانت فالفائدة بذلك التحريض على الطاعة والدوام على الاستقامة لترقى الهمم فى المنازل العلية، وهذا أحد الميراث النبوى من تسبيح الحصى فى كف النبى ﷺ ومن

(١) وفى نسخة مطبوعة: (لليسرى) بالسين المهملة.

شاءالله من الصحابة، وحنين الجذع[١]، وســلام الحجــر عليــه، وكتــف الشــاة المسمومة[٢]، قال الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء: ٤٤]، فإذا تحقق بهذا تطرأ عليه حالة لا يشاهد فيها شيئا من الموجودات إلا مسبحاً بلسان ناطق كنطق زيد وعمرو يفهمه صاحب الحال المشاهد له لا بالحال كما يراه بعض المنكرين الذين لم يذوقوا من الطريق إلا رسمه، فإن سمعت نطقها وهى غير ناطقة فى نفسها فذلك قوة خيال وهمى عندك تخيلت أن الأمر خارج عنك، وهــو فيــك، وإلى هذا المقام يشير المنكرون الذين ذكرناهم وهذه حالة أكثر المريدين فى زماننا لكنهم لا يشعرون بذلك، وقد شاهدنا هذا فى أنفسنا فى بدايتنا لله الحمد على ذلــك، ومنها: أن يكون من صاحب هذا المقام مُحَدَّثا ولا يرى من يحدثه من جهــة هــذه الحضرة، فإن رآه فمن جهة حضرة تحققه بالبصــر، فيلحقــك الســماع بدرجــة المُحَدَّثين، ويهتف بك وتسمع الخطاب إما بدئها وإما جوابا عن سؤال منــك، ورد السلام عليك، وقد شاهدنا هذه الأمور كلها، وأخبرنى غير واحد عن أبى العبــاس الخشاب ﷺ أنه كان مُحَدَّثاً شُهِرَ هذا عنه، ومن هذا الباب سماع سارية صوت عمر من المدينة وبينهما أيام كثيرة، فكل كرامة يكون خطاب فيها فهى من هذا البــاب، فإذا زاد على الخطاب أمر آخر، فمن تحققه من حضرة أخرى إذا طلبتها وجــدتها، وهكذا ربط الله سبحانه العادة عندنا فى الطريق، واقتضته مناسبة الحكمــة[٣] مــع جواز التبدل عقلا، فإذا صح ما ذكرناه وليس بشرط وجوده بــل يكــون التحقــق والولاية مع عدم هذه الكرامات، ولكن أردنا فى هذا البــاب أن نبــين مراتبهــا إذا

---

(١) وهو جذعٌ كان يقف عليه النبى الكريم ﷺ خطيبا فى الناس فى مسجده، فلما صنعوا له ﷺ المنبر فترك الجذع حنَّ له الجذع وسُمِع له أنين كأنين الطفل، فربت عليه النبى ﷺ وبشــره بأنه يكون من شجر الجنة.

(٢) وهى التى دسَّ فيها اليهود السم له ﷺ فلما تناولها بفمه أخبرته أنها مسمومة.

(٣) أى: لأن الحكمة من الله تعالى أن يكون الجزاء من جنس العمل فلما سمع آيات الله وعمل بها كان أن أسمعه الله من آياته فى الكون.

ظهرت ليعلم من ظهرت له من أين صحت لــه وأيــن مقامهــا فــى الحضــرات الوجودية، وإذا تقرر هذا فلننتقل إلى ما تيسر من المنــازل لهــذه المقامــات والله المستعان. **منازل هذا العضو:** أصل حصول هذه المنازل تفريغ الخاطر مــن كــل شاغل يشغلك عن تحققك بما سمعت أو رأيت أو تكلمت فى أى مقــام كنــت مــن مقامات أعمال الجوارح، فإن لم تتفرغ الخواطر للسماع لم تتفرغ الأعضاء للتخلق، وإذا لم يصح التخلق لم يكن التحقق، والتحقق له مقامات متفاضلة، وهو الذى أردناه بالمنازل، فاسع يا بنى فى تفريغ الخاطر للسماع، والمراد منك فى أى مكان كنــت من خلاء أو ملأ إن لم يضرك الملأ ووجدت فلا حرج عليك فــى مجالســة، وإن حرمت من أجله فالزم الخلوة فهى خير جليس حتى يتقوى حالــك، فــإذا مازجــك السماع امتزاج العرض للجوهر حينئذ لا تبالى بالملأ ولا غيره، فإذا انتقلــت إلــى المنازل تولاك الحق بعنايته وطرد عنك كل خطاب خارج — يعنى لا يحجبــك — وصار الخطاب لك من نفسك على قدر مقامك منزلةً بعد منزلةٍ وحالاً بعد حال طبقاً عن طبق فما لهم لا يؤمنون بما يسمعون وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون ناداهم الحق فى أنفسهم من أحوالهم تشريفاً بأسرارهم فعرفوا حقائق العبودية، فلزمهم مــا تقتضيه حكمة العبودية، فوجب عليهم السجود والنزول إلى ذواتهم فتــرزق حينئــذ الفهم عن الله منك به، فلا تنادى بأمر من الأمور من سر أو حال منك إلا وهبــت روح ذلك بالمنادى به فتكون صاحب سماع، وما حظك منه؟ وما حظه فى الوجود؟ وعلى كم مرتبة ينقسم؟ فلا يزال هكذا يتردد فى أطوار الســماع مــن المقامــات المحمدية الحاصلة فى الإنسان هكذا حتى ينتهى بك إلى سماع الأشياء منك أيضــا من المقامات الإلهية مقاما بعد مقام حتى ينتهى بك إلى ما قدر لك فى هذه الدار ثم هذه الصفة لا تزال بك حتى تسمع الكلام القديم حيث أراد سبحانه من الوجود، فإن قلت: وإذا كان غداً ويسمع كلام الله سبحانه القديم شاركنى فيه كل سامع هناك فأين الاختصاص الذى أورثنى هذه الصفة حتى أزالتنى عن درجة البله؟ فإنما الذى قلت

صحيح إلا أن الاختصاص والفائدة ليس فى أن الحق تعالى يكلمنا فقط، وإنما الفائدة فيما يكلمنا به، وفيما نفهم عنه واللذة على قدر الفهم، فهناك يقع التفاضل، ويتميـز المختص من غيره وكل حزب بما لديهم فرحون، وكل من تحقق بسماعه من وراء حجابه وتخلق على ذلك القدر يسمعه على الكشف وارتفاع الوسائط، فكن مـن أى حزب يراد بك بمشيئة التكليف، فالعبد المحقق فى السماع لا يزال يسمع بالحق حتى يسمعه الحق حتى لا يُسْمَع الحق به[١] حتى ليا يسمع ولا يُسمع، فيبقى الحق يسمع الحق على وجه ما، والعبد فى الحق موجود[٢]، فى حقيقتـه مفقـود[٣] حققنـا الله بحقائقه.

الفلك اللسانى:

إن اللســان رســول القلــب للبشــر * بما قد أودعــه الــرحمن مــن دُرر

فيرتدى الصدق أحيانــا علــى حــذر * ويرتدى المَيْنَ[٤] أحياناً علــى خطــر

كلاهمــا عَلَــمٌ فــى رأســه لهــبٌ * لا يعقل الحكــم فيــه غيــر معتبــر

فانظر إلى صــادقٍ طابــت مــوارده * وكــاذبٍ رائــحٍ، غــادٍ علــى سَــقَرِ

مــع اتحادهمــا والكيــف يجهلــه * من سائل كيف حكم الحق فى البشر[٥]

اعلم يا بنى ــ وفقك الله وعصمك من آفات اللسان وزيـادة الحـديث ــ أن اللسان أملك شيء للإنسان، سريع الحركة، حركته أقرب إلى الهـلاك منهـا إلـى النجاة، كثير العثرات، قال ﷺ: «وهل يكب الناس فى النـار علـى منـاخرهم إلا

---

(١) أى: يكون نطقه عن الله وبالله وفى الله، لا أن الحق قد حل فى الخلق ــ والعياذ بالله فإنـه كفر وغير مراد.
(٢) لأن العبد هو أثر من آثار صفات الله فهو أثر القدرة وهو أثر الخلق، فبالعبد نعرف الحق.
(٣) فليس حقيقة الله هى العبد وأنه به يتحقق وجود الحق تعالى بل حقيقة الله لا تحتاج لـذلك وليس لها أن تحتاج أصلا لشيء، ولا يدرك الله على الحقيقة إلا الله تعالى، والله أعلم.
(٤) أى: الكذب.
(٥) الأبيات من بحر البسيط.

حصائد ألسنتهم» وهو تَرْجُمَان[1] إرادة الحق بما شاء أن يجريه فى عالم الشهادة لا ترجمان الأمر إلا بالموافقة فإما صادق وإما دجَّال[2]، لكن الحكيم العارف يقول: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمـــران: ١٩١]، وإن كان كاذبا أخذ الحكيم من حكمته، ويبقى على الكاذب كذبه علـى أنـه ليس فى الوجود باطل أصلا، وإنما الوجود حق كله، والباطل إشارة إلى العـدم إذا حققته، واعلم أن اللسان قلم القلب يكتب فيه به يمين القدرة ما تملى عليه الإرادة من العلم فى قراطيس ظاهر الكون، وإلى هذا المقام أشرت بقولى:

قلمى ولـوحى فـى الوجـود يمـده * قلـم الإلـه ولوحـه المحفـوظ
ويـدى يمـين الله فـى ملكوتـه * ما شئت أجرى والرسـوم حظـوظ[3]

وقلب العبد هو محل الإلقاء الإلهى من خير وشر شرعا، وهو لوح المحـو والإثبـات ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعـد: ٣٩]. فيخطر للعبد خاطر بأن يفعل أمرا ما من الأمور ثم ينسـخه خـاطر آخـر، فيمحى الأول ويثبت الثانى، وهذا مادام العبد مهتما لخواطره محجوبا عن كشـف الإلقاء الإلهى الخصوصى، فإذا أيد بالعصمة إن كان نبيا، أو بالحفظ إن كان وليـا عاد قلبه لوحا محفوظا مقدسا عن المحو، فإن ظهر ممن هذا مقامه محو فى ظاهر الكون بعد إثبات وهو عن أمر يقوم بالقلب من الحق، فلا يقال إنـه لـوح محـو وإثبات؛ لأنه صاحب كشف، وإنما وقع المحو فى ظاهر الكون، وبقيت حكمته فـى القلب، وإنما سمينا هذه المقامات بهذه الأَسْمِيَةِ لكون الإنسان نسخة من العالم الكبير، فأردنا أن نعرفك أين موضع اللوحين فى الإنسان المقابلين للوحى العـالم الكبيـر،

---

(١) بفتح التاء الفوقية.
(٢) أى: كذاب.
(٣) البيتان من بحر الكامل ووزنهما: (متفاعلن متفاعلن متفاعلن) مرتين.

كيف يكون ومتى يكون، فالكلام ـ عافاك الله من موارده ـ عمل من الأعمـــال يحصيه الملك كما قال تعـــالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨]، ثم يصعد به فى المساء والصباح إلى الواحد جل جلاله، فما كان خالصا له سبحانه ألقاه فى عليين، وما كان غير خالص بنوع ما من أنواع الكـــدر مثـــل: الزيادات فى الحديث والكذب والرياء والمراء والجدال فى نصرة الباطل ألقاه فـــى سجين. قال الله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴾ [المطففـــين: ٧]، وسأذكر منزلة الكتابين وبقية الكتب فى آخر هذا العضو إن شاء الله تعالى، وأيـــن مراتبها فى الوجود وأنه حيثما كان كتابك نوديت يوم القيامة أن تقـــرأه حيـــث إن يعصم الله وهو خير الحافظين.

واعلم أن اللسان إذا تحقق فى مراعاة ما توجه عليه من الشارع، ووقف عند ما حدّ له، فاشتغل بالواجب عليه فيه كشهادة التوحيد، وقراءة القرآن فـــى بعـــض المواطن، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإصـــلاح ذات البـــين، وشـــهادة التعيين[1]، وتبيين العلم، وإرشاد الضال أو رد السلام إلى ما أشبه ذلك كله، وهـــذا كله من الترغيبات فى النطق المقرب إليه كتلاوة القرآن ودوام التســـبيح والتحميـــد وجميع الأذكار والمواعظ، وكما يجب عليه الكف عن التضريب بين الناس والفرية والجهر بالسوء من القول والنميمة والغيبة، وكل نطق مذموم شرعا فإذا تحقق العبد بهذه الأوصاف على ما حُد له كان مالكا للسانه وشهابا ثاقبا لشيطانه، ويسمى هـــذا صاحب لسان وله كرامات ومنازل كما تقدم فى أصحابه من الأعضـــاء، ومنازلـــه العالية المرادة بالعبد منزلتان لا شيء فوقهما، المنزلة الأولى أن تتلو على الحـــق جل وعلا كتابه على حد ما وضعه ورسمه للعارفين المتحققين، كما سنبين لك فـــى داخل الباب، والمنزلة الثانية: أن يتلو عليك الحق كتابه على حد ما يريـــده وأنـــت

---

(١) أى: الشهادة على أحد بعينه أو شيء بعينه من غير تشكك أو ريبة فى المشهود عليه.

تسمعه، وكان الأولى على ما اشترطناه أن تلقى هذه المنزلة فى إدراك السمع، فإن العبد هنا سامع لا متكلم، ولكن للاشتراك الإلهى فى التلاوة التى تقف عليها إن شاء الله تعالى أخرناها إلى هذا الفصل.

الكرامات: مكالمته للعالم الأعلى ومحادثته لهم، فإن العبد قد يتحقق بالســماع فيكون ممن ينادى ويهتف به، وإذا تكلم لا يرد عليه فإذا صحت المكالمة بينه وبينهم وتنازعوا الحديث فما كان من حديثه لهم فمن تحققه بلسانه، وما كان من حديثهم له فمن جهة تحققه بإذنه، وما كان من مشاهدته لهم فمن جهة تحققه ببصره، وهكذا فى جميع الأعضاء المذكورة، وذلك للمناسبة التى بينهم وبينــه والترتيــب الحكمــى الاختيارى، فمن ترتب ورتب فذلك الحكيم، ومنها أيضاً نطقه بالكون قبل أن يكون والإخبار بالمغيبات والكائنات قبل حصول أعيانها فى الوجود وهى عند القــوم — رضى الله عنهم — على ثلاثة أضرب: إلقاء وكناية ولقاء، وكان تقى بن مخلــد — رحمه الله — قد جمعها، وكان صاحبا للخضر شهر عنه هذا، وعاينا من الرجـــال الذين صفتهم هذه جماعة وشاهدنا من ذاتنا غير مرة، ومن هذا المقام ينتقلون إلـــى مقام كريم يقولون فيه للشيء كن فيكون بإذن الله تعالى[١]، مقام كريم ومشهد عظيم ناله عيسى عليه السلام فى إحيائه للموتى وإبرائه الأكمه والأبرص كل ذلك بـــإذن الله تعالى، وكذلك إبراهيم عليه السلام حين صَارً الأطيار جعل على كل جبل منهن جزءً بعدما قطَّعهن ومزج لحومهن بعضاً ببعض، ثم جعل على كل جبــل مـــنهن جزءًا ثم دعاهن فأتينه سعيا كل ذلك بإذن الله، وليس فى قضية العقل ببعيد أن يكرم الله وليا من أوليائه بهذه الكرامة ويجريها على يديه، فإن كل كرامة ينالها الولى أو تظهر على يده فإن شرفها راجع إلى النبى ﷺ فإنه باتباعه ووقوفه عند حدوده صح له ذلك الأمر، وهذه المسألة فيها خلاف بين العلماء، منهم من يثبت معجزة النبـــى ﷺ كرامة للولى، ومنهم من ينفى ذلك، ومنهم من يثبت للولى كل كرامة لـــم تكـــن

(١) وفى الحديث القدسى: "عبدى أطعنى تقل للشيء كن فيكون".

معجزة لنبى، وأما أصحابنا فلم يتمكن لهم أصلا نفيها لمشاهدتهم إياها فى أنفســهم وفى إخوانهم فهم أصحاب كشف لها وذوق، ولو ذكرنا ما شاهدنا منها وما بلغنــا عن الثقات منها لبهت السامع وربما رمى به وذلك لقصوره بنظــره لــنفس مــن أظهرها الله على يده وشخصه واحتقاره له، فلو تكمل بأن ينظــر للفاعــل القــادر المختار سبحانه الذى أجراها على يده لم يكن ذلك عنده بكبير، ولقد رأيت شخصــا من فقهاء زماننا يقول: لو عاينت أمرا من هذه الأمور على يد أحد لقلت: إنه طــرأ فى دماغى فساد وأما أنه جرى ذلك فلا مع جواز ذلك عندى أن الله تعالى إذا شاء أن يجرى ذلك على يد من شاء أجراه[١]، فانظر يا بنى ما أكثف حجاب هذا ومــا أشد إنكاره وجهله ــ أخذ الله بأيدينا وبيده آمين ونور بصيرته ــ ثم نرجع ونقول: إن هذه الانفعالات الإلهية المختصة بالوجود على يدى هذا الشخص الإنسانى على مراتبها أصلها الذى ترجع إليه قوى نفسية تسميها الصوفية الهمة، وبعضهم يسميها الصدق فيقولون: فلان حَالَ هِمَّتَهُ على أمرٍ ما، فانفعل له ذلك، وفلان صدق فى أمر ما فكان له ذلك، وهذه الصفة يشترك فيها النبى والولى، واثنتان لهما: الواحدة: أن العلم الكسبى يحصل للنبى والولى من غير اكتساب بل يعطى الدليل والمدلول ابتداء من غير نظر فكرى، والأخرى: أن الذى تراه الناس فى النوم يراه النبى والولى فى اليقظة، والثالثة: الهمة التى نحن بسبيلها، وأنه كما لا يتوصــل إليــه شــخص إلا بجسمه أو بسبب ظاهر عليه[٢] يتوصل إليه النبى والولى بهمته وزيادة وهى الأمور الخارجةً عن مقدور البشر رأسا كالأمور التى تقدم ذكرها، واعلم أن وجــود هــذه

---

(١) وهذا لأنه يعاصرهم، والعلماء قالوا: "المعاصرة حجاب"، والواحد منهم يستصغر من قرينه ومعاصره أن يكون من أهل الكرامات ولا يرى له ما يرى لنفسه فضلا عن أن يرى له فوق ما لنفسه.

(٢) وذلك مثل ما رأينا أن بعض الآسيويين فى عصرنا هذا كان ينظر إلى الزجاج بنظر ثاقــب ويوجه إليه همته بروحانية ما فيكسره، فلا عجب أن يحصل هذا للمــؤمن الــولى صــاحب الموالاة من الله والعناية.

الهمة فى العبد على نوعين ولها مرتبتان: همة تكون فى أصل خلقة العبد وجبلتـــه، وهمة تحصل له بعد أن لم تكن، ومن أصحابنا من يراها فى الجبلة رأساً، فإن قال قائل: كيف هى فى الجبلة ونراها لا تكون له إلا حين حصول التمييـــز والنطـــق، وهذان مقامان فاعلم؟ قلنا له: ليس الأمر كذلك بل هى فى جبلـــة مـــن أراد الله أن يخلقه عليها لكن لا يشعر بها الفهم أنه عليها ويصرفها فى غير مـــا ذكرنـــاه مـــن الخارق للعادة، فإذا علمها من نفسه صرفها فيما أراده من الموجودات كنطق عيسى عليه السلام فى المهد بأمر الله، وهمة مريم وشاهد يوسف عليه السلام، ألا تـــرى صاحب العين يتقوى عنده تخيلٌ حاكماً به حصول الجَمَل فى القدر والطفل فى القبر فيكون ذلك، وهذه صفة أثبتها الشرع ونعوذ منها.

ولكن الفرق بيننا وبين طائفة أخرى أنها عندنا كلها أسباب يفعل الحق سبحانه الأشياء وعندها لا بها[١] وغيرنا يعتقد خلاف هذا وأن الأسباب هى الفاعلة، ومـــن هذا الباب أعنى انفعال الأجسام للهمم التى هى القوى النفسية أنا نرى شخصـــاً قـــد ملكه الله الوهم فى أمر ما حتى قضى عليه، مثال ذلك شخص نصب له لوحٌ عرضُ شبرٍ أو شبرين من حائط إلى حائط بينهما فراغ بعيد، فتكلف المشى عليه، فعنـــدما يرى الهواء تحته يتخيل فى نفسه السقوط فى الأرض، فإذا تقوى عليه هذا الـــوهم وغلب سقط الجسم لحينه فى الأرض وقد كان ذلك الشخص يمشى على عرض كف أو إصبع فى الأرض ولا يقع ولا يسقط، ومثل هذا كثير، ومنها أحوال المريـــدين والقشعريرة[٢]، ولو نظرت بعين العلم لرأيت أن كل حركة فى الوجود أصلها هـــذا لكنه يغمض، فهذه القوى الإلهية المركبة فى النفوس أُسُّ[٣] خرق العوائـــد علـــى مراتبها، ومن هذا الباب ما نشاهده من بعض أشخاص جبلهم الله على الدعابة بحيث

---

(١) ومن قال: (بها) فقد أشرك بالله تعالى.

(٢) فإن هذه الأحوال من شدة توهم قرب العذاب من المريد أو من توهم قرب الله منه فيحصل له الإجلال فيقشعر بدنه وشعره وجلده.

(٣) يعنى: أصل.

إذا تكلموا أثر فى نفوس السامعين طرباً شديداً أو ضحكا حتى يظهر ذلــك علـــى أجسامهم، ويُضحك الملوك فى حال توقيرهم ولا يستطيعون أن يملكوا ذلك الطرب، والفعل للأجسام تنفعل به انفعالا عظيما لانطباعه فى النفس انطباعاً لم ينظر معــه إلى سواه وقد تجد من يأتى بذلك الكلام بعينه ولا تكون عنده هذه القوة بل يستثقل، وأعجب من هذا أن يوجد عن هذه القوة همم فعالة على السماع من غير مشاهدة لها كقوم أخبروا عمن هذه صفته فاستظرفوا أخباره وتاقت نفوسهم إلى ســماعها منــه فيأتيهم شخص يقال لهم: "هذا فلان الذى كنتم تتمنوه"، وليس هو، فعندما يتكلم بكلام مستثقل وُجِدَ عند ذلك طرب عند هؤلاء، وليس طربهم بما تكلم به فى هذا التحقيق، وإنما طربهم تخيلهم الثابت فى نفوسهم المانع لهم من النظر فيما تكلــم بـــه هــذا الشخص وقياسه على ما سمع من أخباره بل كان ذلك السماع كسماعهم أصـــوات الموسيقى الذى هو صوت مجرد وتأثيره فيهم ومنهم، وهذا هو التعشـــق النفســـانى الذى يعرفه الحكيم، فإن قيل: إن الساحر أو صاحب القوة النفسية التى هـــى أثـــر لخرق العوائد عندك إذا ادعى النبوة وأراد خرق عادة لصدق دعواه بقوته النفسية.

وقد دل الدليل أن ذلك الأمر لا يقع على وفق دعواه أصلا، فلـــو صــــح أن خرق العوائد أصلها القوة النفسية لوقع الأمر لهذا المدعى إذ هو صاحب قوة، قلنا: القوى ليست على مرتبة واحدة بل تتفاضل تفاضلا بينا عند العقلاء، فإذا كان هـــذا التفاضل فقوى الأنبياء التى وهبهم الحق سبحانه لم يعطها لغيرهم، قال المعترض: يدعى هذا الكاذب فى نبوته خرق عادة تكون قوته بحيث يصدق فى دعواه، قلنا: لما دل الدليل على إحالة ذلك لابد من وجود أحد أمرين إن كانت فى الجبلة تلك القـــوة حجبه الله سبحانه عن إيقاع ما ملكها إياه بأمر عارض لم يشعر به هـــذا المـــدعى، وإن لم تكن فى الجبلة وكانت مكتسبة كما يرى بعضهم فإن الله تعالى قد أعدمها من ذلك المحل بخلق ضدها كما فعل فى نار إبرهيم فقال لها: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ

إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، فلو ترك النار لأحرقته فأعدمها وأوجد البرد، وكذلك تلك القوة فلا سبيل إلى قلب الحقائق فإنه لو صح أن تنقلب عين حقيقة ما لانقلبت الحقائق كلها جوازا عقليا يقضى به وما بقى بأيدينا علم أصلا لعله قد انقلبت[1] حقيقة المعلوم، ولم يثبت توحيد أصلا لعل من قام الدليل له على توحيد أمر ما قد زال عن وحدانيته، وهذا لا سبيل إليه، ومما يؤيد ما ذكرناه قوله ﷺ: «**إذا أراد الله إنفاذ قضاء وقدر سلب ذوى العقول عقولهم حتى إذا أمضى قدره فيهم ردها عليهم ليعتبروا**»، فلو بقى العقل لبقى لهم النظر.

منازل هذا العضو: اعلم يا بنى أنك لا تعرف منازل التلاوة ما لم تعرف الكتب المتلوة بأعيانها، فإذا عرفتها عرفت حينئذ كيف تتلوها وكيف تسمعها ممن يتلوها عليك، فتحقق ــ والله المرشد ــ أسماء الكتب: الكتاب المنير، والمبين والمحصى، والعزيز، والمرقوم، والحكيم، والمسطور الظاهر، والمسطور الباطن، والجامع: تعيين أربابها القائمين بها: فالمنير لأهل الحُجَج، والمبين لأهل الحقائق، والمحصى لأهل المراقبة، والعزيز لأهل العصمة، والمرقوم الحكيم للمرسلين والورثة، والمسطور الظاهر تأويلا واعتبارا لأهل الإيمان، والمسطور الباطن اعتبارا أيضا لأهل الإباحة، والجامع للروحانيين الملكيين.

علامات التالين لها على الحضور: فمن ادعى أنه تلا المنير علامته المكاشفة، ومن ادعى أنه تلا المبين علامته التمييز والحكم والترتيب، ومن ادعى أنه تلا المحصى علامته الوقوف عند الحدود، ومن ادعى أنه تلا العزيز علامته أن يجهل مقامه، ومن ادعى أنه تلا المرقوم علامته الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتسليم لله تعالى فى كل حال، ومن ادعى أنه تلا المسطور الظاهر علامته

---

(١) فى المخطوط: (لعلة قد انقلب)، والمثبت الصحيح.

المجاهدة، ومن ادعى أنه تلا المسطور الباطن علامته الزندقة، ومن ادعى أنه تــلا الجامع علامته الخروج عن البشرية ولحوقه بالمرتبة الملكية كأبى عقال وغيره.

علامات من تلاها الحق عليه: وليس من هذا الباب وإنما هو من باب السمع، فاعلم يا بنى أنه من تلا عليه المنير قمع هواه، ومن تلا عليه المبين شاهد معنـــاه، ومن تلا عليه كتاب المحصى سلك طريق هداه، من تلا عليه كتاب العزيز اجتبـــى ذراه[1] ومن تلا عليه المرقوم الحكيم بلغ مناه، ومن تلا المســطور الظـــاهر فـــاز برحماه، ومن تلا عليه باطن المسطور كان الشيطان مولاه، ومن تلا عليه الجـــامع لم ينظر إلى سواه.

المنزل الأول: تلاوة العبد على الحق تعالى: لعلك يا بنى تشتهى أن ترسم فى التالين لهذه الكتب على الحق تعالى بأن تمر على حروفه وتكون فيه رحالا مرتحلا وأنت لا تعقل معناه ولا تقف عند حدوده أو تتخيل أن يقول لك الحق تعـــالى عنــد قولك: الحمد لله رب العالمين حمدنى عبدى، والله يا بنى ما يراجع الحق ســبحانه وتعالى بقوله: حمدنى عبدى وأثنى علىَّ عبدى إلا لأهل الحضور معه عند التلاوة بأنه مناجى نفسه بفعله والمناجى بإحاطته وذاته، وأهل التدبير والتذكر لما أودع فى كتابه العزيز من الأسرار والعلوم يفهم كل عبد على قدر مقامه وذوقه وكشفه، قال تعالى: ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]، وقال: ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ [البقرة: ٦٠] بل أقول: إن مَــنْ قعــد علـــى مـــنهج الاستقامة وكانت جبلته الطاعة وكان اللسان صامتا إلا عن تلاوة القرآن فإنه حامد لله بحاله شاكر له بأفعاله ويقول الله فيه: حمدنى عبدى، فإذا كان اللســـان يقـــول: الحمد لله، والقلب فى الدكان أو فى الدار أو فى غرض من الأغراض متى عُــرِفَ

(١) وفى المطبوع: (اجتنب رداه)، وعلى ما فى المخطوط يكون المعنى: اجتبى أعلى مـــا فيـــه وذروة سنامه، والله أعلم.

من هذه صفته أنه يحمد الله؟! وكيف يكون ذلك والقلب غافل بما هو عليــه عمــا جرى به لسانه؟؟

فإذا وفقك الله وتريد أن يسمع الحق منك تلاوتك ويرسمك فى ديوان التالين، ويقول لك على الكمال: حمدنى عبدى، فاعلم منازل التلاوة ومواطنها وكم التــالين منك، وذلك أن تعلم أن على اللسان تلاوة، وعلى الجسم بجميع أعضــائه تــلاوة، وعلى النفس تلاوة، وعلى القلب تلاوة، وعلى الروح تلاوة، وعلى الســر تــلاوة، وعلى سر السر تلاوة، فتلاوة اللسان ترتيل الكتاب على الحد الذى رتب المكلف له، وتلاوة الجسم المعاملات على تفاصيلها فى الأعضاء التى على ســطحه، وتــلاوة النفس التخلق بالأسماء والصفات، وتلاوة القلب الإخلاص والفكر والتدبر، وتــلاوة الروح التوحيد، وتلاوة السر الاتحاد، وتلاوة سر السر الأدب وهو التنزيه الــوارد عليه فى التلقى منه جل وعلا، فمن قام بين يدى سيده بهذه الأوصاف كلها، ونظــر إليه جل اسمه فلم ير جزءًا منه فرداً إلا مستغرقا فيه على ما يرضاه منه كان عبدا كليا وقال له الحق: إذ ذاك حمدنى عبدى أو ما يقول على حسب ما ينطق به العبد قولا أو حالا، فإن كان فيه بعض هذه الأوصاف وتعلقت غفلة ببعض التالين فلــيس بعبد كلى ولا يكون فيه للحق من عبودية الاختصاص إلا قدر ما اتصف به ذاته فثمَّ عبد يكون لله فيه السدس ولهواه ما بقى، ولله فيه الخمس ولهواه ما بقــى، والربــع والثلث والنصف على قدر ما يحضر منه مع الحق من حيث هو ومن حيث نــودى كما جاء فى الصلاة أنه لا يقبل منها إلا ما عقل عُشرها تُسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها فإن حضر فى الكل حصل له الكل، فإن مجيء الحق لك على قدر مجيئك له، أليس الله تعالى يقول: «**من تقرب إلىّ شبرا تقربت له ذراعــا ومن تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا، ومن أتانى يسعى أتيته هرولة**»، فالســعى إلى السعى هرولة، وفى الحديث فائدتان الواحدة: أن يعطى فوق ما يتمنــى العبــد مصداق ذلك قول رسول الله ﷺ: «**إن فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا**

خطر على قلب بشر» فقد أعطانا ما لم يدخل تحت علمنا، والإرادة شرط فى العلم، والفائدة الأخرى المتعلقة بما كنا بسبيله من أن مجيء الحق بالجود لك علـــى قـــدر مجيئك له، فإذا تقربت إليه شبرا تقرب الله سبحانه إليك بجوده ذراعا لكـــن بمـــن تقربت إليه شبرا؟ فهو الذى تقرب إليك عناية منه بك بهذا الشبر الذى تقرب إليه به وتقرب إليك ثوابا وجزاءً وعلى ذلك الشبر الأول شبرا آخر فضلا أيضا فكان مـــن كلاهما ذراعا.

هكذا ما بقى فهو المتقرب إليه بفضله فكأنه ينبهك ويقول لك بقوله: تقربـــت إليك ذراعا يا عبدى إذا ترقت إلىَ فاشهدنى فى تقربت مقرِّباً لك إلىَّ، آخذ بناصيتك وأنت كالميت لا فعل لك، ثم أجازيك على ذلك بمثل ما جئت به، فإن جئت بك إلىَّ بخير جئت إليك بخير، وإن كان ما سوى ذلك فأنا الحكم العدل، وإنما أعمالكم ترد عليكم، وهذا الوجه غامض جدا يتصور عليه اعتراض ولكن إذا حققت ما أشـــرنا إليه ارتفع الاعتراض فابحث عنه وتحققه فى نفسك، فإنه من أرفع المنازل فى هذا المقام، فانظر يا بنى أين تجعل همتك وكيف تكون مع الحق الذى إليه مرادك فإنك لا تجد عنده إلا ما قدمت، وقد علمت المنازل فإما عبدا كليا وإما جزء عبد فتـــدبر هذه التلاوة وألزمها نفسك فى حركاتك وسكناتك ولا تتحرك إلا بالله ولله ومـــع الله وفى الله وإلى الله وعن الله ولا تسكن إلا هذا الحد، فبالله من حيث تولِّيه لـــك فـــى ذلك، ولله من أجله لا من أجلك، ومع الله من حيث المشاهدة والمراقبة، وفى الله من حيث التفكر والتدبر، وإلى الله من حيث التوجه والقصـــد، وعـــن الله مـــن حيـــث التكليف، فهكذا فلتكن فى تلاوتك فإنه سبحانه يعلم السر وأخفى فلا يطلع عليك فى سرك وعلانيتك على ما لا يرضاه منك، وإن كان هو الفاعل سبحانه الموجد لـــذلك الفعل فالزم ما كلفته من الأدب وما تقتضيه الحضرة الإلهية من الإجلال والتعظيم، واعلم أن الله سبحانه خلق الأفعال كلها ثم قسمها إلى محمود ومذموم، فانظر حيث يقيمك فإن أقامك فى مذموم فاعلم أنك فى الوقت ممقوت فاستدرك الإقالة والتضرع

والإنابة، وإن أقامك فى محمود فاعلم أنك فى الوقت محبوب، فإن فعلت يا بنى مـــا لا يرضى الحق منك فارجع على نفسك بالمذمة والتقصير فإنك مأجور فـــى هـــذا الشرك بل هو حقيقة التوحيد، فإن توحيدا بغير أدب ليس بتوحيد، فإنك إن لـــم تـــر العيب من نفسك ولا رجعت عليها بالذم ولا ندمت على فعله لم تصح لك توبة، وإذا لم تتب لم تكن محبوبا، وإذا لم تكن محبوبا كنت ممقوتا محجوبا، فبنفس ما تـــدعى من ذلك التوحيد أنك صاحب كشف جعلك بسوء الأدب فى الحال محجوبا لا تنفعك تلك الحقيقة فى الدنيا ولا فى الآخرة، ثم لتعلم يا بنى إذا كان فعلك الذى عبرنا عنه بتلاوتك بالله فإنك مشاهد صاحب محو، وإذا كان لله فأنت محقق صاحب صحو(١)، وإذا كان مع الله فأنت مؤيد مريد صاحب حال، وإذا كان فى الله فأنت عالم صاحب إثبات، وإذا كان عن الله فأنت أديب صاحب وقت، وإذا كان إلى الله فأنت عـــارف صاحب همة ــ جمع الله لنا ولكم هذه المقامات وعصمنا من الآفات بكرمه آمين.

منزل تلاوة الحق على العبد: لعلك يا بنى تشتهى أن يتلو الحق كتبه وأنـــت تلاحظ نفسك مع أبناء جنسك، هيهات إذا أراد الحق أن ينزلك هذا المقام ويســـمعك تلاوته على حسب ما يريده إما من حيث صفته وإما من حيث فعله على اختلافـــه، فمتى شاء هذا بك أفناك عنك وجردك منك وبقيت فى الوجود شبحا مفقـــودا، فـــإذا فعل بك هذا تلا عليك، وتلاوته عليك على ثلاثة أضرب:

الضرب الأول: إيجاد المحامد فيك فإذا أوجدها فيك وظهرت أحكامها عليـــك وتحققت بكل صفة محمودة، فكان الحق قد قال لك بآثار فعله فيك: لك الحمـــد يـــا عبدى، فيقول العبد عند مشاهدة هذا الخطاب الحالى الوصفى: حمدنى ربـــى، ثـــم يرجع العبد بالحمد على الله لما أولاه فيقول: الحمد لله رب العالمين، فيقول الله عند ذلك: حمدنى عبدى، وهكذا تناسب الصفات مع الثناء صفة بعد صفة حتى تنتهـــى

(١) الصحو: رجوع العارف (العالم بالله) إلى الإحساس بعد الغيبـــة، والفـــرق بـــين الصـــحو والحضور أن الصحو حادث والحضور على الدوام. المعجم الصوفى. د. الحفنى

حيث ينتهى بك، فالحق الحامد والمحمود، والعبـد حامـد ومحمـود، ولـيس إلا اصطفائيته الإلهية، وهذا المقام يفصل بين العبد والرب، فإن الحق تعالى ليس لـه حامد يحمده من ذاته محدث ما لم يوجد سبحانه فى ذلك الحامد صفة الحمـد التـى يكون بها حامدا، وإذا كان الأمر على هذا فيكون سبحانه وتعـالى إذ ذاك الحامـد نفسه لنفسه بفعله لا العبد فلهذا ما أثبتنا العبد هنا محمودا لحامد فإن الله تعالى يصفه وهو ليس يوصف فى هذا المقام، فتدبر هذا الضرب قبل التلاوة ترى عجبا.

الضرب الثانى: الذى يحصل للعبد بعد هذا الضرب الأول من الـتلاوة هـى تلاوة عليه بما ينتجه فى العبد عند حصول تلاوة المحامد التى ذكرناها من الأسرار والحكم وعلوم الترتيب، وتلاوته عليك بالإطلاع الاختصاصى بالتجليات السـلبية، فإذا اتصفت بهذه الأوصاف أيضا كان الحق يقول له مثلا الرحمن الـرحيم حـالا، فيقول العبد عند ذلك تخلقا: أثنى علىَّ ربى بأن وهبنى ما يوجب الثناء والحمد مما لا تدركه العقول حتى ترفع الهمة لطلبه اختصاصا واططفاء وجودا مطلقا جعل لى بذلك لسان صدق فى الآخرين، فهو الرحمن الرحيم على الحقيقة، فيقول الحق عند ذلك: أثنى علىَّ عبدى، فيصير الأمر دوريا بين العبد والحق، والفرق بين التلاوتين فى هذين الضربين أن التلاوة التى فى الضرب الأول تلاوة تخلّـق، والتـى فـى الضرب الثانى تلاوة تحقق لا يجوز الاتصاف بها، فإن الحقيقة تأبى ذلك فهو وهب ربانى وجود إلهى، وتدبر أيضا هذا الضرب ترى عجبا.

الضرب الثالث: تلاوة خارجة عن الخلق والاختراع والإبداع ينالهـا بعـض العبيد فى هذه الدار حقيقة واطلاعا، وينالها بعضهم فى الدار الآخرة، وهذا فضـل منعنا عن كشفه لقلة احتمال بعض عقول الخلق من العلماء له والعارفين، فتركنـاه لك حتى تكشف عليه من نفسك إن كنت منهم.

كمل الجزء الأول والحمد لله وحده.

الفلك اليمينـــى

لعلك تسأل عن يدك أين جعلها فى الوجود، وأين مرتبتهـا فــى حضــرات الوجود، فاسمع أيضا أيها الابن الموفق السعيد:

من كان يبطش بالرحمن فهـو فتـى * كـان التكـرم هجيـرا لـه فعـلا

فسله أن يقـبض الـدنيا ويبسـطها * يـداك تفعـل كـلا ربكـم فعـلا[1]

وهذه درجة شريفة لا تنالها أبداً ما لم تلحق، ولا تلحق حتـى تمحـق، ولا تمحق حتى تتحقق، ولا تتحقق حتى تتخلق، ولا تتخلق حتى توفق ولا توفق حتـى تصحب ذا الخلق الموفق، فإن صاحبته وفقت، وإن وفقت خلقت، وإن خلقت حققت، وإذا حققت محقت، وإذا محقت أُلحقت، وإذا أُلحقت نفضت ما بيدك من الكائنـات، وخرجت عن ملك يمينك وعن هذه الصفات، وكانت يدك يد الطَّول تعطى وتمنع بيد حق، واعلم يا بنى أن العبد الموفق المراد إذا تحقق فى مراعاة التكليـف المتوجـه عليه شرعا فى يده فصرفها فيما أُتيح له، وبسطها فيما وجب عليه أو نـدب إليـه، وقبضها عما حرم عليه أو كره له أو أبيح له ورعاً وهمةً، «**فمـن حسـن إسـلام المرء تركه ما لا يعنيه**» فالواجب كإخراج الزكاة وما أشبهه، والمندوب كصـدقة التطوع، والمحظور كالسرقة، ولمس ما لا يحل لمسه، والضرب فى غيـر حـق، وأشباه ذلك، والمكروه كلمس الذكر باليمين عند البول والاستنجاء به وغير ذلـك، والمباح كجليس خياط أو نجار فيمد يده لبعض ماعونه فيمسكه فى يده مـن غيـر حاجة أو تقليب ثوب وأنواع هذا، فإذا وقف عند الحدود ووفى بالعهد أثمـر ذلـك الوقوف السخاء والزهد وبذل المال، كما قال ﷺ «**إلا من قال هكذا وهكذا**» يعنـى بماله، ولا يفعل هذا ما لم يتخلق بأسرار أسماء يده وما جاوزها وذلك يؤدى إلـى

---

(١) البيتان من بحر البسيط.

رمى الدنيا وأعراضها، وذلك بأن يثنى بثنائه بالتسبيحات ويظفر بأظفاره على ما له فيوجهه فى سبيل البر ولو أُعْطِى الكنزين لا يلتفت إليهما تعشــقا ويخرجهمــا إن ملكهما، ويزهد فيهما كما فعل مَنْ سلك وأثره أسوةً به ﷺ حتى تُبذل لــه أســـرار الوجود، ويكف كفه عن المحارم، ويعتصم بعصَــمِهِ عــن[1] عــن المحظــورات والمكروهات، ويلاحظ فيها عصمة الله له ابتداء بالوجود من العدم وتلقيــه وتقلبــه بالعصمة فى أطوار وجوده بالإسلام من الكفر، وبالتوحيد العام من الشرك العــام، وبالتوحيد الخاص من الشرك الخاص، وبالإيمان مـــن النفــاق، وبالإحســـان مـــن الحجاب، وبالإحسان من الإحسان وبالإحسان الذى تراه من الإحسان الذى يراك به، وبالحياة الخاصة والعامة من الموت الخاص والعام، وبالإنســانية مـــن البهيميـــة، وبالصفات من الآفات، وبالعلم من الجهل، وبالزهد من الرغبـــة، ثـــم إن ارتقـــى بالتخلق نظر إلى عصمته، بالصبر من الجزع، وبالرضا من الصبر، وبالشكر مـــن الكفران وبالعدل من الجَوْر، وبالانتباه من النوم، وبالذكر من النسيان، وباليقظة من الغفلة، وبالصَّحْو من السُّكْر، وبالخوف من الرجاء، وبالبسط من القبض، وبالوجود من الوجد، وبالأنس من الهيبة، وبالجمال من الجلال، وبالاعتــدال مـــن الجمـــال، وبالوصال من الشوق، وبالرجوع من الوقوف، وهكذا فى جميع الأحوال والمقامات، وأن يذرع بذراعه ذاته مع التكليفات لإقامة الوزن، وإظهار العـــدل، وأن يرتفـــق بالاعتبار مرفقه بمولاه ويعتضد به بعضده، وأن يساعد الأمر الإلهى بســـاعده[2]، وأن يكتفى بمعرفته ومشاهدته بكتفه، وأن يتأيد فى الأسباب الموصلة إلى ســـعادته بيده، وأن يتيامن فى ذلك كله بيمينه وأن يُوسر على إخوانه بيســـاره، وأن يشـــمل جميع الخيرات والمحامد فى نفسه بشماله[3]، وهكذا إلى جميع أسرار مـــا يتعلـــق

(١) يعنى: بمعصميه.
(٢) أى: يعمل بأوامر الله تعالى.
(٣) أى: لا يعرها بالا ولا يغتر بها ولا يعجب بمحامده وصفاته الحسنة.

بأسمائه من الحكم والاعتبارات الموصلة إلى السعادة الأبدية صاحبها المتصف بها؛ فإن الله تعالى ما وضع شيئا باطلا ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا ﴾ [آل عمـــران: ١٩١]،﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ ﴾ [ص: ٢٧]،﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الدخان: ٣٨]، فما فى الوجود شيء إلا لحكمة علمها من علمها وجهلها من جهلها، فالوجود كله ما انتظم منه شيء لشيء ولا انضاف منه شيء إلى شيء إلا لمناسبة بينهمـــا ظاهرة أو باطنة إذا طلبها الحكيم المراقب وجدها، كما حكى عن الإمام أبى حامـــد الغزالى وهو من رؤساء هذه الطريقة وساداتهم، وكان يرى المناسبة ويقول بهـــا، فرأى يوما بالقدس حمامة وغرابا قد لصق أحدهما بالآخر وآنس به ولم يســـتوحش منه، فقال الإمام: اجتماعهما لمناسبة بينهما، فأشار إليهما بيده فـــدرجا، وإذا بكـــل واحد منهما أعرج، وكذلك اتفق لشيخ الشيوخ بمغربنا أبى النجا المعـــروف بـــأبى مدين، اتفق له يوما أن علق خاطره بالغير، فماشاه شخص وهو على ذلك الخاطر، فاستوحش منه الشيخ فسأله فإذا به مشرك بالله تعـــالى، فعلـــم المناســـبة وفارقـــه، فالمناسبة فى سياق الأشياء صحيحة ومعرفتها من مقام خواص أهـــل الطريقـــة ــ رضوان الله عليهم ــ وهى غامضة جدا موجودة فى كل الأشياء حتى تُبيِّن[١] الاسم والمسمى، ولقد أشار أبو زيد السهيلى وإن كان أجنبيا من أهل الطريقة ولكنه أشـــار إلى هذا المقام فى كتاب "المعارف والأعلام" له فى اسم النبى ﷺ محمد أو أحمـــد، وتكلم على المناسبة التى بين أفعال رسول الله ﷺ وأخلاقه وبين معانى اسميه "محمد وأحمد"، فالقائلون بالمناسبة من طريقنا عظماء وأهل مراقبة وأدب واشتغال بنفوسهم وبأحوالهم، ولا يكون إلا بعد كشف علمي ومشهد ملكوتى، ولا سيما للملامين مـــن

---

(١) فى هذا الموضع من المخطوط زيادة لفظة: (اتساق).

أهل طريقتنا كشيبان الراعى وأبى يزيد البسطامى ومن لقينا من المشايخ كالمغربى وأحمد المرسى وعبد الله البرجانى وجماعة، فإذا تخلقت ــ وفقك الله ــ بكــل مـــا نصصناه لك فى أسمائك وما أشرنا إليه آنفا فيجب عليك التحقق بأمهـــات العطـــاء الذى هو أصل الوجود الظاهر والباطن، وهو سبب كشف الغطاء عن عين العبد فى هذه الدار، وهو الجود والكرم والسخاء والإيثار، فالجود: عطاؤك ابتداءً قبل السؤال عن طيب نفس لا عن حياء إلا عن تخلق إلهى وطلب مقام ربانى، والكرم: عطاؤك بعد السؤال، والسخاء: عطاؤك الحاجة للمعطَى إليه لا غير.

والإيثار: عطاؤك ما أنت محتاج إليه، واعلم أن بالعطاء صحت الخُلَّة على ما قيل لإبراهيم عليه السلام، وذلك أن الله تعالى أرسل إليه جبريل عليه السلام علـــى صورة شخص فقال له: يا إبراهيم، أراك تعطى الأوداء والأعداء، فقـــال: تعلمـــت الكرم من ربى، رأيته لا يضيعهم، فأنا لا أضيعهم، فأوحى الله تعالى إليـــه أن يـــا إبراهيم، أنت خليلى حقا، فإذا صح منك الزهد وكان الله الملك وأنت العبد، حصلت تحت الملك لا تملك وتيقنت أنك واسطة فيما صرفت تبين فيـــك ســـقوط الـــدعوى والافتقار، ويرتقى بك إلى منازل المقربين والأبرار، فشاهدت من الأسرار على قدر ما وهب لك الواهب، قال الله تعالى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ ﴾ [طه: ٦٩]، فمن ألقى إرادة نفسه فى بحر إرادة مولاه وميدانها تولاها بلطيف حكمته وأجرى عليها صادق عنايته، فأحياها حياة السعادة والتمليك، فامتحق كل باطل وزور وخنس مـــن دلَّـــاه بغرور، وردت إليه بعدما ألقاها وحصل لها الشرف الكامل على أبناء جنسها، فتلك النفس المطمئنة الراضية المرضية الداخلة فى عباد الاختصاص وفـــى الفـــراديس العلية جوار الرحمن وكانت يداها مبسوطتين تنفق كيف تشاء؛ لأنهـــا فـــى محـــل الكشف لا تتحرك إلا عن إذن، ومن كرامات صاحب هذا المقام إدخاله يده فى جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء، كان هذا لموسى عليه السلام، ونبع الماء مـــن بـــين

الأصابع، كان هذا لمحمد ﷺ، ورمى التراب فى وجوه الأعداء فانهزموا، وقــبض من شاء الله من الأولياء فى الهواء فيفتح عن فضة وذهب إلى أمثال هذا المنزل، ثم يرتقى العبد بعد تخلقه بما وصفناه آنفا إلى عالم الغيب فيشاهد اليمين ماسكة قلمهــا وهى تخطط العالم فى لوح الوجود المحفوظ حرفا حرفا مشكولا منقوطــا لتمييــز الحقائق بين المتماثلات والأشكال كالأنواع مثل صيغة الإنسان مثلا والنــوع ذوات الأربع وذوات الجناح، وكذلك أصناف الجمادات مع الحيوانات، والحيوانات ما بين الناميات وغير الناميات، فأمثال المتفرقة بذواتها لم تحتج إلى نقطة وما اشترك فى النوع احتاج إلى فصل فى الأشخاص بأمر عرضى كالزاهد والعابــد والصــوفى والفاسق والكافر والمؤمن، وفى طريقتنا كالربــانى والرحمــانى والإلهــى، وفــى المقامات كالملكوتى والجبروتى والملَكى، فلا يزال صاحب هذا المقام ينظر فى ذلك التخطيط الشريف وإيجاد تلك الحروف على أبدع نظام بأحسن رَقْمٍ فى أحسن لوح، فإذا طال عليه النظر فى جزئيات الكون وهى كثيرة والعمر قصير والوقت عزيــز والعبد مشغول بتحصيله له بث الله فى نفسه التضرع والابتهال والرغبة إلى الله أن ينقله إلى مقام ينحصر له فيه جميع الموجودات كلها ليأخذ الحكم دفعة فيعيش بهــا فى أوقاته، فإذا صدقت هذه الهمة منه وتعلقت بالحق لذلك وقالت: يا مــولاى، لــو اختصرت لى معانيه على الكمال فى شيء محصور تحيط به العين فى لحظة واحدة على الدوام لا أفقده، فإنك قد تردنى لعالم الشهادة فأغيب عن هذه المنازل العليــة، قال الله لها: أيتها الهمة، لك ذلك، فيفتح له باب إلى مشاهدة نفسه فيشــاهد اليمــين تصقل نفسه الزكية ومرآة قلبه الكريم، فمازال يشهدها حتى إذا صقلت وزال صداها ورينها امتدت يد البسط إلى باب المشيئة ففتحت له بابين: بابٌ[1] جزئــى، وبــابٌ كلى، وجعلت المرآة الكريمة الصقيلة تجاه الباب الكلى فانطبعت فيه الصور الكائنة خلف ذلك الباب الكلى وهى منازل العالم الكبير بأسره وحقائقه، فتقعد عين البصيرة

(١) بالرفع على الابتداء.

تتفرج فى شيء واحد لا تتخير ولا يرد رأسه يمينا ولا شمالا ولا إلى جهـــة مـــن الجهات، فإذا قُرِنَ ما تجلى فى مرآة القلب مع المتجلى نفسه جاءت صورة المـــرآة ألطف وأحسن وأحكم وأبدع من ذوات المتجليات، وعلى قـــدر اللطافـــة والحســـن والجمال تعظم اللذة فى نفس المشاهد، وأما الباب الجزئى فهو باب حكـــم التجلـــى وأسرار المتجليات وما أبدع فى طيها من المعارف القدسية والمعالم الربانية المتعلقة بالحضرة الإلهية، وهى التى لا تتناهى لكونها غير حاصلة فى الوجـــود لأن ذلـــك راجع إلى فهمك وإلى ما يوجده الحق فيك عند مشاهدتك إياها لا إلا ذواتها، فغايتها السببية فى تحصيل الأسرار التى تدل عليها عندك، فهى حروف وألفـــاظ جـــاءت لمعانٍ يوجدها الحق فيك مقترنة بشهودها، ولا يكون فتح ذلك الباب إلا على قدر ما يريده الواهب أن يفتح منها على من يشاء من عباده لكنه فى المزيد على الـــدوام، فمقامات العوالم محصورة، ومعالمها وأسرارها غير محصورة[1]، ثم لا يزال كذلك يأخذ من هذا العالم المواهب الإلهية على مراتبها ويدفعها للفقراء ممن دونه علـــى مراتبهم ومنازلهم، وحجاب غفلة الكون دونه مسدول حتى تمد له اليد المقدسة، فكل شيء هالك إلا وجهه، فيلوح له عند ذلك حجاب الكون وسد الغفلة أمامـــه، فترفـــع الهمة لخرق ذلك السد ورفع الحجاب، فينادى من خلف الحجاب: لا يصل إلينا من استمسكت يده بشيء من غير حضرتنا، فازهد تجد الغناء والراحة، واترك العـــالم ومَوْجِدَهم، أتريد أن تكون رازقا ثانيا؟ فيتوب القلب عند ســـماع ذلـــك الخطـــاب ويستغفر ويتضرع ويغمض عينه عن ملاحظة نفسها ومشاهدة مرآتهـــا، فتطـــوى اليمين عند ذلك سماء القلب وتميط عنه أكوانه وتبدو العين الســـليمة، فـــإذا بـــدت شاهدت اليمين اليمين والنعت النعت والاسم الاسم والذات الذات، واجتمـــع الكـــل وانتظم الشمل واطلع على المُلْك بأسره فوجده فى قبضته مرتقمًا فى حقيقة اللطـــف منه فى مرآة قلبه لأنه شاهد فى مرآة موجده، فارتقم فيه من لطف إلى لطف، هـــذا

---

(١) أى: أنها تجل عن الحصر لا أنها غير متناهية.

هو المقام الذى يشاهد فيه الخلق فى الحق، وإلى هذا المقام أشــرت بقــولى فــى قصيدتى التى كنت كتبت بها إلى أبى العباس الرقاشى ﷺ:

وجود الخلق فى الحق فاعتمـــد عليه ولا يبدو لديك نفـــــور

وهذه الغاية القصوى والمستوى الأعلى، فمن حصل فيه ووقف على حقائقــه ومعانيه فهو الذى تشد إليه الركائب وتقطع لديه السباسب، وهذا ميقــات المبايعــة الإلهية الذى قال الله فيه: (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيــديهم)، وقد أفردنا لهذا المقام كتابا كبيرا سميناه:"مبايعة القطب" لم أذكر فيه سوى هذا المقام خاصة فيه، فيد هذا الإمام المرتقى به إلى هذه المرتبة حجره الأسود، وقلبه كعبتــه المقصودة، وجسده حرمه المطهر، وسره عرفاته، ونفسه محصَّبه.

هـــذا المقـــام وهـــذه أســـراره * رُفِعَ الحجـاب وأشــرقت أنــواره

وبــدا هــلال الــتِّمّ يسـطع نــوره * للنــاظرين وزال عنــه ســراره

فأنــار روض القلــب فــى ملكوتــه * وأتــت بكــل حقيقـــة أشـــجاره

عنــد التنـــزل صــح مــا يختــاره * قلــب أميطــت بــالردى أســـتاره

وبــدا النســيم ملاعبــا أغصــانه * فهفــت بأســـرار العلـــى أطيـــاره

جــادت علـــى أهــل الــروائح مِنَّــةً * منـــه برَيَّـــا طيبهـــا أزهــــاره

هـــام الفـــؤاد بحبـــه فتقدســـت * أوصــــافه وتنزهـــت أفكــــاره

وتنـــزل الـــروح الأمـــين لقلبـــه * يوم العروبـــة فانقضـــت أوطـــاره

إن الفـــؤاد مـــع التنـــزل واقـــف * ما لم يصح إلـــى النزيـــل مطـــاره

مـــن كـــان يشـــغله التكـــاثر يكـــن * يغنيـــه يـــوم وروده إكثـــــاره

من ينتمـــى لحقيقـــةٍ يصـــبر علـــى * بأســـائها حتـــى يُـــرَى مقـــداره

لا كالـــذى أمســـى لـــذاك منـــافراً * والمنتمى مـــن لا يُخَـــاف نفـــاره[1]

مـــن يـــدعى أن الحبيـــب أنيســـه * فـــى حالـــه فدليلـــه استبشـــاره

مـــن يـــدعى حكـــم الكيـــان فإنـــه * قـــد تيمتـــه بحبهـــا أغيـــاره

مـــن كـــان يـــزعم أنـــه مـــن آلـــه * ســـبحانه فشـــهوده أذكـــاره

شهداء مـــن قـــال الوجـــود شـــعاره * أمـــر يعـــرف شـــرعه ودثـــاره

وأنينـــه ممـــا يـــراه وصـــمته * عنـــه وعبـــرة وَجْـــدِه وأُوَارُه[2]

ما نال مـــن جعـــل الشـــريعة جانبـــا * شيئا ولو بلـــغ الســـماء منـــاره[3]

الحـــال إمـــا شـــاهد أو وارد * يجرى على حكـــم الهـــوى آثـــاره

والنـــاس إمـــا مـــؤمن أو جاحـــد * أو مـــدعٍ ثـــوبُ النفـــاق شـــعارُه

المنـــزل العـــالى المنيـــف بنـــاؤه * واهٍ متـــى مـــا لـــم يقـــم عُمَّـــاره

الحقـــل إن جاريتـــه فـــى ذاتـــه * فلـــك علـــى نيـــل المقـــام مـــداره

لـــو كـــان تســـعده النفـــوس فإنمـــا * حجبتـــه عـــن نيـــل العُلَـــى أوزاره

فـــإذا أتتـــه عنايـــة مـــن ربـــه * فـــى الحـــال حـــف ببابـــه زواره

ورأيتـــه لمـــا يخلـــص روحـــه * مـــن ســـجنه أســـرى بـــه جبـــاره

وقد امتطـــى رحـــب الـــديار مـــدبِّراً * يُدعى البُرَاق فمـــا يُشَـــقُّ غبـــاره

تهوى به الهُـــوجُ الشـــداد فيرتمـــى * نحـــو الطِّبـــاق وشـــبههن شـــفاره

مـــازال ينـــزل كـــل نـــور لائـــح * مـــن جانبيـــه فمـــا يقـــر قـــراره

---

(١) أى: لا يخشى عليه النفور والرجوع.

(٢) أى: نار لوعته واشتياقه، فالأوار ــ بضم الهمزة وبفتح الواو ــ هو النار.

(٣) وهذا ردٌّ على من عطل أحكام الشريعة وقال بأن التكليف سقط فى حقه من المبتدعة الذين نسبوا أنفسهم افتراءً إلى التصوف الإسلامى وهو منهم برىء.

حتى بــدت شــمس الوجــود لقلبــه * وبــدا لعــين فــؤاده أضــماره

وتلاقـــت الأرواح فـــى ملكوتـــه * فتواصـــلت ببحـــاره أنهـــاره

مـــد اليمـــين لبيعـــة مخصوصـــة * أبداً لهــا وجــه الرضــا مختــارة

لمــا بــدت حســن المقــام لعينــه * عقـــدت عليـــه خلافـــة أزراره

ثم التوى يطــوى الطريــق لجســمه * لــيلاً حــذاراً أن يبــوح نهــاره

وأتـــت ركائبـــه لحضـــرة ملكـــه * بودائـــع تقتادهـــا أبـــراره

وتوجهـــت ســـفراؤه بقضـــائه * فى كــل قلــب لــم يــزل يختــاره

وحمـــت جوانبـــه ســـيوف عـــزائم * منـــه وطـــاف ببابـــه سُـــمَّاره

أيـــن الـــذين تحققـــوا بصـــفاته * هذى العُداة فــأين هــم أنصــاره؟

مـــن يـــدعى حـــب الإمـــام فإنمـــا * قذفت بــه نحــو المَنُــون بحــاره

وسَطَا على جــيش الكيــان بصــارمِ * عَضْب المضــارب لا يُفَــلُّ غــراره

من يهتــدى أهــل النُهــى بمنــاره * ذاك الخليفـــة تُقتفـــى آثـــاره

إن الـــذين يبايعونـــك إنهـــم * ليبـــايعون مـــن اعتلـــت أســـراره

فيمينـــك الحجـــر المكـــرم فـــيهم * يا قبضــة خضــعت لهــا أخيــاره

يا بيعــة الرضــوان دمــتِ ســعيدةً * حتــى تُعَطَّــل للإمــام عشــاره[1]

إن الـــديار بلاقـــع مـــا لـــم تكـــن * صـــفو اللجـــين نزيلهـــا ونضـــاره

المـــال يصـــلح كـــل شـــيء فاســـد * وبه يزول عــن الجــواد عثــاره[2]

---

(١) يعنى: استدامة العمل بما يبايع عليه إلى قيام الساعة يوم أن تعطل العشار، قــال تعــالى: (وإذا العشار عطلت).

(٢) الأبيات من بحر الكامل، ووزنها: (متفاعلن متفاعلن متفاعلن) مرتين.

الفلك البطني:

في شهوة البطن ســر لــيس يعلمــه * إلا الــذي شــاهد الــرزاق رزاقــاً

لــولا الغــذاء ولــولا ســر حكمتــه * ما لاح فــرع ولا عاينــت إعراقــا

وكُــلْ حــلالاً إذا كــان المحلِّــلُ * موجوداً بقلبــك وهَّابــاً وخلاقــا[1]

اعلم يا بني: أن الله جل ثناؤه لما أراد أن يرقى عبده الخصوصي إلى المقامات العلية قرب منه أعداءه حتى يعظم جهاده لهم وليشتغل بمحاربتهم أولاً قبل محاربة غيرهم من الأعداء الذين هم أبعد[2]، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ [التوبة: ١٢٣]، وحظ الصوفي وكل موفق من هذه الآية أن ينظر فيها إلى نفسه الأمارة بالسوء التي تحمله على كل محظور ومكروه، وتعدل به عن كل واجب ومندوب للمخالفة التي جبلها الله عليها، وهي أقرب الكفار والأعداء إليه، فإذا جاهدها وقتلها وأسرها فحينئذ يصح له أن ينظر في الأغيار على حسب ما يقتضيه مقامه وتعطيه منزلته، فالنفس أشد الأعداء شكيمةً وأقواهم عزيمةً فجهادها هو الجهاد الأكبر، فمن ثبتت قدمه كان في ذلك الزحف وتحقق لمعنى ذلك الحرف، انتهض بهم في الملكوتي مليكا وكان له الملك جليسا غير أن هذه النفس العدوة الكافرة[3] الأمارة بالسوء لها على الإنسان قوة كبيرة وسلطان عظيم بسيفين عظيمين تقطع بهما رقاب صناديد الرجال وعظمائهم، وهما: شهوة البطن والفرج اللذان قد تعبدتا جميع الخلائق واسترقتاهم، ومن عظمهما وكبر فعلهما أفرد لهما الإمام حجة الإسلام أبو حامد

---

(١) يعني: إذا كان الله لا يغيب عن قلبك ولا تجد ريبةً في القلب مما هو بيدك من الرزق موافقاً في مطعمك ومشربك للشرع الشريف فذلك الرزق حلال فكله هنيئا مريئا. والأبيات من البحر البسيط.

(٢) وقد قال ﷺ "ابدأ بنفسك ثم بمن يليك".

(٣) أي: لكفرانها نعم الله ودخولها في المعصية وبعدها عن الطاعة.

الغزالى ﷺ كتابا سماه "كسر الشهوتين" فى إحياء علوم الدين له، وكذلك اعتنى بهما كبار العلماء ــ رضى الله عنهم ــ والذى يتوجه عليك فى هذا الباب فَـلُّ عَـزب الحسام الواحد الذى هو البطن ثم يليه الفرج بكراماته ومنازله كما تقدم فى الأعضاء التى ذكرناها، فاعلم يا بنى ــ أمدّك الله بجنود التأييد ونصرك على إحيـاء كلمـة التوحيد ــ أن الله تعالى قد سلط على هذا العبد الضعيف المسكين المسمى الإنسـان شهوتين عظيمتين وآفتين كبيرتين هلك بهما أكثر الناس، وهما شهوة البطن والفرج غير أن شهوة الفرج وإن كانت عظيمة قوية السلطان فهى دون شهوة البطن، فإنها ليس لها تأييد إلا من سلطان شهوة البطن، فإذا غلبَ هذا العدو البطنى يقل التعـب مع الفرج بل ربما يذهب له ذهابا كليا فهذه الشهوة البطنية تجعـل صـاحبها أولا يمتلئ من الطعام مع علمها أن أصل كل داء البردة دينيا كان أو طبيعيـا، فالـداء الطبيعى الذى تنتجه هذه البردة هو فساد الأعضاء من أبخرة فاسدة يتولد منها آلام وأمراض مؤدية إلى الهلاك، كما يحكى عن سليمان بن عبد الملك بن مروان وكان ذا نهمة فى الطعام فخرج يوما فوجد دابة عليها زنبيل فيه بيض طبيخ، فدعا بتـين وهو راكب، فمازال يقرن التين بالبيض حتى أتى على آخر ما كان فـى الزنبيـل فوجد لذلك ثقلاً فى معدته أهلكه وأورثه القبر، فانظر هذه الشهوة كيف ساقت إليـه حتفه ــ نسأل الله العافية فى الدين والدنيا والآخرة ــ قيل للشـبلى ﷺ: إن ابنـك البارحة مُبْشَم[1] من كثرة ما أكل، فقال: لو مات ما صليت عليه، كأنه يقول تعنيفـا له فإنه قاتل نفسه، فهذا هو الداء الطبيعى، وأما الداء الدينى الذى يؤدى إلى هـلاك الأبد، فكونه يؤدى إلى فضول النظر والكلام والمشى والجماع وغير ذلك من أنواع الحركات المؤذية، وإذا كان الأمر على هذا الحد فواجب على كل عاقـل ألا يمـلأ

---

(١) البَشَم: هو التُّخَمة. القاموس المحيط.

بطنه من طعام ولا شراب أصلا، فإن كان صاحب شريعة طالبا سبيل النجاة فيتوجه عليه وجوباً تجنب الحرام والورع فى الشبهات المظنونة(١).

وأما المحققة فواجب عليه تجنبها كالحرام على كل حال من الأحوال فإنه ما أتى على أحد إلا من بطنه منه تقع الرغبة وقلة الورع فى المكسب والتعدى لحدود الله تعالى، فالله الله يا بنى التقليل من الغذاء الطيب فى اللباس والطعام فإن اللبـــاس أيضا غذاء الجسم كالطعام يتنعم حيث يحفظه من الهواء البارد والحار الــذى هــو بمنزلة الجوع والامتلاء والظمأ والرى المتفاوت، فكل واشرب والبس لبقاء جسمك فى عبادتك لا لنفسك فإن الجسم لا يطلب منك إلا سد جوعته بما كان ووقاية مــن الهواء الحار والبارد بما كان سواء كان خبز سميد أو لحم أو قبضة بقل كلاهما يسد جوعته، وسواء كان حلة أو عباءة ليس عليه فى ذلك شيء، إنما المراد أن يصـــان من البرد والحر، وأما النفس فلا تطلب منك إلا الطيِّب، فإنها تريـــد مــن الطعـــام الحَسَنَ الطعم والمنظر وكذلك المشرب والمركب والمسكن والملبس، إنما تريد من كل شيء أحسنه وأعلاه منزلةً وأغلاه ثمناً، ولو استطاعت أن تنفرد بالأحسن مــن هذا كله دون النفوس كلها لم تقصِّر فى ذلك، والذى يؤديها إلى ذلك طلـــب التقـــدم والترؤس، وأن ينظر إليها ويشار، وألا يلتفت إلى غيرها، ولا تبالى حراماً كان ذلك أو حلالاً، والجسم ليس كذلك إنما مراده الوقاية مما ذكرناه، فصار الجسم فى هـــذه طالبا لما يصونه خاصة من أكل وشرب وملبس ومسكن وأشباه ذلك مما يصلح به، وصارت النفس أو العقل الشرعى الكاسية والمطعمة له، فإن كانت النفس المغذية له

---

(١) والشبهات كما قال النبى ﷺ: " الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما أمور مشـــتبهات ــ وفـــى رواية: مشبَّهات ــ لا يعرفهن كثير من الناس، فمن اتقى الشـــبهات فقـــد اســـتبرأ لدينـــه وعرضه"، والشبهات ثلاث:

١ ــ شبهة المذهب: كأن يكون الحكم مختلف بين مذهبين من المذاهب المعتمدة فـــى حـــل شيء أو تحريمه، كجواز الزواج بغير ولىٍّ بين الجمهور وأبى حنيفة ﷺ.

٢ ــ شبهة الفاعل: كأن يتناول خمرا وقد ظنه ماء، فلا شيء عليه.

٣ ــ شبهة المحل: كذبيحة اختلف فى ذكاتها.

والناظرة فى صونه خاض فى الشبهات وتورط فى المحرمات لأنها أمارة بالســوء مطمئنة بالهوى فهلكت وأهلكته فى الدارين لأنها ربما لا تبلغ مناها وطلبتهــا، لأن الأمر الإلهى رزق معلوم مقسوم وأجل مسمى محدود، وإن كان العقــل الشــرعى المغذى له تقيد وأخذ الشيء من حله، ووضعه فى حقه، وترك الشهوة من الطعام — وإن كان حلالا — بقبضة بقل وكِسْرة شعير رغبته فيما هو خير منه، وآثر الجوع على الشبع، والخشن على اللين، ففراشه ثوبه، ووسادته ساعده، وغذاؤه ما تيســر، وهمته فيما عند مولاه من رؤيته إلى ما دون ذلك مما يبقى، بخلاف الــنفس فــإن همتها وإن تعلقت بما هو حسن فى الحال فانظر مآل ذلك، فإنها إن نظــرت فــى المنكح نظرت إلى ما يكون جيفة نتنة قذرة، وإن نظرت فى الغالى مــن الملــبس نظرت إلى خرقة مطروحة فى المزبلة إلى هذا مآلها وإن نظرت فى مسكنٍ عــالٍ مُشْرِفٍ حسن الصنعة والتنميق نظرت إلى ما يكون مآله إلى خرابةٍ موحشــةٍ، وإن نظرت إلى مطعم لطيف نظرت إلى ما يصير عذرة نتنة يسد أنفه حين يطرحها من شدة نتنها، وكذلك شُربه وأمثال هذا، وليت لو وقفت الحال هنا ولا يبقى عليه تبعات ذلك فى الدار الآخرة حين يُسأل ممَّ كسبت؟ وفيم أنفقت؟ ويسأل فى الفتيل والقطمير بل فى مثقال ذرة، فانظر ما أهجن باطن الدنيا مساكنها خراب، وملابسها خِــرَق، ومناكحها ومراكبها جيف، ومطامعها ومشاربها عذرتان — نســأل الله العافيــة — والحجة علينا فى هذا بينة؛ لأنه لو كان هذا خبرا لكان بعض عُذْر وإنما هذا كلــه معاينة منا لتغيُّر هذه الأحوال مشاهدة، فالحجة قائمة للعاقل على نفسه إن طلبت منه هذا، وليت مع هذا كله لو تركت معه، وإنما الداء العضال والطامة الكبرى والداهية العظمى، إنها فى أشر ما تكون فيه من هذه الأحوال إن قُضِيَ لها به، ويعطيها الله مرادها كما شاءه تسلب عنه وعن هذه الدار بالموت، وتنقل إلى منزل لا تجد فيــه شيئا إلا ما قدمته فى دنياها بعمل صالح عملته، وإن لم تفعل ذلك فليس لها مسكن تأوى إليه إذا لم تشتره فى حياتها ولا سعت فى كسبه فبقيت مسجونة فى البرزخ فى

مشيئة الله تعالى، وإذا تقرر هذا يا بنى فاعلم أنما يجب عليك فى الطعام من اجتناب المحظور فيه والمتشابه يتوجه عليك فى اللباس والتقليل من هذا كالتقليل من هــذا وهاتان المرتبتان يحتاج إليهما كل مريد، وما زاد من مسكن وغير ذلك فلا يحتـــاج إليه كل أحد، فإن الغيران[1] والكهوف والمساجد قد أوجدها الله تعالى لهــم، وإنمـــا الحاجة التى تعم كل إنسان إنما هو اللباس والطعام، ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ [طــه: ١١٨ ــ ١١٩] ولم يزد؛ لأن الضرورى ما ذكرناه وما زاد فليس بضرورى إلا فى وقت ما إذا كانت الحاجة إليه بخلاف هذا فسبحان الحكم العدل، قال إبراهيم بن أدهــم ﷺ: "للقمة تتركها من عشائك مجاهدةً لنفسك خير لك من قيام ليلة"، هذا إذا كان حلالاً، وأما الحرام فلا كلام فيه؛ إذ لا خير فيه البتة، فما ملئ وعاء شر من بطــن ملـــئ بالحلال، وهذا قوله فى التقليل، وهو من رؤساء المشايخ، وقال أيضا فـــى طيـــب المكسب: "أطب مطعمك ولا تبالِ ما فاتك من قيام الليل وصيام النهار، فالحلال ــ وفقــك الله ــ طيـــب لا ينـــتج إلا طيبـــا، قـــال تعـــالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ ﴾ [النـــور: ٢٦] ففى هذا من الاعتبار الصوفى والنظر الإلهى بعض ما نذكره الآن، وقيل: إن مـــن كان عند الله خبيثا فلا يغذيه إلا بالخبيثات من المطاعم، ولا تصدر الأفعال الخبيثات إلا من الخبيثين[2]، وكذلك الطيبات من المطاعم، وهى الحلال لا يغـــذى بهـــا الله

---

(١) الغيران: جمع (غار).

(٢) ومن المشاهد من ذلك أنى كنت أرى بعض المسلمين يبيع الفاكهة للناس بثمن مغرٍ وهـــى فاكهة جيدة ثم إذا وزن لهم استبدل ذلك بعبوة لها نفس الوزن ولكنهـــا فاكهـــة رديئـــة أو صغيرة ــ يفعل ذلك خفية ــ تحت الميزان ــ فمررت عليه وعلى آخـــر مثلـــه فـــى شـــهر رمضان، قلت انظر لعلهما لا يفعلان هذا فى شهر رمضان، فوجدتهما كلاهما مفطر ممســـك بالسيجارة فى يده، فكان هذا تصديقا للآية الكريمة، ولكلام أولياء الله تعالى.

تعالى إلا من كان عنده من الطيبين، وكذلك الطيبون عند الله تعالى لا يصدر منهم إلا الطيبات من الأفعال أو تلك المطاعم بأعيانها إنما أهّلت الخبائث التى هى الحرام للخبيثين كما أُهّلوا لها، وكذلك الطيبات مع الطيبين[١]، فإنه من أُهّل لشيء فقد أُهّل له ذلك الشيء، فإن اغتذى الإنسان من الحلال وقلَّل منه كما قال ﷺ: «**بحسب ابن آدم لقيمات يقيم بها صلبه**»؛ تنشط الجوارح إلى الطاعات وتفـرَّغ القلـب إلـى المباحات، وتفرغ اللسان للتلاوة والذكر والعين للسهر فذهب النوم لقلـة الأبخـرة المرطِّبة الجالبة للنوم فيؤديه أكل الحلال إلى الطاعة والتقليل منه إلى النشاط فـى الطاعة ويذهب عنه الكسل، وأية فائدة أكبر من هاتين الفائدتين؟! وكان ينبغى لنا ألا نسعى إلا فى تحصيلها ونرغب إلى الله فى دوامها، فالذى ينبغى لك أيهـا الابـن المسترشد ــ نفعنى الله وإياك ــ ألا تأكل إلا مما تعرف إذا كنت موكلا لنفسك، فإن أس الدين الورع، والزهد قائد الفوائد، وكل عمل لا يصحبه ورع فصاحبه مخدوع، فاسع جهدك أن تأكل من عمل يدك إن كنت صانعا وإلا فاحفظ البساتين والفدادين، والزم الاستقامة فيما تحاوله على الطريقة المشروعة والورع التام الشافى الـذى لا يُبْقى فى القلب أثر تهمة إن أردت أن تكون من المفلحين، وهذا لا يصح لك إلا بعد تحصيل العلم المشروع بالمكاسب والحلال والحرام[٢] ولابد لك منه، هذا إذا كنـت موكلا لنفسك، فإذا كنت بين يدى شيخ محفوظ فى عموم أحوالـه ورع قـد شـهد بفضله، وقيل به، وحاله يطابق ما يُشهد فيه، وتجد فى نفسك الاحترام له والتعظيم لحقه الذى هو أصل منفعتك ونجاتك على يديه، فإن حرمت احترامه فاطلب غيـره فإنك لا تنتفع به أصلا ما لم تصحبه بالحرمة، ولو كان أفضل الناس وأعلم النـاس وتسيء به الظن، فإنك لا تنتفع به أبدا، فإذا وجدت من تحصّل فى نفسك حرمتـه

---

(١) وهذا كله إذا لم يتب الله على الخبيثين أو يختم بسوءٍ للطيبين ــ أسأل الله خاتمة السـعادة لى ولسائر المسلمين.

(٢) أى: بأن تعلم ما هو المكسب الحلال وما هو الحرام حتى تقف على العمل بما فيـه الخيـر وتجتنب الحرام وتتقيه.

فاخدمه، وكن ميتاً بين يديه يصرّفك كيف يشاء، لا تدبير لك فى نفسك معه تعـيش سعيدا مبادرا لامتثال ما يأمرك به وينهاك عنه، فإن أمرك بالحرفة فاحترف عـن أمره لا عن هواك، وإن أمرك بالقعود فاقعد عن أمره لا عن هواك، فهو أعـرف بمصالحك منك، وأرغب الناس إلى الله فى صلاحك على يديه منك فإنك تكون من أنواره التى تسعى بين يديه، ومن حيث الأخوة الإيمانية بالنصح المندوب إليه شرعا الذى هو الدين، وكذلك أيضا من حيث إنه يجدك فى ميزانه ترجّح ما خـف منـه، ومن حيث إنه مكاثر بك تلامذة الشيوخ ويكثر بك أتباعه فإن العلماء ورثة الأنبياء، وقد قال ﷺ: «**إنى مكاثر بكم الأمم**» فإذا رغب هذا الشيخ فى إصلاحك وإصـلاح غيرك حتى يود أن الناس كلهم صلحوا على يديه، فإنما يرغب فى ذلك لتكثير أتباع محمد ﷺ لما سمعه يقول «**إنى مكاثر بكم الأمم**»، وهذا مقام رفيع لفنائه عن حظـه فى إرشاده، وإنما غرضه إقامة جاه محمد ﷺ وتعظيمه، وإذ تعلقت نية الشيخ بهذا يجازيه الله على ذلك من حيث المقام، فيكف يتهم شيخ فى قلة نصح لطالب مع هذه الوجوه التى ذكرناها، وما ذكر من المنافع له على حسب قصده ونيتـه، والسـبب الذى يتهم به من أجله الشيخ إما فى قلة نصح، وإما فى تقصير مقامـه أن يشـاهد الفتح لتلميذه وقد تباعد وقد خدمه سنين، وإنما ذلك لعلل يعرفها الشيخ من جانـب الطالب، ومن جانب المقام الذى يريد الشيخ أن يرقيه إليه، وخلق الإنسان عجـولا، فالطالب يبطئ ويحب ألا يسرع إليه هيهات وأين هو من قول الجنيد ﷺ حين قيـل له: بم نلت ما نلت؟ فقال: "بجلوسى تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة"، وأشـار إلـى درجة فى داره، وكذلك أبو يزيد البسطامى ﷺ كان حداد نفسه اثنتى عشرة سنة[١]، ثم كان قصَّارها خمس سنين[٢]، ثم عمل فى قطع زناره الظاهر ثمان سـنين، ثـم عمل فى قطع زناره الباطن كذا كذا سنة، ثم بعد هذا بقيت له عقبات جاوزها، فمـا

---

(١) أى: أنه يكويها بنار المجاهدة والنزوع عن الشهوات والمرادات.
(٢) أى: عمل فى تهذيبها وتعديلها وإصلاحها كما يفعل القصَّار بالقماش.

لك أيها الطالب لا تنظر أين حالك من أحوال هؤلاء السادات؟ وأين اجتهادك مـــن اجتهادهم؟ فتنظر نفسك بالتقصير وأنك لست أهلا للفــتح، وترجــع علـــى نفســك بالمذمة، وتقول لها: لو أردت مقاماتهم لنهجتِ مناهجهم، وتنظــر شــيخك بعــين التعظيم وغاية الجد والنصح، وتقول لها: لو علم الله فيك خيـــرا لأســـمعك، ولـــو أسمعك وأنت على هذه الحالة السيئة لتوليت وأنت معرضة، ولكن ينبغـــى لـــك أن تفرحى بإقباله عليك وجريه معك، وهذه بُشرى من الله إليك، فإن الشيخ لو تخيـــل فيك أنك عمل غير صالح ما قربك ولا أدناك، ولكنه قد رجا فيـــك وتوســـم فيـــك المصلحة فَجِدِى واجتهدى وأعينيه عليك عسى الله أن يأتى بـــالفتح فتكـــونى مـــن المفلحين، وازجرها بمثل هذا الزجر ولا تقطع يأسها، فإنـــه ﴿ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف: ٨٧]. فإذا رأيت أن الله تعالى قد ألهمـــك لهذا الزجر والتعنيف لنفسك، فاعلم أنك مراد، وأن الله ما ألهمك لهذا إلا وقد قـــدَّر سبحانه أن يأخذ بيدك، وإذا رأيت أن الله سبحانه لم يوفقك لهذا، ولا جرت أفعالـــك عليه فلا تلومن إلا نفسك ولا تقع فى شيخك فيجتمع عليك خزى الـــدنيا والآخـــرة، فتحفظ يا بنى مما نبهتك عليه، واشتغل بما حرضتك عليه، وما أبقيـــت لـــك مـــن النصيحة، فانتظر أيها الطالب فتح الله ولو عُمرك كله ولا تيـــأس مـــن روح الله، واعلم يا بنى أن الحلال عزيز المنال على جهة الورع قليل جدا لا يحتمل الإسراف والتبذير، بل إذا تورعت على ما لزمه أهل الورع فى الورع، فبالحرى أن يسلم لك قوتك على التقتير كيف تصل به إلى نيل شهوة من شـــهوات الـــنفس كالمحاســـبى الحارث بن أسد من أئمة القوم الذى مات أبوه وترك كذا كذا ألف درهم فمـــا أخـــذ منها شيئا وقال: "إن أبى كان يقول بالقدر وقال رسول الله ﷺ: «**لا يتـــوارث أهـــل ملتين**» وكبعضهم الذى ترك له مال أبوه كذا كذا ألف دينار فأبى أن يأخذها وقال: "إن أبى كان تاجرا، وكان لا يحسن العلم، فربما دخل عليه رباً وهو لا يشعر، وكان

هذا المذكور ابن القاسم تلميذ مالك بن أنس — رضى الله عنهمـا — وهـو الـذى اكترى دابة يسافر عليها فجاءه إنسان برسالة وقال: "تحمل هذا معك لفلان، فقـال ﷺ: "ما اشترطت على صاحب الدابة حمل هذا"[١]، وكأبى يزيد ﷺ حين رد النملة والتمرة على كذا كذا فرسخا التى كانت وقعت من ثمرة البقال على ثمره، وكـأبى يزيد ﷺ فى زمننا هذا الذى ما أكل هذه البقلة التى يقال لها: القطف" ورعا؛ لأنهـا تسمى "بقلة الروم" وهذا من أكمل ما سمعته فى الورع إلى أمثال هذا مما سلك عليه القوم — رضى الله عنهم[٢] — فالله الله يا بنى حافظ على نفسك ألا تصـاحبها فـى شهواتها لهذه المطاعم الغالية الأثمان؛ فإنك إن صحبتها عليها وتقوّى فى خـاطرك أنك لو نلتها لعذوبتها ولم تأخذها على وجه الاعتبار أعمت بصيرتك ودلّتك بغرور وأدخلت عليك ضربا من التأويلات فى مكسبك لتكثر درهمك بما تلحق به الشـهوة حتى تؤديك إلى التورط فى الشبهات وهى تريد الحرام؛ فإن الراتع حـول الحمـى يوشك أن يواقعه، فَسُدّ عليها هذا الباب ولا تطعمها إلا ما تقوى به علـى أداء مـا كَلَّفْتَهُ وتكليفه على الشرط الذى ذكرت لك من التقليل، وهكذا فى اللبـاس، وإيـاك والإسراف فى النفقة وإن كان حلالا صافيا؛ فإنه مذموم وصاحبه مبذر ملوم، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴾ [الإسراء: ٢٧]، وقال تعـالى: ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝ ﴾ [الأعراف: ٣١]، فهذا قد عم اللباس والطعـام والشـراب، فالبطن يا بنى أكبر الأعداء بعد الهوى والفرج بعدهما — عصمنا الله من الشهوات وحال بيننا وبين الآفات — واعلم أن لهذه الأعمال المتعلقة بهذا العضو كمـا كـان

(١) لأنه استأجر الدابة على أن يحمل عليها نفسه أو حمولة أخرى معه سوى هذه الرسالة وإن خف حملها، فهذه منزلة من الورع بمكان.

(٢) وللإمام القطب سيدى الشعرانى ﷺ كتاب يسمى: "الدرر فى بيان الصدق فى الزهد والورع" فيه عجائب من باب الورع والزهد.

لإخوانه من الأعضاء كرامات ومنازل، فمن كراماته التـى لا يـدخلها مكـر ولا استدراج أن يحفظ عليه طعامه وشرابه ولباسه بعلامة يلقيها الله له إما فى نفسه أو نفس الشيء الذى قامت به صفة الحرام أو الشـبهة حتـى لا يتنـاول إلا طيبـا، وعلاماتهم متعددة تكاد جزئياتها لا تنضبط وأصولها ترجع لمـا ذكرنـا، وكـان الحارث بن أسد المحاسبى ﷺ إذا قدم له طعام فيه شبهة ضرب عليه عِـرْقٌ فـى إصبعه[1]، وكأبى يزيد البسطامى ﷺ مادامت أمه حاملة بأبى يزيد لا تمتد يدها إلى طعام حرام، وآخر يُنَادى: تَوَرَّعْ، وآخر يأخذه الغثيان، وآخر يصير الطعام أمامـه دما، وآخر يرى عليه سوادا، وآخر يراه خنزيرا إلى أمثال هذه العلامات التى خص الله بها أولياءه وأصفياءه، وهى راجعة إلى ثلاثة أصول أصل واحـد: أن تكـون العلامات فى نفسك، والثانى: أن تكون فى المتورَّع فيه، والثالث: أن يكون داعيـا من خارج أو داخل منبها على تلك الشبهة، وهذا الأصل الثالث على أنـواع فـى كيفياته ذكرناها فى شرح أحوال أبى يزيد فى الكتاب الذى سميناه: "مفتـاح أقفـال التوحيد"، ومن كراماته أن يشبع القليل من الطعام الرهط الكثير كمـا حكـى عـن بعضهم أنه جاءه إخوانه وكان عنده ما يقوم برجل واحد خاصـة، فكسـر الخبـز وغطاه بمنديل وجعل الإخوان يأكلون من تحت المنديل حتى أكلوا عن آخرهم وبقى الخبز كما كان ما انتقص منه شيء، وهذا ميراث نبوى من فعل رسول الله ﷺ حين بسط النِّطع[2] وجاءه ذو البُرِّ ببُرِّه وذو النواة بنواته حتى اجتمع مـن ذلـك شـيء يسير، فدعا فيها بالبركة ثم أخذ الناس فى أوعيتهم حتى ملأوها كما جاء فى الحديث الصحيح، ومثل هذا ما حكى فى اللباس وهو من هذا الباب كما قدمنا عن أبى عبد الله التاودى ـــ رحمه الله ـــ أنه أخذ الشقة ومسكها تحت غفارته وأخـرج طرفهـا للخياط وقال: خذ حاجتك، ومازال الخياط يفصل منها ما شاء الله ما هـو خـارق

---

(١) أى: نبض هذا العرق الذى فى يده.
(٢) بالفتح أو بالكسر مع التشديد ثم السكون: هو بساط من الأديم (الجلد).

للعادة حتى قال له الخياط: وهذه الشقة ما تمت أبدا، فرماها من تحته وقال: قد تمت فيا ليته سكت، وقيل: إنه كان الخياط بنفسه، وكان المتعجب من ذلك صاحب الشقة، فرماها وقال له: قد تمت، ومن كرامات هذا المقام أيضا أن ينقلب اللـــون الواحـــد الذى فى الصحن ألوانا من الطعام فى حاسة الأكل إن اشتهى بعض الحاضـــرين، أخبرنى من أثق به عن سيدنا شيخ الشيوخ أبى مدين ــ رحمه الله ــ أنه شاهد هذا من بعض الرجال فى سياحته أنه خرج فى أحد الأوقات على وجه السياحة فلقـــى رجلا من أولياء الله تعالى فمشى معه غير بعيد، فدخل عند عجوز فى مغارة فـــى حكاية طويلة، ثم عاد الشيخ إلى العجوز فى آخر النهار، فقعد عندها حتى وصـــل ابنٌ لها كان يعبد الله فى بعض الجبال، فدخل وسلم على الشيخ أبى مدين، فقـــدمت العجوز سفرة فيها صحن وخبز، فقعد الشيخ والفتى يأكلان، فقال الشيخ: تمنيت لو كان كذا، وكان ذلك فى نفسه، فقال له الفتى: بسم الله يا سيدنا وكل ما تمنيت، فلـــم أزل أقصد التمنى وهو يقول مقالته الأولى وأنا أجد طعم ما تمنيت، وكان الشـــاب صغيرا كما عُرِف[1] ــ ألحقنا الله بأوليائه ــ ومن كراماته أيضا أن يأتى لصاحب هذا المقام الجن أو الملك بغذائه من طعامه وشرابه ولباسه أو يعلق له فى الهـــواء كما اتفق لبعضهم لما احتاج إلى الماء فى الصحراء فسمع على رأســـه صَلْصَـــلَةً، فرفع رأسه فإذا هو بكأس معلقة فى سلسلة من ذهب، فشرب منـــه وتركـــه، ورأى بعضهم شخصا فى الهواء يناوله رغيفا، فسأل عنه فقال: هو مَلَكُ الأرزاق، ورأى بعضهم رجلا[2] قد ساقت له امرأة طعاما لم يعرفه، فسأله عنها، فقال: هى الـــدنيا تخدمنى.

من كرامات هذا المقام أيضا شرب الماء والزعاق الأجاج عذبا فراتا، شربته من يد أبى عبد الله بن الأستاذ الموروزى الحاج من خواص الشيخ العـــارف أبـــى

(١) فى المخطوط: (عذر)، ولعل المثبت الصحيح.
(٢) فى المخطوط: (رجالا).

مدين ــ رضى الله عنهما ــ وكان يسميه: "الحاج المبرور"، ومنها أن يأكل زيـد عن عمرو طعاما وعمرو غائب فيشبع عمرو وكأنه أكله ولا يدرى الذى أكل عنه ما جرى، وقد اتفق هذا أيضا للحاج المذكور أبى محمد الموروزى ﷺ مـع أبـى العباس بن الحاج أبى مروان بغرناطة، وحدثنى بها أبو العباس المذكور الذى أكـل عنه بدار الشيخ الزاهد المجتهد العابد أبى محمد الباغى المعروف "بالشكاز" علـى الوجه الذى أخبرنى به أبو محمد المذكور صاحب الكرامة، ومن هذا ما لا يحصى كثرة وتحقيق هذا أن من تحقق فى هذا المقام من الغذاء الحلال إمـا بالكسـب أو تورع التوحيد الذى قال فيه الشيخ: "العارف من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه"، فإذا حصل الحلال فالتقليل منه كما ذكرنا، فإذا تحقق هذا نشأت فى باطنه همة فعالة قاضية يوجدها الله فى نفس هذا العبد كرامةً به وتصحيحا لمقامه وصـدقه، وتلـك الهمة تصدق جميع ما ذكرناه آنفا وأمثاله، وكرامات أيضا أخر من هذه الكرامـات التى ذكرناها مما لم يخطر للعبد فيها خاطر إلا تحفة بديهية من الله تعالى منـازل هذا المقام.

فالمنزل الأول: الإبراهيمى، ولا يزال العبد يتحقق فى ترتـي هـذا الغـذاء الجسمانى حالا بعد حال ومقاما بعد مقام إلى أن يرتقى إلى الغذاء الروحانى الـذى به بقاء النفس، يفنى عن الغذاء الجسمانى وعن ملاحظته الذى هو منـزل الحـس والمحسوس إلا بقدر ما يبقى به ذاته خاصةً؛ إذ ببقائها يتمكن له تحصـيل الغـذاء الروحانى، وأول مقام يطرأ عليه من هذا المنزل أن يقف على سر الحبة وإلقائها فى الأرض، ثم المطر فى سحابه الذى هو عبارة عن تحليلها، ثم فى الـريح السـائق للمعصرات فتؤدى ما عندها وما أمنت عليه لتلك الأرض ثم تنبسط الشمس فتغذيها غذاء آخر بما فيها من الحرارة المنمِّية، وفى ذلك الغذاء كمال وجودها لما تراد له وهذه كلها وما تركناه من المتصرفين فى خدمة هذه الحبة وإخراجها إلى الوجـود وتقلبها من حالة إلى حالة فى الأدوار والأطوار أملاك متصـرفون تحـت قـدرة

الموجود المطلق تعالى، ومبعث هذه الموجودات من خزانة الجود، ولولاها ما ظهر شيء أصلا، فالصوفى إذا وقف هنا فيها ونعَّمه فإن معرفة هذا علم كبير وثمرتـــه عظيمة، وللنفس فيها غذاء شاف، وإن أراد أن يرتقى عن ملاحظة هـــذه الأشـــياء المذكورة لأنفسها ويجعلها دلائل لما هو فى نفسه وعالمه فيرتقى إلى منزل آخر فى نفسه فيشاهد فى نفسه أرضا قد طيبتها العقائد الصحيحة والتوفيق، وحرثها الخُلُـــق والتخلُّق هذا على حسب ما جُبلَتْ عليه، فزرع الحكيم إذ ذاك فيها حبـــة الحكمـــة الخاصة المحركة لطلب الحكمة الإلهية الوجودية المطلوبة الغائبة التى يقـــع فيهـــا التوارث بين الأنبياء والأولياء، فإذا زرعها الحكيم كما ذكرنا أمطرها بالعمل فـــى سحاب الورع تسوقها رياح العناية فتثمر إذ ذاك سنبلة إخلاص التوحيد فيتغذى بها جميع أعمال الجوارح الزكية فتقوى على إنتاج الأسرار الإلهية والحكـــم الربانيـــة الفرقانية والأنوار القرآنية، وفى هذا المنزل تصح الخلة لمن صحت، والحمد لله.

المنزل الميكائيلى: هو منزل العدل، وهو عبارة عن مشاهدته للملك الموكـــل بالأرزاق فيشهد قسمة الأرزاق على العباد بالوسائط كل على مرتبته، وما قدر لـــه فيحصل له من مشاهدته هذا المنزل وضع الحِكَم فى مواضعها وإعطاء كل ذى حق حقه على الميزان العقلى والشرعى، وفى هذا المقام فائدة عظيمة، وهى التى نـــدبنا الله تعالى إليها بقوله تعـــالى: ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ ﴾ [النـــور: ٢].

وفى هذا المنزل بكى رسول الله ﷺ على ابنه إبراهيم، وقال: «**تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنَّا بك يا إبراهيم لمحزونون**»، ونهايـــة هـــذا المنزل المبارك مشاهدة العبد الخصوصى للحق سبحانه فى حضرة اسمه الـــرزاق العدل الحكيم المقسط، وتوليه باليدين المَبسوطتين من غير تكييف ولا تشبيه وقسمته الأشياء والمراتب على أصحابها، فيأخذ الولى ولايته على مراتبها ومراتبه والعـــدو عداوته على قسط معلوم وحدٌ مرسوم، ويأخذ العالم علمه، والجاهل جهله، والظان

ظنه، والشاك شكه، والغافل غفلته، والمؤمن إيمانه، والمنافق نفاقه، والعين نظرها، واللسان نطقه، واليد بطشها، وكل موجود فاغرٌ فاه مهيأ لقبول ما به بقاؤه وحياته، حتى الجسم تأليفه، والجوهر عرضه، والموصوف صفته، والنبى نبوته، والرسول رسالته، فمنها ما يكون فيه افتقار طبيعى، ومنها ما تعطيه حكمة الوجـــود، وكـــل جنس يتفاضل فى مقامه على حسب ما تعطيه حقيقته، وإن كان لكل جنس أو نـــوع حقيقةٌ تخصه، فإن لكل شخص تحتها حقيقة وما تقتضى مرتبة ما عرضية لا ذاتية، فالنوع مع الشخص كالجنس مع النوع، فافهم وتحقق ــ والله المؤيد ــ ثم قد ينتقل العبد إلى أن يجذبه الحق من هذه المنازل فإن فيها ملاحظـــة الأغيـــار، ومباشـــرة الأكوان، وينقله إلى ألطف من هذه الأغذية وهو غذاء الأغذية، ومعنـــى هـــذا أن الغذاء سبب لبقاء كل متغذ عقلاً وشرعاً، وعادةً فعقلاً كالعلة والمعلـــول، وشـــرعاً كالثواب للمطيع، والعقوبة للعاصى، وعادة كالشرب مع الرى والأكل مع الشـــبع، كما دلت عليه الأشعرية ــ رضى الله عنهم ونور بصائرهم ــ فإذا فقـــد المتغـــذى غذاءه فهو عبارة عن عدمه وسر غذاء الأغذية لطيف ومعناه دقيق، وهى النســـبة التى علقت بالصفة[1] التى يكون منها الغذاء للمتغذى والمناسبة التى بـــين الغـــذاء المخصوص بالمتغذى المخصوص، إذ الأغذية متشعبة كثيرة مختلفة، والسر الـــذى يمسك المتغذى بالغذاء واحد، كما أن السبب الذى به يضطر المتغذى إلـــى الغـــذاء واحد، فالعارف العالم نظره فى هذا، وهو مقام شريف.

تنبيه: اعلم أن سر كل شيء عبارة عن حقيقته أو عن ثمرته، فإن كان عـــن حقيقته فلم يفدنا أمراً زائداً على الشيء، وإذا كان عبارة عن ثمرة الشيء أعطانـــا فائدة لم تكن عندنا، على هذا أن سر الغذاء ابتداء إنما هو الحياة، وسره بعد وجود الحياة بقاء الحياة، فالبقاء والحياة أمران متولدان على الغذاء، فالغذاء أعلـــى فـــى مرتبة الوجود من الحياة، وفلكه أعظم، إحاطة من فلك الحياة وهو السارى فى جميع

---

(١) فى المخطوط بغير الباء الموحدة.

الموجودات جماد وغيره، ولكن يظهر فى أشياء عينا ويظهر فى أشياء معنىً، فأكثر ما يظهر فى الجسم الإنسانى والبهيمى، وأخفى من ذلك النبات، وأخفى من ذلك فى الجماد، وأخفى من ذلك فى العقول وإن كانت حيةً، ولكن الوقوف علـــى غـذائها صعبٌ من طريق العلم سهلٌ من طريق العين، وكل غذاء أعلى من حياته المتولــدة عنه فلا يزال من العالم الأدنى يرتقى فى أطوار العالم أغذية وحياة حتى ينتهى إلى الغذاء الأول الذى هو غذاء الأغذية وهى الذات المطلقة، وإذا علمنا قطعا أن الغذاء سبب لوجود الشيء فى موجودة عقلا أو عيناً، فـ "كن" غذاء للكائنـــات إذ "كـــن" لإيجاد التشكيل والتصوير لا إلى الأمهات، فـ "كن" والأمهات متساويان معنـــى لا عينا ويجمع الأمهات أم واحدة معنى وهى المقارنة للأزل لا يتصور ارتفاعها وهى لا موجودة ولا معدومة[1] ولا غذاء لشيء فوجودها عينـــا وقــف علـــى وجـــود التصوير، والعلم بحقائق الصور وقف على معرفتها[2] فقد صح فى حقه افتقارٌ مـــا بنسبةٍ ما حتى لا يصح الغنى مطلقاً إلا لله تعالى، فإن جعلتها مـــن هنـــا غـــذاء أو متغذيه كان فى كل ما دون الحق متغذ وغذاء أمر إضافى ووجود حكمـــى عقلـــى قدسى[3]، فتحقق هذا السر فإن فيه منشأ العالم وسر مبدئه، واعلم أن بعض الأغذية مشروطة حياتها السعادية التى هى نتيجتها بشرط كغــذاء الجـــوارح بالمعـــاملات الظاهرة فليس للمتغذية بها بقاء فى الحياة السعادية ما لم يصح لها الإيمان، لكن لها البقاء الدنياوى بالعصمة فى الأموال والدماء فإذا مات هلك، ثـــم غـــذاء النفـــوس بالتخليقات فلا يصح بقاؤها منعمة فى الحياة المطلوبة إلا بها، لكن لا يصح لها على

---

(١) أى: فى علم الله أن الموجودات موجودة بقدرته، وإن لم يخرجها إلى حيز الوجود آنـــذاك فهى بهذا الاعتبار لا موجودة، وباعتبار أنها فى علم الله فهى كالمتحققـــة فهـــى بـــذلك لا معدومة.

(٢) لأن المعرفة فرع التصور، والتصور يحصل بالعلم بالحقائق.

(٣) من حيث كون المغذى له هو الله فنال بذلك قداسة منه سبحانه، فـــالموجودات صـــنع الله وخليقته.

الكمال ما لم يتغذ القلب بالإخلاص والفكر، ولا يصح بقاؤه على الكمال، بل لا يصح له هذا الغذاء، ولا يتصف به ما لم تتغذ الروح بالتوحيد، وهو ناقص ما لم يتغذ السر بالتعلق فى التوحيد، وهو ناقص ما لم يتغذ سر السر بالأدب، وجميع ما ذكرناه الإنسان المعبر عنه بالحيوان الناطق المشارك للملك فى هذه الحقيقة المفارقة له بهذا الشكل الترابى؛ ولهذا معلوماته أكثر فإن له الحس والمحسوس، فإذا تغذى بهذه الأغذية على الكمال صحت له السعادة الأبدية، وهو ناقص ما لم يتغذ على الجملة بالإرشاد والهداية والنصح للأغيار، وهذا مقام الرسول ﷺ والوارث، فإذا صح له هذا الغذاء بكمال تلك الأغذية فذلك المشار إليه بالهمم صاحب الوقت والزمان مصرف الأكوان[١] موضع النظر ومحل الأوامر وسر القدر فتمت له السعادة فى الدارين والتدبير فى العالمين.

الفَرْج يحمل فى الأنثى وفى الذكر * على الحقيقة لوح العلم والقدم

فذا يخط حروف الجسم فى ظلم * وذا يخط حروف العلم فى الهمم

كلاهما يدل من ذات صاحبه * عند الوجود فلا تنظر إلى العدم[٢]

اعلم يا بنى ــ وفقك الله ــ أن شهوة الفرج ضعيفة جدا فى ذاتها إذ ليس لها حركة فى نفسها وإنما خاطر يقوم بالقلم[٣] للنكاح ينتج ذلك الخاطر ويولده نظرة بعين أو لمس بيد أو سماع بأذن من منازعة حديث، وهذا كله مولد من الامتلاء والشبع وهو أصل الأشياء المحركة لهذه الشهوة، فمتى ما وقع شيء من هذا حينئذ

---

(١) أى: الذى يجرى الله على يديه بعض الأمور والتصريفات بإذنه سبحانه وقدرته، وفى هذا الموضوع توجد كتب ورسائل منها: "الروح وآثارها الكونية" للعلامة الشيخ حسنين مخلوف، طبعة مكتبة مصطفى البابى الحلبى.

(٢) الأبيات من بحر البسيط، ووزنها: (مستفعلن فَعِلُنْ مستفعلن فعلن)، مرتين.

(٣) أى: بحكم ما جرى به القلم الذى خط فى اللوح المحفوظ، وفى نسخة مطبوعة: (بالقلب)، والمعنى متقارب، فالثانى منهما حاصل عن الأول ومسبب عنه، وقد يريد بالقلم المعنى الذى يلى ذلك من قوله وهو: (الذِّكر).

ثارت الشهوة وتقوى سلطانها فحركت العضو ذكراً كان أو أنثى، فطلب ووقع مـــا تحركت إليه، فإن عُصِمَ وأُقْدِرَ عليه وقع حلالاً، وإن خُذِلَ وقع حراماً، فإذا سدت له هذه المسالك لم تتحرك هذه الشهوة، وأصل هذا كله كما ذكرنا الامتلاء من الطعام، فإنه إذا امتلأ البطن قامت خواطر الفضول فى النفس فتحركت الجــوارح بحســب حقائقها بأنواع فضولها، وإذا جاع البَطْن غشيت العين وخرس اللسان وصمت الأذن وانقبضت اليد والرجل وانعدمت الشهوة من الفرج وفنيت خواطر الفضول، ولهــذا قال السيد الصادق الحليم ﷺ: «**إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فسدوا مجاريه بالجوع والعطش**» أى هذه الأشياء معينة له على ما يأمر به مـــن الســـوء والفحشاء، وقال ﷺ: «**عليكم بالباءة فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج فمـــن لـــم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**» وقال: «**الصوم جُنَّة**»(١) فنبه ﷺ فـــى هـــذه الأخبار كلها أن السبب المولد لثوران هذه الشهوة الخسيســـة إنمـــا هـــو الطعـــام والشراب، فإن كان جوع مجاهدة استتار القلب وكشف له عن عالم الغيب لأنه جوع عن همةٍ طالبةٍ غايةً ما فيشاهد من أسرار الله ما شاء الله سبحانه أن يشهده منها ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وإن كان جوع اضطرار فلـــيس هو مقصودنا فى هذا الكتاب إلا أن يكون المضطر من أهـــل طريـــق الله تعـــالى، فجوعه عناية من الله به وهدية منه إليه، قال بعض الشيوخ ــ رضى الله عنهم: "لو بيع الجوع فى السوق للزم للمريدين ألا يشتروا سواه"، ففائدة الجوع والفقر لا تدرك لها غاية، ولا يجد ولا يعرف قدرها إلا من ذاقها، فإذا كانت يا بنى شهوة الفـــرج بهذا الضعف فلا يلتفت إليها، وليشغل نفسه بسد مسالكها التى ذكرناها آنفا.

تنبيه وتحقيق: اعلم ــ وفقنا الله وإياك لطاعته ــ أنك إذا نظرت عالم الكون والفساد حيوانية كله إنسيُّه وبهيميُّه، حروف مخطوطة قد خطها الحق تعالى فى لوح

---

(١) أى: وقايةٌ ووجاءٌ من ثوران الشهوة والزنا.

الوجود، والقلم المخطِّط لهذا الشخص الإنسانى والجسم المتغذى الحساس قلمان: قلم يسمى النفخ، والقلم الذى هو الذكر، وأول من كتب به أبو البشر فى لوح أم البشر، ولكن خط هذا القلم المحسو هيولانى من غير تشكيل ولا تصوير، بل هو كما قـال تعالى: ﴿ فَعَدَلَكَ ﴾ [الانفطار: ٧] وهذا هو حده و﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝ ﴾ [الانفطار: ٨] تأثير القلم الإلهى الذى هو المتوسط، وقد يعبر عنه بالطبيعى، ثم بعد هذا القلم الطبيعى الذى هو لتشكيل ما ألقاه القلم المحسوس هيولانيا وتفصيل ما ألقاه مجملا قلم النفخ فامتد كالفتيلة فخط فيه القلم الإلهى الـروح المعبـر عنـه بالنفخ، وهذا هو الروح الحيوانى ومنها مخلقة وغير مخلقة لتصح المشيئة لله تعالى فى إيجاد العالم، وهذه كلها أسباب وأغطية على عين بصيرة العُمْى الذى يعلمـون ظاهراً من الحياة الدنيا، والعلم هو الذى يوصلك إلى رفع هذه الأغطية عن عـين بصيرتك وتولى الحق تعالى لتلك الأشياء عند الأسباب لا بالأسباب[1] ليضل مـن يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله خبير بما يصـنعون، والقلم للرجل واللوح للمرأة، وقد يكون الرجل لوحا كالأب الأول وخاتم ذريته، وقد تكون المرأة لوحا بغير القلم المحسوس لكنها تكون لوحا للقلم المعبر عنـه بـالنفخ كمريم صلوات الله عليهم أجمعين، فما سلم من خط هذا القلم المحسوس فى اللـوح المحسوس خاصة إلا ثلاثة: آدم عليه السلام خلقه الله تعالى بيده كمـا قـال: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ ﴾ [ص: ٧٥]، وحـواء وعيسـى عليهما السلام حصل له درجة النفخ الاختصاصى حين أحصنت الفرج كمـا قـال

---

(١) لأن قولنا: (عند الأسباب) أى: عند إحداث الله وخلقه للأسباب فيخلق ما هو مسبَّب عنهـا، وقولنا: (بالأسباب) الباء فيه تسمى "باء الآلة" فيكون ما بعدها كالآلة لما سبقها من الخلـق والإحداث، وتسمى أيضا "باء الاستعانة"، وتعالى الله عنهما علواً كبيراً، بل هو القادر القاهر الخالق المقتدر، فالقائل (بالأسباب) مشرك بالله تعالى.

تعــالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحــريم: ١٢]. وهــذا هــو الــروح الاختصاصـــى، ﴿ وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩١]، وفى هذا رد على من يقول: لا يوجد مولود إلا عن أبوين، فلو قال: إلا عن أمرين لصدق كما سنذكره فإنه عن مريم ونفخ، فهــذا فصل ينبغى أن يتحقق، وممن حصل له درجة نفخ الطير فإنما هو روحية تنبعـث يكون عنها عصفورا أو زرزور، فمنزل الصوفى من تحقق علم هذا المقام أنـــه إذا أحصن فرجه ــ أعنى من طهر لوحه ومحاه حتى يتركه مهيئا لقبول ما يخط فيــه من الخط الاختصاصى ــ فإن الله سبحانه ينفخ فيه روحا من أمره وكلمة من كَلِمِه يهبه فى ذلك النفخ سر إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وترك كل ما يشــغل عن الله، وهذه كرامات هذا المقام، وعلامات مدعيه رفض الدنيا وأهلهــا، وتــأثير كلامه وموعظته فى نفس أكثر المستمعين له لا فى كلهم، والطلبة والتلامذة للشــيخ المحقق فى هذا المقام ألواح منحوتة منصوبة لرقْمه وكتابته وقبائل مستعدة لنفخـــه، فلا يزال ينفخ فيهم أرواح الأسرار ويخط فيهم حروف المعانى القدسية، فيكــون إذ ذاك باسمه الخلاق الحكيم(١)، وهذا الاسم لهذا العضو وحضرته من الأسماء ومــا فى معناه، فتحقق ترشد.

ثم إنى أقول: إن الحيوان أجمعه ومحالّه موجودان بين الــنفخ وهــو القلــم الإلهى، وبين الفرج وهو القلم الطبيعى، فالقلم الطبيعى لتخطــيط أجســام الأرواح، والنفخ وهو القلم الإلهى لتخطيط أرواح الأجسام. قال الله تعــالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ [الحجر: ٢٩]. على الإطلاق، وهذا منزل لا يعرفه أحــد أبداً إلا من وقف بمشاهدة من نفسه على الحقيقة الآدمية والإسرافيلية، فمن شـــاهد

(١) أى: يكون بذلك مندرجا تحت آثار اسم الله تعالى الخلاق الحكيم.

هاتين الحقيقتين عرف هذين القلمين وكيفية صدور الأشياء عنهما، ثم إن النفخ على قسمين: نفخ إحصان، وغير إحصان، فالنفخ الذى على غير الإحصان يكون عــن الروح الحيوانى، والذى على الإحصان الروح القدسى، يكون عنه مع حصول النفخ المطلق الحيوانى، فنفخ الإحصان ينتج المنازل العلية والاستشراف على الكائنـــات الانفعالية والمقامات الروحانية القدسية، والنفخ على غير الإحصان ينــتج الأرواح الجسمانية خاصة أن هنا فرقا آخر بين النفختين، وهى فترة شعيرة، فنفخ الإحصان ملحق بالملأ الأعلى والبقاء السرمدى فى النعيم الأبدى، ونفخ غير الإحصان ملحق بعالم الكون والفساد مطلقا، ثم إن النفخ الإحصانى الاختصاصى على ثلاثة مقامات: نفخ ولاية، وهو على ثلاث شعب: شعبة منبأة، وشعبة مرســلة، وشــعبة معلقــة بالمرسلة لا غير، ولها شعب لا تحصى كثرةً، وأعلاها التى هى منوطة بالمرســلة من جميع الوجوه، ونائبة منابها إذا فقدت فتيانها وهم الصوفية أهل الورث النبــوى والتخلق الإلهى، فتحقق ما مهدناه فلقد كشفنا كنوزا فى هذا الكتاب ما كشفها أحد من أهل طريقتنا إلا صالوها وغاروا عليها، ولكننى لما علمت أن الطفيلى ليس له منها إلا الذكر ومعرفة الاسم لم أبالِ بذكرها إذ نيلها حرامٌ على من ليس له قلبٌ ســليمٌ، وكنا نفشى هنا أمراً ولكنْ فى هذا تنبيه وغنية عن إفشاء ما سُتر وفك مُعَمًّـى مــا غيرَ عليه فحجبه.

اعلم ــ وفقك الله ــ أنك إذا حصنت فرجك وتعففت عن افتضـــاض أبكـــار الحواس إلى افتضاض أبكار المعانى على سرير المعـــاملات فـــى جنـــة التخلـــق بالأسماء ثم ترتقى من هذه المنزلة إلى نكاح الحقيقة الكلية على سرير التوحيد فـــى جنة التنزيه، فينتج لك أيضا هذا المنزل منزلا آخر تشاهد فيه الحقيقة المجردة عن الوجود المطلق المختارة ينكحها من شاء الله على سرير الفناء فى جنة الأدب، وهذه الحقيقة المعبر عنها بالحرفين التى هى سبب الموجودات وعلة للكائنات إذا قضـــى الله سبحانه أمراً سلطها عليه وأوجد الشيء عند تسلطها عليه أو تعلقها به فكان، فإذا

حصل العالم فى هذه المنزلة واستوى على عرش الكائنات لم يشـاهد شـيئا فـى الوجود موصوفا كان أو صفة حساساً أو غير حساس إلا نتيجة عن مقدمتين تـنكح إحداهما الأخرى وهو عبارة عن الرابط الذى بينهما فيتولد بينهما أمر زائد عليهما، فالمولدات تنبعث بينهما عُلواً وسفلاً فإن ذكَّرا اعتليا، وإن أنثـا انسـفلا، غيـر أن العبارات اختلفت بحسب أصناف المولَّدات فقيل: هذا طفل بين رجل وامرأة، وهذه نتيجة عن مقدمتين، وفرع عن أصلين، ورسالة عن مُرْسِل ورسول، وسنبلة عـن زرع وأرض، وإحراق عن نار وخشب، وبيت عن آلات وصانع، وهذا موجود عن قادر وقدرة، وهكذا جميع العالم بأسره نتيجة ازدواج ليصح على كل جزء من العالم الفاقة والاضطرار فى وجوده إلى من يوجده حتى يقف له الأمر للناظر المشاهد فى العالم أول الموجودات المقيدة ويحصل له فى هذا الطريق من الفوائد بحسـب مـا مشى عليه من المقامات، فإذا وقفت عند هذا الموجود الأول المقيد عرفه بذاتـه أن وجوده نتيجة عن قدرة وقادر، واختصاصه عن إرادة ومريد، وإتقانه عن علم وعالم فيصح اضطراره وفاقته إلى الحق سبحانه وتعالى وهو الغنـى الحميـد الموجـود المطلق لا عن أصلين ولا مقدمتين ولا عن أبوين بل هو خالق الأصول والمقدمات والآباء والأمهات، المقدس المنزه عما تنزه عنه[1] بل هو تنزه عن التنزيه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

الـزوج أصـلٌ لكـل خلـق * يحجبـه العـالم الحكـيم
لـولا الـذى فيـه مـن حـدوث * مـا دل خلـق علـى القـديم
إتقانـه إن نظـرت فيـه . * فـرعٌ عـن العلـم والعلـيم
فانظـر إلـى عالـمٍ بـراه وانظـر إلـى المنهج القويم

(١) فى المخطوط: (عن غير ما تنزه عنه عليه)، ولعل المثبت الصحيح.

ينـــــتج نـــــار الجحــــيم فــــيهم * أو جنـــــة الخلـــــد والنعـــــيم[١]

فإذا حصل ــ وفقك الله ــ فى هذا المقام وشاهد الحق غاب عن جميع الخلق وغاب عن طلبته وعن كـل كــون، ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فمحق الرسوم ودكها وأصعق الهمـم فملكهـا، فبين المحق والصعق[٢] ما بين الحق والخلق، عطس رجل بحضرة الجنيـد فقـال: "الحمد لله"، فقال له الجنيد: "أتمها كما قال الله تعالى وقل: رب العالمين" فقال: "يـا سيدنا ومن العالم حتى يذكر مع الله"، فقال الجنيد: "الآن قله يا أخى فإن المُحْدَث إذا قرن بالقديم لم يبق له أثر، فبهذا يا أخى قد تبين لك أنه لم يظهر فى العالم موجـود محدث إلا عن مقدمتين هما أصل وجوده فتفهَّم ما كشفناه لك من الأسرار المحجوبة فى خزائن الغيرة عن الأغيار، وأزل رمد التقليد من جفنك، واكتحل بكحل الاجتهاد فى المعاملات والتخلق بالأخلاق السماوية، فطهر ثوبك ظاهرا وباطنا، فإذا انجلـى البصر تقوى النظر فأبصرت الأشياء على ما هى عليه، ووقفت عيناً على ما قلنـاه ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝ ﴾ [الأحزاب: ٤].

الفلك القدمى:

الرَّجْــل إن جاريتـــه فـــى علمـــه * أربى على حد السوى والمســتوى

فاقبض عنان الطرف عــن إســرائه * فالعجز علم محقِّــقٍ أخــذ اللِّــوى

من عنده فـــى موقـــف تاهــت بـــه * ظُلَمُ الغيوب موجها ثــم الهــوى[٣]

---

(١) الأبيات من البسيط، ووزنها: (مستفعلن فاعلن فعولن)، مرتين.

(٢) تقدم بيان معناهما عند السادة الصوفية ــ رضى الله عنهم.

(٣) الأبيات من بحر الكامل، ووزنه: (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)، مرتين.

لعلك تشتهى يا بنى أن تقف على حقيقة قدمك وأنت ترجح الأشياء بعقلـك، عابد هواك، منعكف على صنم لذتك، تتبع خطوات الشيطان، وتمشـى فـى ظلـم المخالفة والعصيان، وتسعى على قدم غرور، وذهلت عن المصير إلى مـن إليـه تصير الأمور، وهيهات لابد من مقدمات مجاهدات ومراعاة ما توجه عليـك فـى رجلك من التكليفات كسائر الأعضاء من قبض رجلك بتقيُّـدٍ عـن السـعى فـى المحرمات والمحظورات، وبسط بتكثير الخُطا إلى المساجد ولزوم الجماعات، وكُن من المشائين فى الظلم إلى المساجد تبشَّر بالنور التام فى القيامتين، وامش فى قضاء حوائج إخوانك من المسلمين والمسلمات، واسع على عيالك، وأثبت يوم الزحف ولا تزل قدمك ولا تزال فى ذلك اليوم إن استطعت، واسلك بها على الطريق المستقيم، ولا تتبع السُبل، ولا تمشِ فى الأرض مرحا، واعلم أنك إذا أحكمت المشى على هذه المقامات وما أشبهها فقد أحكمت المشى على أحدّ من السيف وأدق من الشعر بـل أدق وأخفى، وأن الله تعالى إذا سلكت على ما ذكرته لك يكرمك بكرامات إن شـاء ويطلعك على منازل كما كان فى سائر الأعضاء تكرمةً من الله بك وعنايةً ليثبّت به فؤادك، فمن الكرامات المختصة بهذا المقام فى ظاهر الكون ثلاث: المشـى علـى الماء وطى الأرض[1]، والمشى فى الهواء، والحكايات فى هـذه المقامـات علـى الأولياء أشهر من أن تذكر، فلم نحتج إلى ذكرها هنا لشهرتها عنـد النـاس، ولأن الدواوين ملئت منها، فإن لله تعالى أولياء يفعل معهم هذا كله، وغرضنا الاختصار فلنذكر منازلها العلية منازله: اعلم يا بنى أنه لا يزال الموفق السـعيد فـى هـذه الكرامات سابحاً وعلى أسرارها غادياً ورائحا، وبهذه الخليقات المـذكورة متصـفاً حتى يفتح له باب إلى عالم الملكوت، فيكون سعيه فيه على قدر ما كان سعيه فـى

---

(١) بأن يصل المكان البعيد والمسافة الطويلة فى برهة من الزمن أو فترة يسيرة كما ورد عن بعض الأولياء ومنهم الإمام السيوطى كما ذكر ذلك سيدى الشعرانى فى "الطبقات الصـغرى" حكاية عن خادم الشيخ السيوطى ــ رضى الله عنهما.

عالم الشهادة فى المسارعة إلى الخيرات، فعلى قدر سرعته هنا يكون كشفه هناك، فمن طويت له الأرض هنا زويت له فى ذلك العالم الروحانى أرض الأجسام، فعلم حقائقها، ووقف على طباقها ظاهراً وباطناً، وعرف سرائرها وكل ما أودع الله فيها من حكمة لطيفة وسر شريف عضواً عضواً، ومفصلاً مفصلاً حتى يحيط بها علماً، ومن سعى هنا فى فضيلةٍ وخلقٍ أورثه المشى على الماء فتح له باب فى الملكـــوت عن سر الحياة والعلم المودع فى الماء، فعرف الحياة اللطيفة الموســـومة بـــالعلم، وعرف الحياة الموقوفة على الجسم لإحساس الآلام واللذات ومعرفة الأشياء ثم جمع بينهما بأمر لطيف يعرفه صاحب ذلك المقام ويُعرِّفه فى هذه الحضرة مرتبـــة كـــل علم، وأين حظه فى الوجود، وبمن يتعلق، وعلى من يتوجه، وكيفية ظهوره، ويوقفه على هذه العلوم وتحصيله إياها وتحصل له المعلومات، ويحصل من زويـــت لـــه أرض الجسوم تحت قبضته وهو خارج عنه بمرتبته، فكل ولى أعطاه الله المشـــى على الماء وطى الأرض تحت حكمه عادة أجراها الله لهم، ومـــن طريـــق عـــالم الملكوت لا يكون إلا هذا ولابد إذا تحقق فى ذلك المقام، فإن نقصه علمٌ ما من تلك العلوم فليس هناك فليرجع إلى سعيه فى عالم الشهادة على الماء وينحدر من المـــاء إلى الصفة التى أوجبت له ذلك فيجد نفسه لم تحكم التخلق بها ولا التحق بسرائرها، فيسعى إذ ذاك فى أحكامها حتى يتخلق بها على أتم وجوهها، وليلتفت إلـــى آفاتهـــا حتى تخلص له، ثم يرجع فيكمل له فى عالم الملكوت ويصح له أعلامه، ومن سعى فى فضيلة وخلق يوجب المشى فى الهواء يفتح له باب إلـــى عـــالم الأرواح فـــى الملكوت الأعلى فيعرف عند ذلك حقائق الأســـرار وكيفيـــة الصـــعود والنـــزول والاستواء وسر الاستمداد والتدبير والتسخير، ومن أين صـــدرت التكـــاليف ومـــا حضرتها، ويقف على عين الاستواء من جهة المستَوى عليه لا من جهة المســـتوِى الذى هو الرحمن، ولا يتجاوز صاحب هذا المقام الكرسى أصلاً، والعرش لصاحب القلب الآتى بعد هذا إن شاء الله، فإن نقصه شيء من هذه الأسرار فليرجـــع إلـــى

المبدأ الأول كمن تقدم على حدٍ واحدٍ، فإذا أحكم صفة تخلقه أحكم له مقام فى عـــالم الأرواح، فتبين هنا سر نرمزه وهو عندنا وعند أصحابنا عَسِر المنال وذلك كيــف يتوجه ألا يحكم له مقام فى عالم العلوى ما لم تحكم هنا تخلقه بالصـــفة الموصـــلة إليه؟ وهل إذا نُظِرت ينبعث منها عامل بعملٍ ما أو بتخلقٍ مــا إلا بمـادة الصـــفة الروحانية التى يرتقى إليها بعد التخلق فى عالم الغيب؟ فإذا كان هذا كيف يرد إلى عالم الشهادة لإحكام ما لم يحكم وهو لا يتحرك إلا بحسب تحريك الروح المطلوب له؟ فنقول عند ذلك: الفيض من ذلك العالم ابتداء ليس بواجب عليه، وإنما هو على قدر ما أراد الواهب أن يهبه من أحكام تلك الصفة التى هو عليها فى عالم الشـــهادة وما منها صفة إلا ولها مراتب، فلو كانت المرتبة متحدة لنالها فى أول حال؛ فوقـــع التفصيل بعدد المراتب فإن شاء الواهب أن يهبه أسرار التخلق بكل مرتبة تحويهـــا تلك الصفة الملكية حصل هنالك الكمال، وإن لم يشأ فمن الذى يوجبها عليه؟ وقـــد رأينا من أهل هذه الطريقة عَالَمًا كثيرا ممن مشى على الماء والهواء وطويت لـــه الأرض جهرا وعيانا ثم رُدَّ إلى إحكام ما بقى له فى تلك الصفة، وهنا محل الآفات، فمنهم من تمم الأحكام فرجع، ومنهم من طال عليه الطلـــق فنبـــذها فُنبـــذ وألحـــق بالأخسرين أعمالاً، فهذا محل الآفات ــ نسأل الله تعالى العصمة ــ فهذا المستدرج هل يتصف بهذه المقامات أم لا، فلا سبيل إلى ذلك لكنه يمشى على الماء والهواء، وتزوى له الأرض، ليس عند الله بمكان لأنها ليست عنده هـــذه المراتـــب نتـــائج مقدمات إذا ضل وإنما هى نتائج مقدمات مذمومة، أراد الحق سبحانه أن يمكر بـــه فى ذلك الفعل الخارق للعادة ويجعله فتنةً له، وتخيَّل أنما وصله إليها ذلـــك الفعـــل الذى هو معصية شرعاً، وأنه لولا ما وقف على حقيقة ما اتفق لـــه هـــذا وغفـــل المسكين عن معنى موازنته لنفسه بالشريعة ــ نسأل الله تعالى ألا يجعلنا ممن زين له سوء عمله فرآه حسناً فيستمر على ذلك الفعل ــ وأما أن يتصف ويصـــل إلـــى المقامات الإلهية التى أشرنا إليها فلأنها حقائق الوراثة النبوية فلا تثمر إلا الاستقامة

أصلا، فإنه ضرورة من وقف على وجه الدليل أن المدلول حاصل عنده، ألا تـرى أبا سليمان الدارانى يقول: "لو وصلوا ما رجعوا" وهو صحيح، وهو مـن سـادات القوم وأئمتهم المقتدى بهم، فإن قلت ــ وفقك الله ــ فصف لى ما هذه الصفات التى تجعل المتخلق بها والمتصف بأحكامها يقف على حقائق هذه المقامات؟ فلـتعلم أن طى الأرض لأصحاب المجاهدات الخارقين سفينة جسومهم بالاجتهاد والكـد فـى المعاملات، وذلك أن الله تعالى العليم الحكيم أودع الحكم فى المناسبة، وعليها قـام عماد هذا الكتاب فلا يُظْهِر مقاماً إلا أن يكون بينه وبين الصفة التى تؤديـك إليـه مناسبة كالعين مثلا إذا وقفت عند ما حد لها سبحانه واتصفت بما فرض الله عليهـا وندبت إليه وبادرت بذلك كله على أتم وجوهه فثوابها المشاهدة، فإن أعطيت بـدل المشاهدة المناجاة تنعمت النفس من جهة السمع لا من جهة البصر، ويبقى البصـر غير متنعم بشيء إذ حقيقته النظر، ولا يعرف المناجاة ولا الكلام علـى مـا هـو والثواب عند العالم الحكيم مطابق للمثاب مجانس له لأنه يضع الأشياء مواضـعها، فلا يجعل المشاهدة ثواب السمع ولا المناجاة ثواب البصر فإن حقائقها تـأبى ذلـك وإن جوزنا عقلا أن يسمع البصر فليس هو إذ ذاك على التحقيق بصرا أو إنما هو سمع وإنما هو بصر من حيث الرؤية والمشاهدة، وإن كانت ذات الإدراك واحـدة كما قال بعضهم: "يسمع بما به يبصر بما به يتكلم" لكن كما ذكرناه فلابد أن تكـون المقدمتان تتضمن النتيجة وحينئذ تصح تلك النتيجة عن تلك المقدمتين كمـن يريـد مثلا أن يعلم أن النبيذ حرام فيقول: "كل مسكر حرام"، هذه مقدمة "والنبيذ مسـكر" هذه المقدمة الأخرى، وبازدواجهما على الشرط المخصوص والوجه المخصـوص أنتجتا أن النبيذ حرام، والإشكال مذكور فى المقدمتين غير أن الحرام فيهمـا لـيس بمحمول على النبيذ وإنما ظهر حكمه فى النتيجة، وهكذا الأمر فى جميع المعلومات عند المحققين لأن المعلومات فى نفسها على هذه الحالة، وإنما الذى يعسر العلم بها وهو عزيز فعلم المناسبة شريف لا يعلمه إلا الراسخون فى العلم والعَيْن، فإذا تقرر

هذا فأية فائدة تكون للعين إذا لم تلتذ بالمشاهدة؟ وارجع فتثبت بهذا كله أن فى العالم الكبير إنما هو نتيجة عن طى العبد أرض جسمه بالمجاهدات وأصناف العبادات فى إقامته على طَوْى الليالى ذوات العدد، وهكذا جربناه ودل عليــه العلــم فحصـــلت معرفتان: ذوقية وهى علوم الأحوال، ومشاهدة الطى خاصة، ويشارك فيه كل مـــن طُويت غير أن الفضل إنما يقع بيننا فيما ذكرناه من معرفة السبب المولـــد لـــه؛ إذ لصاحب هذا المقام أعمال كثيرة خلاف هذا ولكنه لا يدرى أى عمل منها أنتج لـــه طى الأرض، فالحمد لله على ما ألهمهم وأن علمنا ما لم نكن نعلم، وكان فضل الله علينا عظيما.

فصلٌ: كما أن المشى على الماء لمن أطعم الطعام وكسار العراة إما من ماله أو بالسعى عليهم أو علَّم جاهلاً وأرشد طالباً؛ لأن هاتين الصفتين ســـر الحيـــاتين الحسية والعلمية، وبينهما وبين الماء مناسبة بينة، فمن أحكمها فقد حصل الماء تحت حكمه، إن شاء مشى عليه وإن شاء زهد فيه على حسب الوقـــت، وكـــذلك إحيـــاء الموتى بالجهل بالحياة العلمية، ولست أقطع بهذه الكرامات ولابد وإنما أقـــول: إن حصلت فهذه أسبابها، ومن ههنا مأخذها ومنشَؤُها وإن لم[1] فليس حظ العارف منها وإنما حظه منازلها وأسرارها.

فصلٌ: كما أن الذى يمشى فى الهواء لم يصح له حتى ترك هواه، فيكـــون إذ ذاك مراداً لا مريداً، ولهذا قيل لبعضهم وقد رُئِىَ يمشى فى الهواء: "بِمَ نلـــتَ هـــذه الكرامة"؟ فقال ﷺ: "تركت هواى بهواه، فسخر لى هواه"، وفى رواية: "فأقعدنى فى هواه"، والعلم والحكمة إنما هى معرفة المناسبات قضاءً عقليا وقضاءً إلهياً حكميـــاً، ومن قال: إن الله يفعل خلاف هذا فليس عنده معرفة بمواقع الحكم، فإن الله تعـــالى قال: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحاقـــة: ٢٤]

---

(١) أى: وإن لم تحصل فليعلم أن حظ العارف ليس من حصولها ولكن من حصول المولِّد عنـــه وهو المنزلة والسر.

يعني: أيام الصوم، ولم يقل: "اشهدوا"، ولا "اسمعوا" وإنما جوزوا من حيث عملوا، وقال تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا ﴾ [الأعراف: ٥١]، وقال تعالى: ﴿ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طـه: ١٢٦]، وقال تعالى: ﴿ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [هود: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [المطففين: ٢٩]، ثم قال في الجزاء: ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [المطففين: ٣٤]، ثم تمم بقوله: ﴿ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المطففين: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٥] لما قال المنافقون: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٤].

رئي بعض المشايخ في النوم فقيل له: "ما فعل الله بك؟" فقال ﷺ: "رحمني، وقال لي كل يا من لم يأكل، واشرب يا من لم يشرب"، فيا ليت شعري هذا المخالف لنا لِمَ لَمْ يقل له: كل يا من قطع الليل تلاوةً، واشرب يا من ثَبَتَ يوم الزحف، وهذا ما لا تعطيه الحكمة، والله العليم الحكيم مرتب الأشياء ما أُتِي على أحدٍ إلا من قلة معرفته بالترتيب، فلو صح الترتيب ما أُتِي عليه، وكل ما ذكرناه من أصحاب المقامات سادات أبرار أتقياء أخيار رجال الله وأولياؤه وسُراة الوقت وبدلاؤه، وأما الكبريت الأحمر والإكسير الأكبر الفعال المنزه عن الالتفات والمالك لجميع الصفات والعرِيّ عن جميع الآفات فهو العروس العذراء المخبوء العين في حجاب الصون في غايات الكون وظلم العوائد المعروفة عند الخلق لا يُعرف ولا يَعْرف، بل يُكشف

وقتا ما ولا يُكْشف لأبويه[١] تجده فى الدكان مضطجعا تنوشه الكــلاب أو بهلــولا يرمى بالحجارة لا يُعبأ به ولا يُنظَر إليه، حجبه غيرةً منه عليه[٢]، وفى صاحب هذا المقام:

شغل المحب عن الهوى أن يبصـــره * فى حب من خلق الهواء وســـخره

العـــالمون عقـــولهم معقولـــة[٣] * عن كل كـــون يرتضـــيه مُظْهِـــره

فهم لديـــه مكرمـــون وفـــى الـــورى * أحـــوالهم مجهولـــة ومســـتَّرة[٤]

ولا أقول أيضا: إن هذا المراد المصطفى فى أحواله كبريت وقتـــه وإكســـير وجوده ليست تكون له هذه الكرامة أصلاً، نعم تكون له وقتاً ما لأمرٍ ما، وأمـــا أن تستمر له فلا سبيل إلى ذلك لسرٍّ خفى يبحث عنه صاحب الهمة حتى يجده بحالـــه، فإن الله تعالى مريد فى الوجود بموافقة إرادة ذلك العبد المقدس اختصاصاً منـــه أن يكون الأمر كذلك، ومن إرادته عرفنا أن الله ألا يستمر له ذلك السر الذى رويناه لك مقفلا، ومعنى أن الله تعالى يريد بإرادة ذلك العبد لأنه الإكسير الأكبر[٥]، ولا يريد أصلاً إلا بعد العلم بمراد مولاه فيما يريد لتكون الموافقة له فيصح له كونه إكسيرا فإذا لم يقع له المراد بطلب حقيقة المقام وليس هو ذاك، فلا يريد أبداً أمراً إلا بعـــد الكشف، فكأنه قارئ فى اللوح المحفوظ جميع الكائنات ليس من شرطه أن يعـــرف الجزئيات إنما هو ابن وقته ومكانه وأكثر من ذلك بشيء، وقد شاء الله ذلـــك فـــإذا

---

(١) هكذا فى المطبوع لتشوشه بالأصل، والمعنى أنه ممن يخفون فى الأرض حتى عن آبـــائهم وأمهاتهم ويعرفون فى السماء.

(٢) ولذلك فإن الله أخفى أشياء فى أشياء: أخفى ليلة القدر فى رمضان، وأخفى ساعة الإجابـــة فى يوم الجمعة، وأخفى وليَّه بين خلقه.

(٣) معقولة: أى عليها عقال أى: رباط ومانع.

(٤) الأبيات من بحر الكامل.

(٥) وفى الحديث أن السيدة عائشة أم المؤمنين ـــ رضى الله عنها ـــ كانت تقول للنبى ﷺ: "ما أعجل أن يسارع الله فى هواك"، فكذلك الوارث المحمدى يرث هذا الأمر عن النبى الأعظـــم ﷺ.

أراد أمراً فعل الله ذلك المراد له فيقال: "انفعَلَ عنه بهمته كذا"، فكأن الحق جـــازاه على إرادته[١]، ولهذا حكى عن بعض الجاهلية فى حق رسول الله ﷺ أنه قال: "إن الله يحب محمدًا ما يريد منه أمرا إلا أعطاه إياه إشارة إلى وقوع المراد وكذلك كل من نطق عن إذن من الورثة المكملين فى الميراث، فمن رسخت قدمه هنا وســـعى فى هذا الوجود على هذا الحد فى كل عَالَمٍ بالمشى الذى يخصه والسعى الذى يليق به، والرجل الذى ينبغى أن يطلق عليه أنه عرف حقيقة بنزول الحق إلى الســماء الدنيا فى الثلث الباقى من الليل فأخذ حظه من هذا النزول مـــن طريـــق النتيجـــة الصغرى، وأنه ثلاثة أثلاث بالنسبة إلى الليل، وسبعة طرائق بالنسبة إلى الأرواح، وسبع طباق بالنظر إلى الأجسام، وأقام عالمه على سطح أرضه، فينزل فى الثلـــث الباقى من ليل ذاته الذى يليه الفجر وطلوع الشمس إلى سمائه الأقرب إلى المـــدبرة وأرضه المزينة بكواكب علومها فيناديه حظه من الحق: هل من عين ساهرة أنعمها بمشاهدتى؟ هل من سمع مصغ أسمعه كلامى؟ هل من لسان صامت أُنطقه بذكرى؟ هل من يد مقبوضة أبسطها بنعمتى؟ هل من بطن جائع أغذيه بخلقى؟ أو عـــاطش فأرويه بعلمى؟ هل من فرج متعفف أنكحه حكمتى؟ هل من رِجل قائمة ألف ساقها بساق السجود؟ هل من قلب منتبه أهبه الكل؟ فمن كان مستيقظا من نومه من هؤلاء العوالم حصل له ما وعده به، فمن وقف على هذه الحقائق، واخترق برجل همتـــه هذه الطرائق، وأسرى به إلى الحكيم الرزاق، فذلك صاحب الرِّجل والسَّاق والقَدَم، وهو الساعى على الحقيقة والمتخلق بأسرار الطريقة، والمتحقـــق فـــى أوصـــافه، والمجهول بين إخوانه وأصحابه ــ ألحقنا الله بمن هذه أوصافه ــ ولو أرسلنا القلم فى نتائج هذا المقام ونتكلم على الساق والقدم وخلع النعلين وما فيـــه مـــن الحكـــم لخرجنا عن الاختصار والإيجاز، فنمسك العنان مخافة أن يغلبنا الحال ونغنى عـــن

---

(١) فلأنه أراد خيرا أعطاه الله خيراً، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

ملاحظة التقييد حتى نكشف ما حرم علينا كشفه لأكثر العبيـد، وعلـى الله قصـد السبيل.

القلب الفلكى:

قلـب المحـب مـرآة لمـن نظـرا * يرى الذى أوجـد الأرواح والصـورا

إذا زال صـدا الأكـوان واتحـدت * صـفاته بصـفات الحـق واعتبـرا

من شـاهد المـلأ الأعلـى فغايتـه * النور وهو مقـام القلـب إن شـكرا

ومن يشاهد صـفاتِ الحـق فاعلـةً * لكل أمر يكـن فـى الوقـت مفتكـرا

ومن يشاهد مقام الـذات يحـظ بمـا * فى الذات من يسلب الأوصاف مفتقرا

فكـل قلـب تعـالى عـن أكنتـه * لم يدر فى المـلأ الأعلـى ولا ذكـرا

وكيف يـدرك قلـب بـات محتجبـا * عن الوجود فما صـلى ولا اعتمـرا

ما يعرف العين إلا العـين فاسـتمعوا * ما قلب عينٍ كقلـب قُلِّـد الخبـرا[1]

اعلم يا بنى ــ وفقنا الله وإياك ــ أن القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه، وإن شاء أزاغه، فإن أزاغه كان بيتا للشيطان، ومحـلا للخسـران، وموضع نظر المطرود من رحمة الله، ومعدن وساوسه، وحضرة أمانيه، ومهـبط مَرَدَته، وخزانة غروره، وإن أقامه فذلك قلب المؤمن التقى الورع الذى قال فيـه: **"ما وسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن"** فقلب يسع القديم كيف يحس بالمحدث موجوداً؟ وفى هذا المقام تحقق شيخ الشيوخ أبو يزيد البسطامى ﷺ حيث قال: "لو أن العرش وما حواه مائة ألف ألف مرة فى زاوية من زوايـا قلـب العارف ما أحس بها"، فقلب العبد الخصوصى بيت الله، وموضع نظـره، ومعـدن علومه، وحضرة أسراره، ومهبط ملائكته، وخزانة أنواره، وكعبتـه المقصـودة،

---

(١) الأبيات من بحر البسيط.

وعرفانه المشهودة، رئيس الجسم ومليكه إذا قضى أمرا فإنما يقول له "كن" فيكــون مع السلامة من الآفات وزوال الموانع؛ بصلاحه صلاح الجسد، وبفســاده فســاده، ليس لعضو ولا جارحة حركة ولا سكون، ولا ظهور ولا كمون، ولا حكم ولا تأثير إلا عن أمره وهو محل القبض والبسط، والرجاء والخوف، والشكر والصبر، وهو محل الإيمان والتوحيد، ومحل التنزيه والتجريد، وهو الموصوف بالسكر والصحو، والإثبات والمحو، والإسراء والنزول، هو ذو الجلال والجمال، والأنـس والهيبــة، والتجلى والمحق، هو صاحب الهمة والمكر، والحرية والوجود، وعــين التحكــيم والانزعاج، والعلة والاصطلام، والتدانى والترقى، والتدلى والتلقى، والأدب والبر، والوصل والفصل، والغيرة والحيرة، هو حامل المعانى ومدبر المغانى، كمــا أنــه أيضا صاحب الجهل والغفلة، والظن والشك، والكبر والكفــر، والنفــاق والريــاء، والعجب والحسد، والشّوب والهلع، ومحل الأوصاف المذمومة كلها إذا لم ينظر الله إليه ولا أدناه وحرمه التوفيق والهداية، وخيبته فى الأزل العناية، هو رسول الحــق إلى الجسم فإما صادق وإما دجال، إما مضل وإما هاد، فإن كان كريماً أكــرم، وإن كان لئيما أُسلِم[1]، فإن كان رسول خير وإمام هدى حرك أجناده بالطاعة، وتوجهت سفراؤه إلى أمرائه العشرة من عالم الغيب التى هى حضرته، وعالم الشهادة التــى هى باديته بكتب الاستقامة على السُنة والجماعة، لكل أمير ما يليق به من التكليــف وما تقتضيه حقيقته وهم عشرة: خمسة ملكية، وخمسة ملكوتية، فالأمراء الملكوتيون يسمون أرواحا، والأمراء الملكيون يسمون حواسا كحاسة السمع، وحاسة البصــر وحاسة الشم، وحاسة الذوق، وحاسة اللمس، والأمراء الروحانيون كالروح الحيوانى والروح الخيالى والروح الفكرى والروح العقلى والروح القدسى، فإذا نفــذ الأمــر الإلهى إلى أحد هؤلاء الأمراء من القلب بادر لامتثال ما ورد عليه علــى حســب حقيقته، وهؤلاء السفرة هم الخواطر المشهورة.

(١) أى: أُسلِم إلى الشيطان وفعل المعاصى والقبائح.

فصلٌ: اعلم يا بنى ــ وفقك الله ونور قلبك وشرح صدرك وطهر ثوبك ونزه سرك ــ أن كل كرامة ومنزل ذكرناه فيما تقدم للأعضاء فإنما ذلك كله راجع إلـــى القلب وعائد عليه، ولولاه لم يكن من ذلك شيء لتلك الأعضاء؛ فإن كل عمل صدر عنها إن لم يؤيده الإخلاص الذى هو عمل القلب وإلا فذاك العمل هبـــاءُ منثـــورٌ لا تصح له نتيجة أصلاً ولا يورث سعادة أبدية؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة: ٥]، وقال رسول الله ﷺ: «**إنما الأعمـــال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلـــى ما هاجر إليه**»، فتبين بهذا أن الأعمال الظاهرة والباطنة كلها يزكيها عمل القلب أو يجرِّحها، فليس للأعضاء إذاً حركة ولا سكون فى طاعة شرعية ولا معصـــية إلا عن أمر القلب وإرادته، فأول ما ينبعث الخاطر فى القلب، فإذا تحقق وعزم علـــى إمضائه نظر إلى الجارحة المختصة بعمل ذلك الخاطر الذى قام، فيحركها بعمـــل ذلك الخاطر إما طاعةً وإما معصيةً، وعليها يقع الثواب والعقاب ألا تـــرى أن الله تعالى كيف جعل النظرة الأولى التى هى من غير قصد ولا للقلب فيها نية بوجـــه معفواً عنها والعبد غير مؤاخَذ بها، وكذلك فى النسيان إذا عمل العبد عمـــلا مـــن الأعمال ناسيا غير قاصد لذلك العمل فإن الله تعالى قد عفا عنه، كما أنه أيضا إن أراده القلبُ وهمَّ بمعصية ما لم يكن إصراراً لا يكتب عليه ولا يحاسب به مـــا لـــم يعمل به أو يتكلم به، هذا فى المعاصى، وأما فى الطاعات فمأجور بنيته وهمته وإن لم يعمل، وكذلك إن لم يعمل المعصية التى همَّ بها كُتِبَتْ حسنةً، قـــال ﷺ: «**إن الله تجاوز عن أمتى الخطأ والنسيان وما حدثت به أنفسها**»، وقال ﷺ: «**إذا همَّ العبد بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا، وإن هـــمَّ بســـيئة فعملها كتبت سيئة، فإن لم يعملها لم تكتب شيئا وقال تعالى للملائكـــة: اكتبوهـــا**

حسنة؛ **فإنه إنما تركها من جَرَّائى»** يعنى: من أجلى، وكذلك أيضا ما استُكْرِهَ عليه الإنسان ففعله مخافة الموت فإنه غير مؤاخذ به عند الله تعالى، وذلك لأنه لم يقصد ذلك الفعل بقلبه وإنما أُكْرِهَ عليـه، قـال تعـالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [النحل: ١٠٦]، وقوله ﷺ فى حديث «وما استكروها عليه» فإذا تكرر هذا فقد ثبت أن القلب رئيس البدن وهو المخاطب فى الإنسان وهو العقل الذى يعقل عن الله تعالى وهو الملك المطاع الذى قال فيه رسـول الله ﷺ: «**إن فـى الجسـد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلـب**»، فإذا كان هذا كما ذكرناه فقد ثبت وصح أن جميع الكرامات والمنازل التى جعلناهـا للأعضاء إنما هى راجعة إلى القلب ومتعلقة به وعائدة عليه، ولكن مع هذا كله فله كرامات ومنازل يختص بها فى نفسه لا يصل إليها أحد من عماله أبداً، كما أن كل نعمة تظهر فى مُلْكِ مَلِكٍ على رجاله وخدمه وحاشيته ومقام رفيع ومنزلـة عليـة راجعة إلى الملك ومع هذا فله أيضا نعم ومنازل ومقامات تختص بها ذاته لا ينالها أحد فى مملكته سواه، وقد ذكرنا هذا الفصل شافيا مستوفى فى كتابنا الموسوم بـــ "التدبيرات الإلهية"، بيد أن لمنازل هذا القلب شروطا ليس لغيره مـن الأعضـاء، وذلك أن منازل الأعضاء قد تحصل لها من غير أن تحصل الكرامات المختصـة بها، والقلب بخلاف ذلك لا يصح له منزل ما لم يصح له بعض الكرامات المختصة به، فمنازله موقوفة على بعض كراماته، ونحن نذكر الآن — إن شاء الله تعالى — كرامات هذا القلب ومنازله ممتزجة على حسب ما يعطيه المقـام، فـأذكر المقـام والمقامين والمنزلة والمنزلتين والثلاثة ثم أرجع إلى الكرامات بخلاف ما تقدم فـى الأعضاء، وأن هذا يعطى مقام القلب؛ إذ بعض كراماته منازل لغيره من الأعضاء، فلعلوها وامتزاجها بالمنازل ولطافتها صارت كأنها هيئته، فلهذا ما يعسر فصلها عن المنال.

كرامات القلب: فمن ذلك معرفة الكون قبل أن يكون، وهذا هو العلم الخفـــى الذى فوق العلم السرى، وفوقه علم أخفى، وفوق الأخفى أخفى إلى الأخفـــى الـــذى استأثر الله تعالى به دون خلقه، فالأخفى الأول عمى عنه كل مخلوق ماعـــدا هـــذا الشخص الذى أطلعه الله عليه كرامةً منه به، فهو بالنظر إلى العالم أخفى من السر، وبالنظر إلى الحق فهو من علوم السر لوقوع الاشتراك فى علمه، فهو للحق سبحانه من حضرة "يعلم السر"[١]، وللعالم من حضرة أخفى، إلا أن أصحابنا ـــ رضى الله عنهم ـــ أطلقوا على هذا العلم: "سر السر"، أدبا مع الحق تعالى؛ إذ لم يسمّ له أخفى إلا ما انفرد به سبحانه وأنا جارٍ على هذا الأدب، وإنما ذكرت الأخفى هنا لهذا السر تبيينا للمعنى فى حق السامع، "فسر السر" هو هذا العلم وما هو أخفى بما هو فوقـــه ولا يلتفت لمن يقول: إن كل إنسان له سر يخصه لا يعلمه أحد معه إلا الله تعـــالى، هيهات وأين اللوح والقلم ولَمَّة الشيطان ولَمَّة الملك، نعم لكل إنسان سرّ مسلَّمٌ ذوقاً لا يعلمه أحد من جنسه ولا الأكثر من غير جنسه ويعلمه هذا الذى أكرمه الله بـــه، وما يكون فيه من بعد مما لم يوجده الله تعالى فى نفسه الآن كرامة من الله تعـــالى لبعض العبيد وتحقق ميراث إلهى، فأرباب القلوب يعلمون السرائر بإعلام الله لهـــم وما انطوت عليه النفوس والضمائر، وهى المكاشفات التى ذكرناهـــا فـــى عضـــو البصر، ويعرف واحد من أرباب القلوب ما لا تعرفه الضمائر ولا الخواطر ممـــا ستعرفه، فبهذا استأثر صاحب القلب الإلهى، وهذا جائز عقلا لأن يُعْلِم الله ســـبحانه عبدا من عباده ما فى نفس عبد آخر، ومما سيكون مما ليس هو الآن كـــائن، ومـــا بقيت الدعوى إلا فى أن هذا الأمر قد وقع ولا برهان على أنه وقع، إلا أن المدعى فى هذا المقام إذا ادعاه ويقول: أنا ذلك الرجل، يقال له: "هات أخبرنـــا بمـــا فـــى نفوسنا، وما يكون بعد مما ليس فيها الآن"، فإن كان صادقا فى دعواه أخبر بـــذلك، وإلا فدعواه كاذبة، وهذا هو السر الأخفى الأول الذى هو سر السر، فهـــو أخفـــى

(١) قال تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴾ الآية.

بالنظر إليك مع العَالَم ومن جهة أن الحق قد أطلعك عليه فهو سر بينك وبين الحق، وللحق أخفى منه، وصاحب هذا المقام يعلم ما فى نفسك ولا تعلم ما فى نفسه، ولما كان هذا الأمر يحصل لبعض الناس ولم يحصل للآخرين من أهل ذلك المقام الذى منه يحصل لمن حصل جعلناه كرامة ولم نجعله منزلا؛ لأن أصـــحاب المقامـــات ليست الكرامات شرطا فى تصحيح مقاماتهم، وأما المنـــازل فشـــرط فـــى صـــحة المقامات، ومن ادعى مقاما ولم يقف على منزل من منازله فدعواه كاذبـــة وقولـــه زور وبهتان.

منازل الآمنين:

واعلم أن السبب الذى منه تحصل هذه الكرامات هو أن القلب له بابان: باب إلى عالم الملكوت، وباب إلى عالم الشهادة، وعلى كل باب إمام، فالإمام الذى على باب عالم الملكوت قارعٌ لذلك الباب حتى يفتح له ولابد أن يفتح له، فإذا فتح ظهـــر عند فتحه طريقان واضحان: طريق إلى الأرواح الملكوتيات والرحموتيات، وطريق إلى اللوح المحفوظ، فإن سلك هذا الإمام على طريق الأرواح وقف علـــى أســـرار الملائكة ويصير صاحبا لهم وسميرا، ومن ثم يكثر تســـبيحه وتهليلـــه ومعاملاتـــه واجتهاده فى العبادات على حسب الصنف الروحانى الذى يكون معهم، فَثَمَّ صـــنف غلب عليهم التسبيح، وآخر غلب عليهم التحميد، وآخر غلب عليهم السجود، وآخر غلب عليهم القيام، وما منهم إلا له مقام معلوم كما أخبرنا الله تعالى عـــنهم وحـــد مرسوم، وأنهم المسبحون الصافون الليل والنهار ولا يفترون، فهذا الإمام النزيل بهم يغلب عليه حالتهم ضرورة فتكون عبادته على نوع عبادة الصـــنف الـــذى يكـــون عندهم، وهو الدلائل على كشفه والبراهين على دعواه فى مشـــاهدتهم ومؤانســـتهم ومحادثته لهم، وأما الطريق الذى يُفتح له إلى اللوح منه يعرف ما ذكرته لـــك قـــد ارتقم على ما كان وما يكون وما لو كان أن لو شاء الحق أن يكون كيـــف يكـــون فيقابله بذات قلبه فيرتقم فيه على حسب كشفه كما ذكرناه فى فلك اليد فانظره هناك

فى الباب الجزئى، واعلم أن المشاهد لهذا المقام ساكن الجوارح لا يتحرك له عضو أصلا إلا عينيه تحركها عين البصيرة بقوتها لغلبة المقام عليه، وهنا يقع التفاضـــل بين أهل هذه الطريقة فمنهم من لا يزال عاكفاً على اللوح أبداً لا ينتفع به، ومـــنهم من يشهده تارةً وتارةً، ومنهم من يكون له فيه نظرة واحدة فيرجع ثـــم لا يعـــود، ومنهم من يترك النظر فيما سطر بعد ويرتقى إلى النظـــر فيمـــا يســـطر، وههنـــا مرتبتان: منهم من ينظر فيما يسطر أعنى ماذا يسطر، ومنهم من ينظر فى كيفيـــة تخطيط القلم وكيف يقلع العلوم من الدواة التى هى النون مجملةً[1] وينثرهـــا علـــى سطح اللوح مفصلةً، فإن تكلم صاحب هذا المقام لم يفهم عنه كلام أصلاً لإجمالـــه، ومنهم من ينظر تحريك اليمين للقلم، ومنهم من ينظر اليمين لا من جهة أنها كاتبة، ومنهم من ينظر صاحب اليمين[2]، ومنهم من ينظر فى صفات الجـــلال الســـلبية، ومنهم من ينظر الذات من حيث اليمين، ومنهم من ينظرها من حيث هـــى وهـــذه أسنى المراتب والمقامات وأعلاها، وليس وراءها مقام ولا منزل يتعالى، ولكن فى هذه المقامات يقع التفاضل بين أصحابها، فللرسول منها شِرْبٌ، وللنبى منها شِرْبٌ، وللصوفى منها شِرْبٌ، وللمحقق الوارث منها شِرْبٌ، ولكل مقام من هذه المقامـــات أدب يخصه وشاهد حال يشهد له أضربنا عن ذكره حذرا من المـــدعى أن يلزمـــه ويدعى المقام فيشهد له اللزوم لأدبه فى ذلك الحين، لكنى أســـوق مـــن الشـــروط لتحصيل هذه المقامات ما يفتضح به المدعى إذا ادعى مقاما منها ولا أقـــول متـــى يكون ذلك ولا كيف وأتركه مبهما حتى لا يعرف المدعى متى يدعيه، وأما الـــذائق له فصحيح الدعوى فيعرف ما كتمناه وسترناه ـــ والله يصلح الجميع ـــ فأما مـــن شاهد اللوح فعلامته أن ينطق عن سرك وأنت ساكت فهذا هو الذى قال الجنيـــد ﷺ

---

(١) أى: النون من قوله تعالى: "كن".

(٢) فى المخطوط: (اليمينين)، والمثبت من المطبوع، ولعله إن صح ما فى المخطوط يشار بـــه إلى حديث: "وكلتا يدين يمين".

سيد هذه الطائفة حين قيل له: "من العارف"؟ قال: "مَنْ ينطق عــن ســرك وأنــت ساكن"، وعلامة من شاهد القلم يكتب أن يعرف ذلك السر الذى تتكلم عليه فى نفسك من أى حضرةٍ صدر؟ وما السبب الذى لأجله وجد؟ ومن شاهد اليمين كاتبة فعلامتـه الفعل بالهمة وهو ساكت، ومن شاهد اليمين غير كاتبة علامته الأنس فـــى بســـاط الجمال من غير انبساط بل بأدب كما قالت المشايخ: "اقعد علـــى البســـاط وإيـــاك والانبساط"، ودليل أنسه استبشاره عند الموافقة بين أفعال المكلفين والشرع، وهــذا مقام الغيرة الذى قيل للشبلى فيه: "متى تستريح"؟ قال: "إذا لم أرَ له ذاكراً"[1]، ومــن شاهد اليمينين علامته التسليم لأمر الله والرضا بموارد القضاء وكل ما يجرى عليه من البلاء والمحن والنعم سواءٌ لا فرق بينهما حاله وعلمه هذا ما لم يكن الابـــتلاء فى الدين، فإن كان لزمه الأدب والاحترام، ومن شاهد فى الصفات الســـلبية فـــلا تصدر عنه نقيصةٌ، هذا علامته، بل يكون خيراً كله، ومن شاهد الذات من حيـــث اليمينين علامته أن يتحدى بالمعجزات إن كان نبيا وبالكرامات إن كان وليا، ومن لا يتحدى بذلك ويدعى هذا المقام فدعواه باطلة، ومن شاهد الذات من حيـــث الـــذات علامته ألا يتفق أمر فى الوجود إلا ويكون ذلك مرادا له وبإرادته ولا يجرى شيء على غير غرضه، فإن بطل له هذا الشاهد بطلت دعواه، فإن قلت: وهـــذا المقـــام يدعيه الإنسان ولا يدرى هل يصدق فى دعواه أو يكذب، فاعلم أن الإنسان صاحب غفلات فإن ادعى لك هذا المقام من ادعاه فاغفل عن دعواه فيه بل سلمه له، فـــإذا غفل عن دعواه قصد نكايته بأمرٍ ما وتجريحه وانظر إلى حاله فى ذلك فإن كـــان كاذبا تغير ولابد، وإنما يقع التغيير من جهة المخالفة، فلو وافق نكايتك له إرادتـــه فيها لما تغير كيف وقع مراده، فهذه ــ وفقك الله ــ شواهد لا ينفك صـــاحب هـــذه

---

(١) أى: لأن الذاكر باللسان القاصد لذلك لابد أن هذا يكون حاصلا عن غفلـــة منـــه وعـــزوف سابق عن الذكر، ولكن إذا وقعت الموافقة بين مراد الشارع سبحانه من خلوص العبوديـــة فى كل حال فلن تقع الغفلة وسيكون المكلف ذاكرا بقلبه دائما لا يغيب الله عنه طرفة عـــين. هذا معنى كلامه والله تعالى أعلم.

المقامات عنها، ومن ادعاها دون هذه الشواهد فدعواه كاذبـة، وبعـد هـذا كلـه وتصحيحه فلا شاهد للإنسان فى نفسه على تصحيح هذه المقامات له أصـح مـن الاستقامة ظاهرا وباطنا والوقوف عندما جاء به سيدنا محمد ﷺ ـ جعلنا الله ممـن اتبع سبيله الـذى قـال فيـه: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ثم قـال: ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] فجعلها وصية ـ والصوفى أحق بسـماع الوصية الإلهية من كل أحد، إذ هو المدعى فيه وصاحب مناجاته ومشاهداته من كل أحد.

صلةٌ وتتميمٌ: ثم لتعلم أن تعدد الأسرار عندنا إنما هو لتعدد هـذه المقامـات الإلهية الغيبية التى ذكرناها، ولكل مقام سر يخصه، فلهذا تعددت الأسرار وكثـرت إضافاتها فقالوا: السر، وسر السر، وسر سر السر، وسر سر سر السر، وهكذا إلى أن ينتهى إلى ما ذكرت لك، فإذا سمعت إضافات هذه الأسرار وتكرارها فلا تتخيل أنها راجعة إلى معنى واحد مع تعريفى لك أنها متعددة بالمقامـات، وإنمـا كانـت إضافات بعضها إلى بعض لأن بعض هذه الأسرار ناتج عن بعض ومتوقف وجود بعضها على بعض، فالثانى لا يحصل لك أبدا ما لم يحصل الأول ولا الثالث ما لم يكن الثانى؛ فإنه المنتج له، هكذا على التتالى والتتابع، وهكذا الكشف كله لا يحصل إلا للإمامين اللذين هما وزيرا القطب صاحب الوقت ما عدا الكشف الذاتى المطلق؛ فإنه مما ينفرد به قطب الزمان ومرآة المؤمن[1] كما ينفرد أيضا الإمام الذى علـى يسار القطب بباب عالم الشهادة الذى لا سبيل للإمام الثانى الذى على يمينه إليـه، فإذا حصل للإمامين ما ذكرناه من المقامات والأسرار على التتميم فتح للإمام الذى

---

(١) فما يقع فى نفس المؤمن يقع فى مرآة قلب هذا القطب، والله أعلم، رُوى عنه ﷺ قولـه: "المؤمن مرآة أخيه".

على يسار القطب باب عالم الشهادة فوقف على أسرار العالم الترابى مـــن البشـــر والجبروتى الترابى من العباد والزهاد والروحانى الترابى كالأبدال والأوتاد والنقباء، وفى هذا الباب يعطى سر التدبير وأحكام الرئاسة والسياسة، وصار كل روح مُدَبِّر لجسده تحت ملكه وقهره يتصرف عن إذنه، فهم مع كونهم يتصرفون فـــى الأرض والماء والهواء كيف شاءوا راغبون فى نيل مقام هذا الإمام. ولقد بلغنى عن ثقة أن الشيخ أبا النجا المعروف بأبى مدين ببجاية كان ــ رحمه الله ــ وجه إليه بعــض الأبدال فى مسألة وهى: "لأى شيء لا يعتاص علينا شيء وأنــت تعتــاص عليــك الأشياء ونحن راغبون فى مقامك وأنت غير راغب فى مقامنا"؟ وقد كان له مـــنهم أشخاص يصرفهم على حكم إرادته، وكان أحد الإمامين اللذين ذكرناهمـــا، وكـــان يقول هذا عن نفسه ويشهد له حاله بصدق دعواه، وكان يقول: "سورتى من القرآن": ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١]. وليس بعد هذا المقام إلا مقام القطب، وإلا مقام الربوبية المقيدة بالناس فى قولـــه: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ ﴾ [الناس: ١] فهى حضرة الإمام الذى على باب عـــالم الملكـــوت وفيها يشهد وهى موضع نظره، فإنها ثلاث حضرات اختصت بثلاثة أسماء نالهـــا ثلاثة رجال، وهى حضرة الرب والملك والإله، ورجالها الإمامان والقطب، وإنمـــا أضيف مقام الربوبية للناس وهو مع الملكوتيات لأنه لابد له عند موت الإمام الثانى المسمى بالملك أن يرث مقامه بخلاف غيره؛ فإن ثَمَّ أشخاصاً يحصل لهم من مقـــام الربوبية طرف ما بخُلُقٍ ما ولكنهم لا يرثون هذا، فلهذا عرى عنهم الحق الإضافة إلى الناس؛ إذ ليس لهم فيه تدبير ولا لهم عليه تقدم، وبلغ إلى بعض الروحانيين عند اجتماعى به أن شيخنا أبا النجا ــ أعنى أبا مدين ــ ما مات حتى كان قطبـــا قبـــل موته بساعة أو ساعتين، ولقد أنبأنى بذلك أبو يزيد البسطامى فى رؤيا رأيتها، وإنى لأعلم وارثه الآن فى ذلك المقام الإمامى وأعرفه غاية المعرفة، لله الحمد على ذلك،

نعم يا سيدى مضى هذا المقام بسبيله فلنرجع، وهذا المقام الذى يحصل للإمام الذى لعالم الشهادة الأئمة فيه على نوعين، منهم إمام يصرف الأبدال على اختياره كأبى النجا ومن أشبهه ويعرف الأوتاد عينا واسما ويجتمعون معه، وهذا المقام هم فيـــه على أقسام، منهم من يستمر له ذلك، ومنهم فى وقت دون وقت، ثم لا يراهم أكثـــر إلا عندما يفقد منهم واحد ويخلفه غيره ويعلم المفقود ومن خَلَفَـــهُ، ومـــنهم مـــن لا يشاهدهم أصلا ولا يراهم ولا يعلم مثلاً هل فى الوجود أبدال أم لا، إلا أن الأبـــدال يخدمون بظهر الغيب ويحضرون ميعاده وينتفعون به على غير علم منـــه لحكمـــة أخفيناها ووَكَّلْناك فيها لنفسك، وهذه الحكمة يعلمها هذا الإمام إن عَرَفَ ثَـــمَّ أبـــدالا فيعرف ما المانع لرؤيته إياهم وتصريفه، وإن لم يعلم لا يعلم تلك الحكمة ولكنه قد أهله الله تعالى للتقديم ورشحه لإرشاد الأمة ليهتدى بها عباده، وهذه مقامات إياك يا بنى أن تتخيل فى نفسك أنها تحصل لك علما دون ذوق أبدا، هيهات، فازوا وخسر المبطلون، وإياك أن تتخيل أنى خرجت عن المقصود بذكرى لهذه الأشـــياء، إنمـــا سقتها تنبيها على أنه لا يكون صاحب هذا المقام إلا من فتح له باب عالم الشـــهادة من قلبه كما قدمناه فى أول منزل، فإن فتح له فهذه حالته فى الشهادة — والله يرشد الجميع لا رب غيره.

ومن كرامات هذا القلب المختصة به إطلاع الحق على ما أودع فـــى العـــالم الأكبر من الأسرار، ثم أين حظه من نفسه من ذلك السر حتى يعرف أين البحر فيه وأين البر وأين الشجر وأين السماء والكواكب والأقاليم ومكة والقدس ويثرب وآدم وموسى وهارون، كما يعرف فى ذاته الدجال ويأجوج ومأجوج والدابـــة المكلِّمـــة لخلقه، هكذا حتى لا يشذ عنه شيء من الموجودات، ولا أريد حصرها وإنما أريـــد أن كل ما عرفه من العالم عرف أين حظه من نفسه وذاته، فهو فى هذه الكرامـــة يقابل كتابه بكتاب العالم الكبير ليصح كتابه الخاص به، ومنها أن يطلعه الله تعـــالى على هذه الأسرار، فعكس المرتبة الأولى فيكون فى هذه يقابل العـــالم مـــع ذاتـــه

فيعرف الشيء فى نفسه أولا ثم بعد ذلك ينظر ما يقابله فى العالم من خارج، فالأول طالب فى نفسه ما وجده خارجا عنه، والثانى طالب فى الخارج عنه ما وجد فـــى ذاته، وهذه الكرامة أشرف وأسبق فى الرحموت، ومنها أن يطلعه الله تعالى علـــى هذه الأشياء فى الكتابين معا من غير تقديم ولا تأخير كالصورة فـــى المـــرآة مـــع الناظر، وهنا مقامان، الأول: أن يكون العالم مرآة، والثانى: أن يكون للعالم مـــرآة، وهو المقام الأعلى، فإن العالم يُرَى فى نفسه ولا يراه أصلا فيكشـــف العـــالم ولا يكشفه العالم، فهذا القلب لو تسأل الأيام ما عرفته ولو طلب له مكان لم يعقل، وهذا هو وارث الحق الذى يَكشف ولا يُكشف، وصاحب هذه الكرامـــة هـــو المحمـــدى المكمَّل الذى ليس له مقام فيدرك والتنبيه عليه من الكتاب: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْ ﴾ [الأحزاب: ١٣]، فهذا تنبيه على أمرين: على ألا نهايـــة أصـــلا، وعلى المقام الذى ذكرناه الساعة، وله تأثير عجيب فى العالم من غير تعيين إلا كما ذكرناه وقررناه فى الفلك القدمى، ومن لم يوقفه الله تعالى على هذه الكرامات القلبية فليس عنده علم بموضع الحكم الوجودية ولا حقيقة له.

منزل هذه الكرامات:

ومن المنازل أن يطلعه الله تعالى على العلة والسبب الذى لأجله وجد أمر ما أو عدم أى كون كان من الأكوان فى العالم روحانيا أو غير روحانى على الجملة، فإذا عرف ذلك نظر: هل له تأثير إلهى أو غير تأثير؟ فإن كان له تـــأثير اســـتعد لقبوله وأنذر إخوته من المؤمنين إن كان له تأثير هلاك، وإن كان تأثير رحمة بشَّر الخاصة من إخوانه واستعدوا لذلك بالشكر والثناء كما وجـــب علـــيهم فـــى الأول التضرع والابتهال والحذر من الحوادث الطارئة الطارقـــة كطوفـــان أو ريـــاح أو زلازل أو ملحمة كما فعل ابن برجان فى كتاب "إيضاح الحكمة" له حيث بشر بفتح بيت المقدس بتعيين العالم الذى يكون فيه وظهور نبى فى الزمان الذى كان قبل نبينا

ﷺ كـ "قس بن ساعدة" وغيره، حيث بشر به وبأوانه ورسول الله يسمع وهو بسوق عكاظ، وأشباه هذا المقام، وهذا منزل عالٍ لا يناله كل أحد إلا من اختصه الله تعالى من عباده، ومع كونه منزلا عاليا ينبغى لمن حصل له ألا يأمنه؛ فإن فى طيه مكراً خفياً واستدراجاً لطيفاً لا يشعر به كل أحد، ومعرفة ذلك المكر موقوفة علـــى مـــن حصل فى المنزل الثانى الذى أذكره بعد هذا ــ إن شاء الله تعالى.

منزل الاختصاص: وهذا المنزل أعلى من الأول وأثبت وأنفع للسعادة الأبدية وليس فى طيه مكر ولا استدراج، وهو أن يعرفه الحق سبحانه وتعالى بعلل أكوان نفسه وما يوجده فيها ومن أى حضرة هو؟ وأى اسم له؟ وإلى أين يكون مآله؟ وهذا المنزل لا يناله إلا الخاصة المقطوع بسعاداتهم كالأنبياء والأولياء، وهـــذا منـــزل التخصيص صاحبه مأمون من المكر والخديعة محفوظ عليـــه حركتـــه وســـكونه وخواطره، وذلك أن الله تعالى إن أوجد فيه كوناً من الأكوان الروحانية وعلم علته وسببه ومآله، فإن كان مؤديا إلى خسران وقتٍ أو عاقبةٍ رجع عنه قبل تأثيره فـــى عالم شهادته وهو معفو عنه شرعا، وإن كان يؤدى إلى سعادة أبدية شكر الله تعالى وأمضاه فى حضرة ملكه لمعرفته بما له فيه من المنفعة والمصلحة، وإن كان هـــذا كما ذكرناه منزلا عاليا فَثَمَّ منزل آخر أعلى منه من طريق الكشف والمقام مساوٍ له فى السعادة والنجاة من أشرار النفس غير أن سعادة هذا أتم، وهذا هو المنزل الذى نذكره الآن ــ إن شاء الله تعالى.

منزل سر المضاهاة الإلهية والكونية: اعلم ــ وفقك الله يا بنى وأسعدك بنيل هذه المنازل العلية ــ أن صاحب هذه المنزلة يطلعه الله تعالى على ما فيـــه مـــن الأسرار من جهة الحق ومن جهة العالم على طريقةٍ ما، وذلك أن يعرفـــه الحـــق سبحانه إذا أوجد أمراً ما فى العالم هل قبل ذلك وجد ذلك الأمر فيه أو بعده أو معاً؟ أو هل مضاهاة العالم له فى نفسه على الكمال ومضاهاة الحضرة الذاتية الإلهية؟ أو هل هو قابل لهما على حدٍ معلومٍ فيكون فيه منهما بعضٌ ويبقى له بعضٌ ســـيدركها

إن تُمِّم له المقام؟ ثم إذا أدركها هل يدركها حتى لا يبقى له شيء فى العالم ولا فى الوجه الآخر أو يبقى له وإنما هو مستعد لقبول كل شيء على الدوام والاســتمرار؟ بيد أن الحقائق تعطى ألا تكون فيه المضاهاة المطلقة على الاستيفاء لما فيها مــن الأضداد وهذا مقام سكت عنه شيوخنا رأسا غير أن لهم تلويحات كالإمام الغزالــى ﷺ فى كيميائه[1] وبعض كتبه وغيره فإنه صرح من هذا المقام بجزئيات منه ولــم يقض فيه بأمر كلى يعتمد عليه ونحن ــ إن شاء الله تعالى ــ نعطى فيه أمرا كليــا ونضرب عن ذكر الجزئيات مخافة التطويل إذ لا حاجة لنا بهــا فنقــول: ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝ ﴾ [الأحزاب: ٤] أن كل باطــل فهــو عــدم محض وكل وجود فهو حق فليس فى الوجود باطل أصلا، فإن قلت: إن الكفر باطل والكذب كذلك وهو فى الوجود فمسلَّم أن الحروف التى نطق بها الكافر والكاذب فى الوجود وهى حق فإنها قد وجدت، وأما المعانى التى تحت هذه الحروف فعدم وهى مثلاً: "إن لله شريكا سبحانه وأنه فى جهة" أو أن "محمدا ﷺ ليس نبيا عنه"، ومعلوم قطعا أن الشريك معدوم لله تعالى وأن "محمدا ﷺ ليسب بنبى" فمعدوم بل هو نبــى وأن الله تعالى لا شريك له، وكذلك "زيد قائم أو فى الدار"، وهو ليس كذلك فالقيــام معدوم والاستقرار فى الدار كذلك فإنه أخبر بما لم يكن ولم يحصل فــى الوجــود؛ فثبت بهذا أن الباطل عدم محض وأن الناس حجبوا بالألفاظ الدالة على العدم فتخيلوا أن الألفاظ بجهلهم هى نفس المعدوم[2]، وهذا كما تراه فتدبر هذا الفصل ترى عجبا، وإنما سقت هذا لما لك فيه من المنفعة فى هذا الموضوع، فإذا تقرر هذا فــاعلم أن المضاهاة الإلهية على قسمين: مضاهاة ظاهرة، وباطنة، فالظاهرة فى الإنسان بمــا هو إنسان، والباطنة إنما هى فى الإنسان لا بما هو إنسان فقط بل بما هو نبــى أو

---

(١) لعله: "كيمياء السعادة" له.

(٢) وهناك فرق بين الدال والمدلول عليه، كشخص زيد وصورة زيد، فإنا إن أحرقنا صورته ــ وهى دالة عليه ــ ليس معنى ذلك أننا أحرقنا زيدا ــ وهو المدلول عليه.

ولى، وكما أنهم على مقامات يفضل بعضهم على بعض كذلك بعض أصحاب هـذه المضاهاة الباطنة يفضل بعضهم على بعض حسب ما يعطيه مقام ذلـك النبـى أو الولى فافهم ما رمزنا لك، وقد أشبعنا القول فى هذه المضاهاة فى كتاب "التدبيرات"، وأما المضاهات الكونية فلا تصح على الإطلاق أصلا فى الإنسان، وإنما يصح فيه بعضها على حسب مقامه وإن استوفاها كلها فلا يكون ذلك فى زمانٍ واحـدٍ بـل يحصلها شيئا بعد شيء، ولكن لابد أن يتقدم فى حقه أشياء لحصول أشياء أُخر هكذا هو سر الحقائق ومعناها وهى فى العالم موجودة كلها، فإذا سمعت الصوفى يقـول: "أنا نسخة من العالم" فليس معناه أن كل ما فى العالم فيه فى زمان واحد بـل هـو مستعد لقبول كل ما فى العالم بخلاف غيره من الموجودات ولكن فيه أكثر العـالم، فثم فى العالم أشياء هى فى الإنسان بما هو إنسان كالنبات والبهـائم والجمـادات، ومنها ما هى فيه من حيث هو عبد مختص بالله تعالى كالملائكة وما أشـبه ذلـك، وهكذا فى مضاهاة الكون فى الإنسان، وفائدة هذا المنزل إذا تحقق به المتحقق يكون قطب وقته، ولو كان فى غير هذا الزمان لكان مشارا إليه، فتحقق يا بنى عسى أن تلحق بهذه المنزلة.

منزل التجلى الصمدانى الوترى ومـا يتضـمنه مـن الحضـرات الإلهيـة والتجليات والأسرار والمقامات والأنوار وغير ذلـك: اعلم أيها المسترشد الموفـق والسالك المحقق أن هذا التجلى الصمدانى الوترى المجهول العين المستور بـرداء الصون هو نتيجة عمر المحققين من أهل الطريق الأنزه والمقام الأنوه الأنبه وقليلٌ من ناله؛ ولهذا ما تجد أحدا من المحققين فعله ولا قاله فإن الطريق إليـه عسـير والمشهد كبير، وهو من أعلى الأسرار وأسناها، وموارده العذب أعـذب المـوارد الإلهية وأحلاها وكشفه أوضح الكشوفات الأقدسية[1] وأجلاهـا، فمـن أراده مـن المحققين الصديقين نيله فليصم نهاره وليُحْيِ بالذكر ليله وخلوته عشرون صـباحا

(١) بالنسبة إلى صيغة التفضيل لعظيم شأن هذا المنزل عن غيره، وإلا لقال: (القدسية).

بأسمائها على ترتيب الحكمة فى أجزائها، فإذا كان بعد العشرين فارقـب الـوارد الأقدس ونفس الرحمن الأنفس إلى أن تنقضى ثلاثون يوما، ولا تكتحل مقلتك فيهـا نوماً، فإن ادعيت أنك ما يحصل فى روعك نفثه ولا أقام الحق بفؤادك بعثه فـاعلم أن الآفة طرأت عليك فى المراقبة فارجع على نفسك بالمعاتبة فاستأنف الخلوة مـن أول حالها فإنه لابد من حصول مآلها إما كليا أو جزئيا فإن تمم لك التجلى والمقـام فستبدو لك جميع معانيه على التمام، وأنا نبهتك — إن شاء الله تعالى — فـى هـذا الكتاب على جميع ما يحويه، فإن نقص لك منه شيء فارغب إلى الله سبحانه عسى تستوفيه، فاعلم أن لهذا التجلى الصمدانى الوترى ثلاثة وثمانين مقاما وثُلثُ مقـام، فأما قولى: ثلث مقام أى أنه لا يناله منه إلا هذا القدر، وله من المنازل ألف منزل، ومن الحضرات أربعة آلاف حضرة، ومن التجليات ثلاثمائة ألف تجلٍ وستون ألفا، النوريات منها مائة ألف وثمانون ألفا، والضيائيات مثل ذلك، وله من اللمحات تسعة آلاف ألف لمحة، وستمائة ألف لمحة، وأربعون ألف لمحة، الدريات منهـا أربعـة آلاف ألف لمحة، وثمان مائة ألف لمحة وعشرون ألف لمحة، والضـيائيات مثـل ذلك، وله من الدرجات العُلى والزلفى مائتا ألف ألف درجة وتسعة وثمانون ألـف ألف درجة ومائتا ألف درجة ، النوريات منها مائة ألـف ألـف درجـة وأربعـة وأربعون ألف ألف زلفة وستمائة ألف زلفة، والضيائيات مثل ذلك، وله من الأسرر خمسمائة ألف ألف سر وثمانية وتسعون ألف ألف سر وأربعمائة ألـف سـر، النوريات منها مائتا ألف ألف سر وتسعة وثمانون ألف ألف سر ومائتا ألف سـر، والضيائيات مثل ذلك، وله من اللطائف ألف ألف ألف لطيفة ومائتا ألف ألف لطيفة وستة وتسعون ألف ألف لطيفة وثمانمائة ألف لطيفة، النوريات منها خمسمائة ألف ألف لطيفة وثمانمائة وتسعون ألف لطيفة، والضيائيات مثل ذلك، وله من الحقـائق ألف ألف ألف حقيقة وثلاثمائة ألف ألف حقيقة وثلاثة وتسعون ألف ألـف حقيقـة وستمائة ألف حقيقة، النوريات منها ألف ألف ألف حقيقة ومائة ألف ألف حقيقة

وستة وتسعون ألف ألف ألف حقيقة ومائة ألف حقيقة وستة وتسعون ألـــف ألـــف حقيقة، والضيائيات مثل ذلك، ثم فى كل فصل من هذه الفصول لكل شخص سر أو حقيقة أو لطيفة أو حضرة أو منزل أو تجلِّى دقائق ورقائق على عدد مـــا يحويـــه الفصل من الأسرار واللطائف أو ما كان، فتحقَّقْ أيها الطالب وتخلَّقْ عســـى أنـــك تلحق، واستمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها، والله يؤيدك فى سلوكك ويجمع لك بين ملكك ومليكك، آمين، وعلى الله قصد السبيل.

يابنى إنه من أراد أن يكون قلبه بيت الحق جل وعلا كما أخبر سبحانه على التنزيه ونفى التشبيه فليعمد إليه، وليدخل مطبخ الصفاء[1]، ويميط عنه كل أذى من كِبْر وعُجْب وما ذكرناه من الأوصاف المذمومة شرعاً وعادةً، فإذا أماط عنه هـــذه الأوصاف وغسله بماء الإخلاص والمراقبة وفرشه بالذل والافتقار وأســـرج فيـــه سرج الأخلاق الإلهية السماوية حتى غمسه النور وأشرقت زواياه وأقام على بابـــه بوابين: التوحيد والأدب ينتظران نزول الرحمن كما وعد بقلب، هذه صفته، فنفـــذ الأمر المطاع لحضرة القلب عند ذلك ألا يبقى أمير إلا يبرز فى صدر قومه بحلته وتاجه متقلدا بسيفه بهاءً للمملكة وتعظيما لورود الملك الحق وتجليه فأخـــذ أجنـــاد الخواطر مصافهم بالتحميد والتقديس والتمجيد، وتقدم الأمير البصرى فـــى صـــدر قومه وقعد على مرتبته وقد تقلد سيف الاعتبار وعليه حلية الحياء وتاج المراقبـــة، وتقدم الأمير السمعى فى صدر قومه وقعد على مرتبته وقد تقلد ســـيف المبـــادرة للإذن العالى عليه حلة الخضوع وتاج المحافظة، وتقدم الأمير المدرك للروائح فى صدر قومه وقعد على مرتبته وقد تقلد سيف الخضوع وعليه حلـــة الذلـــة وتـــاج الخضوع، وتقدم الأمير الذائق فى صدر قومه وقعد على مرتبته وقد تقلـــد ســـيف

(١) أى: حيث تنطبخ صفاته المرضية بعد التخلى عن الصفات الرديّة، فهى صناعة فيها ما هو قوتٌ للقلوب، كالذى يتقوت به الناس، ومنها ما هو إصلاح لهذا القوت كالملح يُصَـــلح بـــه الطعام، ومنها ما هو دواء للقلوب كما يُتَداوى بالأدوية من الأدواء.

الصدق وعليه حلة التلاوة وتاج الذكر، وتقدم الأمير اللامس فى صدر قومه وقعد فى مرتبته وقد تقلد سيف العفاف وعليه حلة الكفاف وتاج القناعة والزهد، فلما أخذ أمراء الحس مراتبهم واعتدلوا ورجع الأمراء الروحانيون من ترتيبهم إياهم إلى مراتبهم، فتقدم الروح الحيوانى فى صدر قومه متلقدا سيف الاستقامة وعليه حلة الإحصاء وتاج التنزل والألطاف، وتقدم الروح الخيالى فى صدر قومه متقلدا سيف الأمانة وعليه حلة الاحتراس وتاج الانتظار، وتقدم الروح العقلى فى صدر قومه متقلدا سيف الوجوب وعليه حلة الجواز وتاج الإحالة، وتقدم الروح الفكرى فى صدر قومه متقلدا سيف النقد وعليه حلة التمييز وتاج الترجيح وتقدم الروح القدسى فى صدر قومه وعليه حلة الولاية وتاج النبوة متقلدا بسيف الرسالة على كرسى التنزيه بيده قضيب الأدب، فلما أخذ الأمراء الروحانيون أيضا مراتبهم صعد الكلم الطيب على براق العمل الصالح يرفعه إلى المستوى الأعلى فلما وصل نزل عن متنه وخر ساجدا عند باب الحضرة الإلهية، فخرج إليه السر ففتح له الباب ودخل وبايع وحمد فقال له الحق: فيم جئت؟ فقال: إن قلب فلان الذى أمرت الكرام البررة بتطهيره فقد طهر بما نفذ به الأمر المطاع على لسان الرسول الكريم محمد ﷺ، وقد تقدس المحل الزكى بالعبودية الاختصاصية، وأخذ العبيد المدبرون غمرتهم ملكة مراتبهم مسبحين وممجدين لا يخافون لومة لائم، قد غمرتهم المنن الإلهية والنعم القدسية، فإذا النداء: انزل وارجع إلى ذلك المحل الطاهر مبشرا بنزولى إليه، واحمل معك هدية الاحترام والاحتشام، فجاء ربك فى ظلل من الغمام، والملك صفاً صفاً، والنبيون فوجاً فوجاً، بأيديهم أطباق الأسرار وموائد العلوم، فيها صحن الأنوار، فأنزلوها فى ذلك المحل الشريف المقدس، وقد تجلى الحق فى سماء: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]، وبسط يدى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠]، واستدعى أمراء الخليفة المذكورين

واحدا واحدا يتناولون من تلك الموائد والأطباق على قدر مـــراتبهم ومـــا تعطيـــه حقائقهم، فلما طعموا تناولوا كئوس المحبة، فلما شربوا أفرغ عليهم جل جلاله حلل البهاء الافتقارى، ثم أمر برفع حجب البعد، فتجلى الرب وفنى العبد وخروا سجدا، فناداهم: أوليائى، ارفعوا رءوسكم، هذا منزل تنعيم، عبـــادى انعمـــوا بمشـــاهدتى، عبادى وهبتكم الصفات فقدستموها، وأحملتكم أمانتى فأديتموهـــا، ونصـــبت لكـــم الصراط فلم تعرجوا عنه، وحددت لكم الحدود فلم تتعدوها، فقالوا: ربنا بك قدسنا، وبك حملنا وأدَّينا، وبك نهجنا، وبك وُفِّقنا، ولولا تأييدك وعنايتك ما كنا، فنـــاداهم: عبادى: سقيتكم شراب اللذة بالمعاملات، فأنتم تسبحون الليل والنهار لا تفترون، هذا بشراى لكم فى الدنيا كما أخبرتكم فى كتابى العزيـــز: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [يونس: ٦٤]. فانظر يا بنى ــ وفقك الله ما أشـــرف هـــذا المقام! وما أوصلك إليه إلا اتباع محمد ﷺ، فإن الله ما ضـــمن البشـــرى إلا لمـــن وصفهم بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٣]، وقال: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ [الزمـــر: ١٨]، فماذا عسى أن أصف لك أو يوصف، أو تجد ما يهبه الله تعالى لك من الأسرار فى هذا المنزل جل عن الإحصاء والإحاطة.

كـــان لـــى قلـــب فلمـــا أن رحـــل * بقـــى الجســـم محـــلا للعلـــل

كـــان بـــدرا طالعـــا إذا أتـــى * مغـــرب التوحيـــد فـــى ثـــم أفـــل

زاده شـــوقا إلـــى محبوبـــه * صاحب الصعقة فـــى يـــوم الجبـــل

لم يزل يشكو الجـــوى مـــع النـــوى * ليلـــة الاثنـــين حتـــى اتصـــل

فدنا مـــن حضـــرة مـــن لـــم تـــزل * تهـــب الأرواح أســـرار الأزل

قـــرع الأبـــواب لمـــا أن دنـــا * قيل من أنـت تكـن قـال الخجـل

قيـــل أهـــلا ســـعةً ومرحبـــا * فـــتح البـــاب فلمـــا أن دخـــل

خـــر فـــى حضـــرته ســـاجدا * وانمحى رسـم البقـاء واضـمحل

وشـــكا العهـــد فجـــاءه النِّـــدا * يـــا حبيبـــى زال ذا وقـــت العمـــل

رأســك ارفـــع إن هـــذى حضـــرتى * وأنـــا الحـــق فـــلا تبغـــى بـــدل

رأسك ارفـــع ثـــم ســـل مـــا تبتغـــى * قلـــت مـــولاى حلـــول للأجـــل

طال سجنى قال مـــت بـــى واعلمـــن * أن فـــى الســـجن لتبليـــغ الأمـــل

يـــا فـــؤادى قـــد توصـــلت لـــه * قـــل لـــه قـــول حبيـــب قـــد أدل

لـــولا عرشـــى لـــم يصـــح الاســـتوا * وبنـــورى صـــح دربـــى للمثـــل

منزل كيفية السماع من الحق: وهو من مقامات السالكين، وهو منزل عـالٍ عظيم المنفعة، وهو من منازل القلب، وله تعلق بحضرة السمع، ولكن هذا موضعه وهو مزلة قدمٍ لمن لا تحصيل له ولا شيخ يرشده، وكثير من أهل زماننا زلت بـه قدم الغرور فى مهواةٍ من التلف عند دخولهم فى هذا المقام، وتبيينه أن فـى هـذا المقام الشريف مقاما يخرج فيه المريد على أن يسمع من الحق ولا يرى أن أحدا فى الوجود يخاطبه غير الله تعالى، فهو ممتثل لكل ما يأمره به، وممن تحقق فى هـذا المقام: خير النساج حين خرج بهذا الخاطر لنيل هذا المقام وتحصيله فـابتلى مـن حينه بأن لقيه إنسان فقال له: "أنت عبدى واسمك خير"، فسمع ذلـك مـن الحـق واستعمله الرجل فى النسج أعواما، ثم بعد ذلك قال له: "ما أنت عبدى ولا اسـمك خير"، وأنا ــ إن شاء الله تعالى ــ أبين لك كيفية التحقق فى هذا المقام حتى لا تزلَّ قدمك بيُمْن[1] الله عز وجل، فاعلم يا بنى أن هذا المقام إذا وفقك الله لتحصيله فـإن

(١) أى: ببركة الله تعالى، وفى المطبوعة: (بِمَنْ).

كنت معك كفاك الله مكره، وإن لم أكن معك فقد يسـر الله تعـالى علـى لسـانى تخليصك من مكر هذا المنزل، وذلك أن الإنسان يريد ألا يسمع شيئا من نفسه أصلا ولا مما يقوم بخاطره لكون ذلك الشيء من هواه وهو غير متحقق فـى الطريـق، فيكون أبدا أسيرا لهواه وإن سعى فى خير ألا ترى ذا النون كيف قال: "كل فعل لا يكون عن أثر فهو هوى نفس"؟ نعم، ولو حملت الجبال الراسـيات علـى أكتافـك وارتكبتَ من الشدائد ما لم يركب أحد فلست هناك لأنك ما تصرفت فى ذلك كله إلا بإرادتك وعن هوى نفسك وليس ذلك على النفس بشديد، وإنما الذى يعظـم عليهـا ويعسر جدا انقيادها لغيرها لكونها جبلت على الرئاسة وطلب التقدم، فإذا تُقُدِّمَ عليها وصارت مرءوسةً تحت قهر غيرها وسلطانه جارية فى أمورها على إرادته، واقفة عند حده لها من أمره ونهيه صعب عليها ذلك واشتد وإن كان يسيرا، وهذا المنزل الذى نحن بصدده هو للنفس موت عن إرادتها، ومن شرطه وغيره من المنازل ألا يفعله ولا يدخل فيه من ليس له شيخ، فمن كان له شيخ فهو طبيبه لما فيه من العلل القائمة بسُلَّاكه، وقد تحقق فى هذا المقام الشيخان الجليلان أبو عبد الله الغزال الذى كان بالمرية، وأبو مدين الذى كان ببجاية ــ رحمهما الله ــ واعلـم يـا بنـى أن الدخول فى هذا المقام وفى أى مقام كان إنما ذلك عقد يربطه الإنسان مع الله تعالى ويلزمه نفسه، فالزم الوفاء به ولا تنقضه فتكون من الخاسـرين ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٧]، وحال الداخلين فى هذا المقـام علـى نوعين: منهم من يبتلى فيه، ومنهم من لا يبتلى فيه، فمن لم يبتلَ فيه فقد عصـمه حاله واعتنى به ويتخيل من ذوقه أن حقيقة المقام تعطى ذلك، وأنه لا يبتلى فيه أحد أصلا، فينكر الابتلاء فيه، وهذا تصور منه، ولكنه صادق فإنه صوفى، فلا يـدعى إلا ما ذاقه وشاهده فقط، ولا ينطق إلا بحاله، وبهذا يجيبك إن سألته عن إنكـاره، فيقال له: وجودك صحيح، وحملك عليه بأنه كذلك ولابد خطأ فاجتنبه وارجع عنه،

وقف عند ذوقك واسكت عما خرج عن علمك، وسلِّم كما سُلِّم لك، والذين يبتليهم الله تعالى على قسمين: منهم من يُبْتَلَى اعتناءً وتتميماً وبراً وارتقاءً وزيادة علمٍ، ومنهم مَنْ يُبْتَلَى ليُرَدَّ أسفل سافلين، وصورة الابتلاء فى هذا المقام أن يتعرض لـــه مـــثلا جارية تأمره بأن يواقعها أو تأمره بشرب كأس من خمر أو بقتل إنسان، أو بأمرٍ ما محرم عليه شرعاً، فإن فعل شيئا من هذا فقد عصى وغوى وتـــردى فـــى أســـفل سافلين، وإن أبى عن فعل ذلك فقد ناقض عهده مع الله فهو بين نارين ونحن — إن شاء الله — نبين فى هذا المقام كيف يبقى على عهده مع الله تعالى الذى عقد معـــه ولا يركب محرما ولا يأتيه فيسلم له المقام ولا يتبعض له حتى يسمع من الحق فى شيء ولا يسمع فى شيء آخر، وهذا لا يعطيه المنزل بل يسمع منه فى كل شـــيء فإن للقائل هنا أن يقول: إنما يخرج هذا الطالب ويعقد نيته على امتثال ما يخاطبـــه به الحق ما لم يؤمر فى ذلك الخطاب بارتكاب محرم، فيقال له: ليس كما تقول إنما يعقد نيته على السماع من الحق مطلقا من غير تقييد، فإن قال: فكيف يصح هـــذا؟ فنقول: إن المريد إذا أراد أن يبقى على عهده فى هذا المقام ولا يرتكب محرما إن ابتلاه الله تعالى به فيقول للقائل له: اشرب هذا الخمر وازن بهذه الجارية وإن أنت لم تفعل فقد نكثت عهدك مع الله، فيقول له: هيهات أنا متحقق بمقامى فى ســـماعى من الحق من خارجٍ لا من نفسى، وذلك أن الله سبحانه قد خاطبنى وكلمنـــى علـــى لسان نبيه محمد ﷺ ألا أفعل ما ذكرت وقلت عند سماعى هذا الخطـــاب النبـــوى: سمعت وأطعت وعاهدت الله على هذا فأنا مازلت فى سماعى من الحق متحققا فى مقامى، فإنه القائل: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ ﴾ [النجم: ٣] ولكنى لمـــا تحققـــت بهذا المقام فى هذا السماع وادعيته أراد الحق سبحانه أن يبتلينى ليقف من ذلك على نفسى بما فيها فوجدنى والحمد لله قائما بذلك العهد الذى كنت قد عاهدته عليه عندما سمعته منه، وهذا الخطاب الذى جاء باشرب الخمر وافعل ما حرمت عليـــك فعلـــه

إنما سمعته من الحق سماع ابتلاء منه لى هل أقف عند حده أم لا؟ الذى أسـمعنيه على لسان المعصـــوم قـــال تعـــالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد: ٣١]، وقـــال: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ ﴾ [الملك: ٢]، فلا أبرح من هذا المقام ولا أخرج عن عهدى فيهما معـــا أعنـــى فـــى الخطابين المتناقضين وجمعت بينهما والحمد لله ونظرت خطاب العصـــمة مـــن أم الكتاب الذى عنده[1]، ونظرت الخطاب الابتلائى من لوح المحو والإثبات، وكيـــف وقد قال: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ ﴾ [ق: ٢٩]، فلما قال لى هـــذا علمـــت أن كـــل خطاب مخالف لما قاله لى على لسان المعصوم إنما هو خطاب ابتلاء، ولولا ما أنى فى مقام السماع من الحق لقلت للشخص الذى خوطبت على لسانه بهذا المنكر إنـــه شيطان فى هذه المقالة، لكن حقيقة هذا المقام تمنع من هذا، فقد صح لى والحمد لله فى الخطابين السماع من الحق والوفاء بالعهدين، وإنما يسمع الصوفى فى هذا المقام ويمتثل ما سمع إنما ذلك فى الأمور المباحات كلها فيكون فى ذلك خارجا عن هوى نفسه بامتثاله لذلك عن أمر غيره مثل أن يقول له رجل: "احفر لى بئرا واحفظ لى بستانى" "وخذ هذه الرسالة وسر بها إلى فلان إلى مدينته كذا"، هذا كله مباح له فعله وتركه شرعا فيلزمه هذا المقام أن يفعله على هذا الحد يسمع من الحق فيفعـــل، ألا ترى خير النساج كيف قال له: "أنت عبدى، واسمك خير"، فاستعمله فـــى النســـج أعواما ثم سرحه، وكان ذلك مباحا لخير، ولو أراد أن يبيعه لم يتركه خير لذلك فإنه يقع فى محرم وهو بيع الحر الذى لم يجوّز الشرع بيعه ولكن استعمله ثم أطلقه بعد ذلك، فهذا هو التخلص العلمى وهو أسنى من التخلص الحالى وأكمل، فتحقق هـــذا

---

(١) قال تعالى: ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾، فما كان من تحريم شرب الخمر والزنا ثابت فى أم الكتاب أنه حرام فى شريعة الإسلام لا يعتريه محو وتغييـــر، هـــذا معنى كلامه والله أعلم.

الفصل فإنه من منازل القلب العلية إذا لم تر فيه غير الله مناجيا، والحمــد لله رب العالمين.

منزل الهبات والعطايا، منزل الميراث الأنبيائى خاصة: اعلم يا بنى أن القلب إذا تخلص وصفا وارتقى من المنازل ما ذكرناه ومن التجليات ما تقدم، يوقفه الحق تعالى فى غيبةٍ ويجذبه إليه فيها جذباً كليا يوقفه فى تلك الغيبة مائة ألــف موقــف وثلاثة وعشرين ألف موقف، وستمائة وستة وعشرين موقفا مختلفة يعطيه فى كــل موقف من الأسرار ما قدره الله تعالى له فى شربه، وهذه الأســرار مــن خــزائن الغيرة، فهى مكتمة عند القوم لا سبيل بأن يبوح بها أصلا ولا يعلمها أحد ســواهم، وقد أخذ عليهم فيها ميثاق عظيم ولكنه عندما تحصل له هذه الأسرار كما ذكرت لك يتحقق بها فى باطنه، والتحقق فى الباطن نظير التخلق فى الظاهر، فعمل البــاطن تحقق، وعمل الظاهر تخلق، والتحقق تحققان: تحقق كشف، يكون عنــه التخلــق، وتحقق يحصل عن التخلق، ولكن ذلك التحقق الثانى إذا حققته وجدته ينــتج تخلقــا آخر لتحقق، فكل تحقق مشترك بين تخلقين: بين تخلق ينتجه وبين تخلــق يكــون التحقق نتيجة عنه، وهكذا هو السلوك حتى تصل إلى تحقق ليس وراءه تخلق، فذلك التحقق هو الذاتى.

منزلٌ: إن لكذا سرّا لو ظهر لبطل كذا: وهو السر الذى ظهر لسهل بن عبــد الله التسترى ــ رحمه الله ــ واعلم يا بنى أن القلب إذا تحقق بالأسرار المكتمة التى حصلت فى منزل الإنباء أدخله الله سبحانه وتعالى من الحضرات الإلهية ســتمائة حضرة وخمسا وعشرين حضرة، وأما السادسة والعشرون فهى له حضرة العــزة خاصة، ونحن لنا حضرة العزة وهى لنا السادسة والعشرون، غير أن هذه الحضرة العزية التى لنا متفاضلة بيننا وما فاز بها علــى الكمــال إلا الصــديق الأكبــر ــ رضوان الله عليه ــ وليس له[1] سابعة وعشرون كما ليس لنا وعدمها كمــال فــى

---

(١) فى المخطوط: (لنا)، والصحيح المثبت.

حقه ﷺ ووجودها كمال فى حقنا كما أن النبى ﷺ فى هذه الحضرة — أعنى المقام — ستمائة حضرة وأربع وعشرون حضرة ينقص عن الصديق بدرجة، وهو الكمال فى حقه، والخامسة والعشرون له حضرة القرب الكلى، وغيره من الأنبياء ليس له مثله فى هذا المقام أعطاه الله تعالى فى كل حضرة سرا لا تجده فى حضرة أخرى بعضها أرفع من بعض على التفاضل الذى بين الحضرات، غير أن شـرط هـذه الأسرار المتقدمة إن شاء باح بها لأهله وإن شاء ستر، والشرط الثانى يكتم ولا يُبْدِ كالأسرار الإنبائية ولا سبيل إلى إظهارها البتة؛ فإنها إن ظهرت لم تحتملها العقول، فالظاهرى المحقق يكفر بها، والذى فيه رخصة فى دينه يضـل بهـا إن سـمعها لقصوره عن إدراكها وقلة فهمه فى تأويلها، وهى حق فى نفسها والعقل يجوّزهـا، وما بقى الوقوف إلا فى دعوى المدعى حتى لو بثها رسول الله ﷺ لتلقيناها بالقبول وذلك لثبوت عصمته عندنا، فلو ثبتت ولاية هذا المدعى لها عند السامعين لها منـه لصدقوه لكونه ولياً من أولياء الله تعالى، فلنحسن الظن به ونتخيـل فيـه الولايـة ونخرج أسراره ومراميه على السداد، وهذا كله ممـا أعطتنـا حالـة الاسـتقامة كالأسرار التى صدرت عن رابعة العدوية والجنيد وأبى يزيد، وفى زماننـا كـأبى العباس بن العريف وأبى مدين وأبى عبد الله المعروف بـالغزال، وأمـا إن كـان الناطق بها غير محترم للشرع صفعنا قفاه وضربنا وجهه بدعواه، عصمنا الله مـن الآفات وفضلنا بالعلم.

منزل المعرفة: اعلم يا بنى أن قلب العبد المحقق الصوفى إذا صفا وتحقـق صار كعبةً لجميع الأسرار الإلهية تحج إليه من كل حضرة وموقف ويرد عليه فى كل جمعة مادام فى ذلك المقام ستمائة ألف سر ملكوتى، واحد منها إلهى وخمسـة أسرار ربانية ليس لها فى حضرة الكون مدخل، وما بقى فأسرار الكـون، ولكنهـا متعلقة بهذه الأسرار، فأول ما يرد عليه السر الإلهى ثم الخمسة ثم ما بقـى فوجـا فوجا، هكذا فى كل جمعة، فافهم ما رمزنا لك وحُلّ قفله تسعد.

منزلة[١] الأيام المقدرة: اعلم يا بنى أن لكل يوم نبيا من الأنبياء ينزل لقلب المشاهد المحقق منه سر يلتذ به فى أيامه يعلم بذلك أمراً ما من الأمور التى يجب معرفتها، ولا تحصل إلا لأصحاب القلوب، فيوم الأحد يُوجّه له إدريس عليه السلام فيه سراً يكشف به على علم علل الأشياء قبل وجود معلولاتها، ويوم الاثنين يوجه له فيه آدم عليه السلام سراً يعلم به ما السبب الذى لأجله تنقص المقامات وتزيد فى حق السالكين ويعلم به نزول الحق كشفاً، ويوم الثلاثاء يوجه له فيه هارون عليه السلام ويحيى سراً يعلم به ما يضر وينفع من المواد الطارئة عليه من عالم الغيب، ويوم الأربعاء يوجه له فيه عيسى عليه السلام سراً يعلم به تتميم المقامات وكيفية الختم ومن يكون، ويوم الخميس يوجه له فيه موسى عليه السلام سراً يعلم به المؤاخاة الدينية وأسرار المناجاة، ويوم الجمعة يوجه له فيه يوسف عليه السلام سراً يعلم به أسرار الترقى فى المقامات والحكم وأين توضع، ويوم السبت يوجه له فيه إبراهيم عليه السلام سراً يعلم به مداراة الأعداء كيف تكون وفى أى وقت تجب محاربتهم، وهذه حضرة الأبدال، فافهم ترشد، واقنع بما عندك، وتأمل هذه الإشارات تسعد، وقد يوجهون له غير هذه الأسرار فاقتصرنا على هذه دون غيرها؛ إذ هى الأُوَل التى ترد عليه.

منزل الشهور المقدرة: اعلم يا بنى أن للقلب منازل عند الحق لا ينزلها القلب إلا فى وقتٍ ما إما من جهة الزمان وإما من جهة معناه[٢]، فإن كان من جهة معناه حصل له ذلك فى أيام يسيرة، فإن وافقت المعانى الأزمان فيحصل بمروره

---

(١) هكذا بالمخطوط بالتاء المعقودة فى آخره خلافا لما سبق.

(٢) قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾. الآية، ففى الآية إشارة من وراء النص لا تعكر على ظاهر معناه إن لم تكن تلك الإشارة محتملة لغةً داخلة ضمن المعنى، فقد يوقّت الله الإنسان فى يوم من الأيام أو شهر من الشهور ما لم يوقت لغيره من الأرزاق المعنوية، "إن لله فى أيام دهره لنفحات ألا فتعرضوا لها" الحديث ، فضلا عن الأرزاق المادية، والله أعلم.

شيئا بعد شيء حتى ينقضى العام، وقد يزيد على العام فيكون فى أعوام على حسب مجاهدته وطاقته وصفائه فى جِبِلَّته، فاعلم أن المحرم وهو للسنة محل الابتداء فـــى معناه يحرم على المريد ما كان فيه من الاعتداء، وفى صفر يخلى أرضه من عشب المألوفات وشجر المخالفات ويقلبها بالمجاهدات، وفى ربيع الأول ينبت فى أرضـــه ربيع المعاملات، وفى ربيع الثانى ينبت فيه ربيع الملاحظات وهـــى أول مبـــادئ التجليات ويعبر عنها أصحابنا بالذوق، ثم فى جمادى الأولى جموده على ما يـــرد عليه من الأسرار، وفى الثانى جموده على ما يرد عليه من الأنوار، وفـــى رجـــب تعظيم الواردات من حيث الوهب لا من حيث ذاتها وهو مقام الفردانية، فلا يكون له فيه غيْرٌ، فيلزمه أن يطرده أو يقاتله، وفى شعبان تتشعب تلك الواردات فى البرازخ لتعلم مقاماتها وأهلها، فهو موضع التفضيل، وفى رمضان خرق العـــادات لثبـــوت الآيات إما للنبوة أو الولاية على حسب زمانه، وأما فى زماننا اليوم فلثبوت الولاية خاصة؛ إذ الرسالة والنبوة قد انقطعت، وفى شوال رفع الحجب له عند الوصول عن أسرار العالم، فيعرف كيف يهديهم ويدعوهم إلى الله تعالى، وفى ذى القعدة قعـــوده للإرشاد والهداية، وفى ذى الحجة حجه بهم من الأفعال إلى الصفات، ومن الصفات إلى الذات بما يجب من التخلق والتحقق، وهنالك تبلغ الغايات وتتحـــد الشـــاهدات والغائبات وتجتمع الهمم والإرادات ومن هنالك ابتداء نشأة أخرى فى الحضــــرات الإلهية، والله الموفق.

اعلم يا بنى ــ ذكرك الله فيمن عنده فذكرته ــ أن القلب إذا تعمَّر بالإخلاص والتسليم لأمر الله تعالى والنظر فى مجارى أحكام الله تعالى والتفويض له ســـبحانه فى كل حالة ترد منه عليه فهو عند ذلك ذاكر وإن كان بلسانه صامتا، لا بأن يقول: "الله الله" فقط، نعم، لابد من ذكر اللسان على حسب أنواع الـــذكر فـــى أول بدايـــة الدخول إلى نيل هذا المقام، فمنهم من يدخل بذكر "سهل بن عبد الله التسترى" وهو: "الله معى، الله ناظر إلى الله شاهد على"، وفائدة هذا الذكر أن مَـــنْ كـــان الله معـــه

وناظرا إليه وشاهدا عليه كيف يعصيه؟ ومنهم من يدخله باسم الذات خاصة، وهـو مذهب الإمام أبى حامد وجماعة من شيوخى، ولقيتهم على ذلك وأمرونى به، فـلا يزال على هذه الحالة فى بدء مقامات الذكر حتى يتعمر الباطن كله ولا يبقى فيـه جوهر فرد إلا ينطق بذلك الذكر بعينه حتى يغلب عليه حال الذكر فلا يبصر فـى الوجود شيئا يقع عليه نظره إلا معلنا بما هو عليه من الذكر، ولو كان فـى ذلـك الوقت ألف شخص بألف ذكر مختلف وغلب عليهم الحال لأبصر كل واحـد مـن العالم ناطقا بذلك الذكر الذى هو عليه فلا يزال ذاكرا من أول مقامات ذلك السـفر حتى ينتهى إلى المقام السابع، فإذا انتهى إلى المقام السابع وهو نهاية الذاكر ليس له وراء ذلك مرمى أصلا، فاعلم أن لله تعالى أسرارا مخزونة عنده بأيدى سفرة كرام بررة يسمون "الشهداء"، فإذا حصل العبد فى مبدأ المقام السابع الذى ذكرنـاه مـن الذكر وجه إليه الحق سبحانه وتعالى تحفة منه سبعين ألف سر مـا بـين ظـاهرة وباطنة فى كل يوم، ولكن بواسطة تلك الملائكة شهداء الله على قلب العبد، فعنـدما يمرون على قلبه يسمع حينئذ تسبيح الملأ الأعلى فى نفسه يدخل شطر من هـؤلاء الملائكة على باب عالم الشهادة، ويخل الشطر الآخر على باب عالم الشهادة بأسرار الباطن ويخرج على باب عالم الملكوت ثم لا يعودون أبدا بل يأتى الله تعالى بشهود أخر بأسرار أخر على ذلك المَهْيع[1] ليُرِىَ الله تعالى هذا القلب من آياتـه وعظـيم ملكوته ما يزيد به تعظيما وبنفسه معرفةً، فإن ركن إليهم هذا القلب وتـأنّس بهـم واتخذهم جلساء بقوا معه وبقى معهم، وهم الشهود عليه بالوقوف معهم إن طمع فى نيل مقام أعلى من ذلك، فيقال له: لِمَ لا ترفع همتك إلى ذلك وقد تحققت أن بـالهمم الوصول ولكنك حجبك التنزه فى عالم الملكوت؟ فإن أنكر ــ ولابد له أن ينكـر ــ شهدت عليه تلك الملائكة النازلة له بتلك الأسرار، وكذلك تشهد عليه أسراره بتعشقه لها وفنائه فيها، فشهادة الملائكة الأسرار نطقية، وشهادة الأسرار حالية، فهو مقهور

---

(١) المهيع: الطريق.

بالحُجة، ولله الحجة البالغة على كل أحد، فتأمل هذا الفصل يا مسكين وانظر أيــن قلبك من هذه القلوب؟ وأين مشهدك من هذه المشاهد ومشربك من هذه المشــارب؟ لقد أحياها وأحيا بها ــ جعلنا الله وإياكم ممن طاب مورده وتعالى مشهده.

منزل الفانى عن الذكر بالمذكور: اعلم يا بنى ــ جردك الله من كــل كــون وتكنفك بجناح الغيرة والصون أن القلب الذى تمر عليه هــذه الأســرار الشــهداء، ويعاين من الملكوت هذا القدر العظيم إذا عاينها ويراها مسخرة تحت قهر مسخرِها كنفسه فلا يعرج عليها من جهة الوقوف معها، ولكن يجعلها كالمعرفة لمــا الهمــة متعلقة به مرتقية إليه، فإذا استمر عليه هذا وطلبته الملائكة معهــا فلــم تجــده إلا مشغولا بأعلى من ذلك وعرف الحق صدق ذلك الطلب والتوجه اختطفه عن كــل كون خارج عنه ثم أوقفه مع أكوانه، فذلك حظه ويكون برزخىَّ الموقف، فإن لــم يقف ونظرها كما نظر الآخرين اختطف عن أكوان نفسه وعن ملاحظة كل كــون أصلا، ولهذا المقام أشار صاحب المواقف، والقول حين قال: "أوقفنى الحــق فــى موقف وراء المواقف وقال لى: فى كل جزء من الكون حجاب"، فإذا حصل القلــب واختطف بالكلية وفنى بالمذكور عن الذكر ارتاحت الأسرار لطلبه واشــتاق المــلأ الأعلى لتسبيحه، فضرب بينه وبينهم سبعون ألف حجاب إلهية يقف دونها المشتاقون إليه، فإن وقف هنا كان هذا مقاما لا يبرح منه.

منزل الفانى بالمذكور عن المذكور: فإن فنى عن المذكور بالمذكور ضــرب بينه وبين صاحب المقام الأول سبعمائة ألف حجاب، وأما ما يحصل له مــن هــذه المقامات فلا يمكن أن يوصف ولا أن يُحَدَّ؛ إذ ليس ثمة بما يُشبَّه ولا بما يُقاس.

منزل الفانى عن المذكور للمذكور لا بالمذكور: فإن فنــى عــن المــذكور للمذكور لا بالمذكور وهو أعلى الفناء وهنا المنتهى وليس وراء هذا مرمــىً لــرامٍ ولكن يقع فيه التفاضل بين الرسل فى نمطهم والأنبياء فى نمطهم والأوليــاء فــى نمطهم، وكلٌ له شِرْبٌ معلوم يناله الأعلى ما نال الدنىُّ الأدنى وزيادة، وهكذا فــى

كل منزل تقدم لهم منه الحظ الأوفر صلى الله عليهم، فإذا حصل فى هـذا المقـام القلب الطاهر الفانى عن الأول والآخر ضرب الحق بينه وبين أهل المقام الثـانى سبعة آلاف حجاب، وهذه الحجب منها نَيِّر وغير نَيِّر، فالنَّيِّرات من هذه الحجب هى حجب الأنوار، وغير النير حجب الأسرار، بخلاف الحجـب النازلـة عـن هـذه المقامات؛ فإن النَّيِّر منها حجاب ملكوته الخاص به، وغير النير حجاب الأغيـار لا الأسرار، فهذا هو الفرقان بينهما، وهذه الأسرار سترها أهل طريقتنا، وسترتها كما ستروها، وإنما ذكرت هذا القدر منها تنبيهاً للقلب المتعطش أن يعرف ثَمَّ مطويـات غاب عنها، فعندما يقف عليها تحمله الهمة على طلبها، فيأخذ فى الرحلـة إليهـا، فربما يصل إليها ـــ إن شاء الله تعالى ـــ فنجده فى ميزانى يوم القيامـة إذ كنـت المرشد له فى نيل هذه المقامات، فنبهت عليها بهذا القدر وسترت حقائقها وما فـى طيِّ كل مقام منها، وسِرْ كما فعلت مشيختنا ـــ رضوان الله عليهم ـــ تأسياً بهم، ولو لم يكن على طريق التأسى فإن المقام يعطى ذلك بنفسه، والحمد لله رب العالمين.

يا بنى ـــ وفقك الله ـــ يكفيك من القلب هذا القدر، فاسعَ فى إزالة ما نَصَصْتُه لك على ما حدَّه لك الشرع والاتصاف بتلك الأوصاف المحمودة حتى يحصل هـذا المقام، وأضربنا لك عن الكلام فى أسرار حجب القلب من الغين والران والعَمَـى والصدأ والكِنِّ والقُفْل وغير ذلك ومراتبها وأسباب الزفرات والوجبات وغيره ذلك، وهذه كلها إذا أردت أن تقف عليها فطالع كتابنا الموسوم بـ "مناهج الارتقــاء" أو "عقلة المستوفز"، والله يحملنا وإياك على منهج الاستقامة؛ فإنها أكبر كرامة، والحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وأعقبنا بعد السُّهَاد لذيذ الوسن، ولم يحجبنا عـن آياتـه الطيبة المحتد بخضراء الدِّمَن، إنه الجواد المنعم ذو الآلاء والمنن، وصلى الله على سيدنا محمد، من أرشد إليها فى السر والعلن والحمد لله وحده فى كل وقت وزمن.

المطلع الثالث الخلقى:الفلك الثامن الإيمانى: هلال محاق، طلع بنفس الإمـــام المدبر فى عالم الملكوت والجبروت، فهنا ليت شعرى هل ســـمع الســـيد الفاضـــل الحكيم القائل:

نحـــن حـــزب الله مـــن يلحقنـــا * جَـــدُّنا جَـــدٌّ وجَـــدٌّ هزلنـــا
أشـــهد الأســـرارَ مِـــنْ أحبابـــه * مَـــنْ يشـــاء ولهـــا أشـــهدنا
فمتـــى أدرككـــم فينـــا عمـــى * ســـائلوا عنـــا الـــذى يعرفنـــا
ذاكـــم الله عظـــيم جـــده * يمـــنح الأســـرار مـــن شـــاء بنـــا
طـــال مـــا كنـــا رجـــالا هتفـــت * بهـــم الـــورق بـــدوحات مِنًـــى
فرمينـــا جمـــرة الكـــون بهـــا * فرمينـــا بمرشـــات القنـــا
وازدلفنـــا زلفـــة الجمـــع فهـــل * أســـمع القـــوم مناجـــاة المنـــى
يـــا عبـــادى هـــل تـــرون مـــا أرى * يـــا عبـــادى هـــل بنـــا أنـــتم أنـــا
خـــرس القـــوم وقـــالوا ربنـــا * أنـــت مولانـــا ونحـــن القرنـــا
يـــا عبـــاد الله ســـمعا إننـــى * روح مـــولاكم أمـــين الأمنـــا
أنا مـــاحى الكـــون مـــن أســـراركم * أنـــا ســـر الكنـــز مـــا الكنـــز أنـــا
أنـــا جبريـــل وهـــذى حكمتـــى * فاقرءوهـــا تكشـــفوا مـــا كَمُنَـــا
جئـــت بالتوحيـــد كـــى أرشـــدكم * فـــاقتلوا أنفســـكم مـــن أجلنـــا
وخـــذوا عنـــى فـــيكم عجبـــا * تجـــدوا الســـر لديـــه علنـــا
ميـــزوا الأحـــوال فـــى أنفســـكمْ * لا تكونـــوا كـــدعىٍّ فُتِنَـــا
إن صـــحو العبـــد ســـكران بـــدا * عـــالم الأمـــر لـــه فافتننـــا
مثـــل أن المحـــو دعـــوى إن بـــدت * فـــى محيـــاه علامـــات الـــونى

قـل إلـى المثبـت فـى أحوالـه * طبـت بـالحق فكنـت المأمنـا
ليسـت الهيبـة خوفـا إنهـا * أدب يعرفـه العـذب الجنـى
حالهـا الإطـراق مـن غيـر البكـا * ووجود الجهـد مـن غيـر عنـا
وحليـف الإنـس طلـق وجهـه * إن تـدلّى لحبيـب ودنـا
يرشـد الخلـق ويبـدى رسـمه * شـاكرا فاسـتمعوا إن أذّنـا
صـاحب القـبض غريـب مفـرد * إن رأى البسـط لديـه حزنـا
وخليـل البسـط يخفـى غيـرةً * غيـر باريـه ويبـدى المِنَنـا
لا يـراه الـدهر إلا ضـاحكا * يبصـر الحسـن بـه قـد قُرِنـا
صـاحب الهمـة فـى إسـرائه * سـائرا قـد ذب عنـه الوسـنا
صـاحب التوحيـد أعمـى أخـرس * لا أنـا قـال ولا أيضـا أنـا
يا عبيـد الـنفس مـا هـذا العمـى * لـم تزالـوا تعبـدون الوثنـا
سـقتم الظـاهر مـن أقـوالكم * ما لنـا منكم سـوى مـا بطنـا
فـأقيتوا العلم مـن أحـوالكم * علـم فـتح واشـربوه لبنـا
واخرجـوا بـالموت عـن أنفسـكم * تبصـروا الحـق بكـم مقترنـا
وانظـروا مـا لاح فـى غيـركم * تجـدوه فـيكم قـد ضـمنا

حقيقة تقييد: ظهرت فى مطلع الجود فردية الذات متحدة الصفات فـى ظلـه الممدود ومقامه المحمود ولوائه السعيد، هى ركـن الكائنـات، وعنهـا صـدرت الموجودات، فلم تزل منورة الجهات من غير جهات، معتدلة الالتفات مـن غيـر التفات حتى قابلها الحكيم بذاته عندما تعلقت إرادته بإيجاد كائناته، فأتاها من جهـة الظهر، فامتد لها ظل النهر، فكان ذلك الظل لها حقيقة لطيفة المثال محكمة الاعتدال

ارتقم فيها وجودها على التشبيه كارتقام المطلق فيها على التنزيـــه، فهـــى المثـــل الغربى، وظلها المثلى العقلى، فكان هيولى كل كائن متصل وبائن تكون منه عـــالم الدنيا والآخرة على حكم ائتلاف الطبائع المتنافرة، فمنهم من قاربها بلطافته، ومنهم من غاب عنها بكثافته، فهم فى الوصول إليها فِرَق، وكلٌّ إلى لهيب حرها مســـتبق، فأين ولا أين يتصور حيث انتبهوا، وكيفٌ وكل كافر بشيئه محترق، وكـــان الظـــل عنها ليلا غاربا، وكان انبساط نورها نهاراً متعاقبا، وهى شمس بينهما تـــدور دون ورود ولا صدور، فلما لاح لها من نفس وجودها الرئاسة قذف الحق فى ذاتها نور التدبير والسياسة، فوجهت رسول التكليف إلى اللطيف والكثيف، كلٌّ يعمـــل علـــى شاكلته وسبح كل بدرٍ فى دارة هالته، وطلعت نجوم الأعمال فى ســـماء الاعتـــدال وتوجه الشهاب على الظلال ينفرها، وتوجه الكوكب على الأنوار، يطردها، وكـــل واحد ليس يعرف سوى نفسه مدبرا وناهيا فى المملكة وآمرا ولما تعاقبـــت الغُـــدُوُّ والآصال وقد طال كل واحد منهما بحقيقته وصال جعلت بداية كل واحد منهما نهاية صاحبه، فأعرض ونأى بجانبه، فقال الكوكب: ما هذا المماس؟ وما هذه الحـــواس؟ وقال الشهاب: ما هذا المقباس؟ وما هذا النبراس؟ فاختصما دهرا طويلا وما وجدا إلى الانفصال سبيلا فارتفعا إلى شمس الوجود إلى حضرة التوحيد، وشكا كل واحد منها ضيق العطن، فقال: ما منكما عاقل فطن، هلَّا أنس كل واحد منكما لسائر العبر بصاحبه طبعا ونظرتما خفضا يقوم بالقسط ورفعا، وعلمتما أن كل واحـــد منكمـــا أصل فى سعادة أخيه، وأن حكمة هذا الوجود فيكما فتنظران فيه، أليس أحدكما أنثى والآخر ذكر، وأنتما أصل السرائر الصُّبَّر، فتناكحا بحضرة المثال، وكان الـــوالى الكبير المتعال، والسامعان الحلال والجمال، وانصرفا إلى الملك بالإنزال، وادعيـــا كمال الاسترسال، وقال الواحد: أنا سلطان الأيام، وقال الآخر أن سلطان الليـــالى، فرماهما الكبرياء بسهام الآجال، وإذا فهما طعم الهجران بعد الوصال فانعدم الإقبال حتى بقى من له الإفضال، فردى الكمال أوحدى الجلال، ثم بعد حين ترامت شمس

الحقيقة فى بساط التمكين وشفعت فيهما شفاعة مطاع عند ذى العرش مكين، فَـرُدَّا إلى وجودهما بعد المحو، وأذيقا بعد السكر حلاوة الصحو، فاستوى شهاب الأشباح على عرشه الكريم معترفا للكوكب بالفضل، واستوى كوكب الأرواح على عرشـه المجيد معترفا للشهاب بالبذل، فصح منهما الافتقار وعليه كان المدار، وجعل قوت كل واحد منهما على يدى صاحبه ماتراخت الأعمار، فهمـا يتناجيـان بالرحمـة، ويصطحبان بالحرمة، استوثقت المملكة لهما إلى يوم الجمع، وهنالك يبقى العطـاء وينعدم المنع لارتفاع التكليف، ويتصل الكثيف باللطيف، وتكون المادة على السواء فى حضرة الاستواء.

صـحت بالكوكـب المنيـر عشـاء * يـا نظيـر النـور بـدر الصـباح

يـا حبيبـى وهـل علـىَّ إذا مـا * جئتكم عـن حقيقـة مـن جنـاح

أين سـر الوصـال بـالله قـل لـى * منكما فى الطـلاق أو فـى النكـاح

عمـل هـل يصـح منـه ازدواج * بهيـامى بـالوجوه المـلاح

نكـح المغـرب الصـباح فأبـدى * رينـا عنـد ذاك نـور الصـباح

فأنـارت أرض الوجـود وأبـدت * كـل شـيء مخبـأ فـى البطـاح

ثـم غابـا عـن الوجـود زمانـا * حـين حلَّـت عسـاكر الاقتـراح

وأقامـا بربـوة المحـو حتـى * مـا أهلـت أهلـة الافتتـاح

قيـل يـا كوكبـان هُبَّـا بخيـر * كهبـوب الجنـوب بـين الريـاح

وانعمـا بالشـهود حـالا وعلمـا * واسـعيا للصـلاة عنـد الـرواح

ثـم لمـا مَـنَّ الكـريم علـيهم * باتصـال الـذوات بعـد انتـزاح

قلت ليـت الإلـه يشـرح صـدرى * بعلـوم تُنَـال دون تـلاح

جـــاءنى الكوكـــب العلـــىُّ رســـولاً * مـــن حكـــيم مهـــيمن فتـــاح
قـــال يـــا ســـائلَ الحكـــيم علومـــاً * ما عـــلا عـــالمٌ بهـــا مـــن جنـــاح
إن تكـــن تحســـن اســـتماع خطـــابى * خـــذ حبـــاك الإلـــه بالانشـــراح
فعلُ أشـــباحنا علـــى الـــروح يبـــدو * وكـــذا فعلـــه علـــى الأشـــباح
حكمـــة مهَّـــد الحكـــيم ثراهـــا * وبنـــى ســـقفها لأمـــر مبـــاح
يا أخـــى قـــم تـــرى حبيبـــك عينـــا * فـــاعلا فـــى الجســـوم والأرواح[1]

المطلع الثالث الإلهى:

الفلك التاسع الإحسانى:

هلال ارتقاب طلع بروح الإمام القطب المدبر فى برزخ الرحموت والرهبوت فأفقر وأغنى ليت شعرى هل سمع الإمام الذكى الحكيم دعائى للابن الطاهر عنـــد المشهد الكامل الظاهر وتنزهى عن كل كون، وتنعمى بملاحظة العـــين، فأنشـــدت عندما رددت بما شاهدت:

اختلسنا من كرامات الكيـــان الأبـــدى * وحبينا بمقامـــات العيـــان الأزلـــى
ورفعنا عن تكاليف الوجـــود العملـــى * بمضاهاة استواء فوق عرش فلكـــى
فرأينا من تعـــالى بـــالوجود الخلْقـــى * فى لطيف ملَكـــى وكثيـــف بشـــرى
وســـألناه بأســـرار المقـــام القدســـى * نيل ما نلناه منـــه لبـــدير الحبشـــى

وليت شعرى هل بدت لعين الإمام الذكى الطاهر الرضى حقيقتان متماثلتـــان وحقيقتان مختلفتان مع ما أجمع كثيفان حتى أجمع لطيفان، حكمة رحمان بـــرزت للعيان، درة كيان كانت فى أذهان لا يحويها زمان، ولا تعاقب هوان إلا بتصـــور برهان، أزلفت جنان سعرت نيران، كر جديدان وجد ضدان، أبدع مـــثلان تناســـل

(١) الأبيات من بحر الخفيف، ووزنها: (فاعلاتن مفاعلن فاعلاتن)، مرتين.

فريقان، برزت من غيوب امتنان الضرب الثانى وألوان أنكرت الأوثان، رُوعـت شيبان لجأت إلى الإحسان أعطيت محن إيمان، تحصنت بدرع أمان، ما اجتمع اثنان إلا ظهر النكيران، وأنزل قرآن أنكره فرقان لظهر الآن لآلئ ولدان ومنعمات حسان فى مقاصير ورد وريحان ما حجبها هذان، سجنت فى أبدان تاهت فى بلدان، ضمها عصران، هيمها أحمران تيمها أبيضان، تنعمت بالمثان نوديت يا إنســان التحـق بخسران، قالت غلمان: فاقدها ذو حرمان، أطبقت أجفان عن ملاحظة غيران رمياها فى بحران قتلت إنسان، أشارت بأجفان طاف بها غزلان فرش لها سريران، نكحها فيه سر الوجود نكاح عجلان، أثقلها فعلان وضعتهما طفلان فى الآن، نشاء منهـا إنس وجان، أنقسما بين طاعة وعصيان من صاحب البرهان إلى المنســوب إلـى عدنان ظهرت الحِكم كلها فى الإنسان.

ســر ســـر الوجـــود فـــرد بعيــد	*	عـــن نظيـــر لـــه بـــدار أمــــان
هــو علـــم فـــى أول الحـــال عــار	*	وكذا كــان فـــى الوجـــود الثـــانى
فـــانظروا فـــى الكتـــاب ســرٌ عُـــلاه	*	ثـــم تنقيضــــه بـــأى المثــــانى
يطلـــب الرشـــد والرشــاد ســـناه	*	هـــو أصـــل الكائنــــات الحســـان
إن هــــذا لهـــو العجـــاب فمهـــد	*	عقلــك القـــابض لانقـــلاب العيـــان
لو توالى أصـــل الوجـــود علـــى مـــا	*	كان فى الأصل ما التقـــى زوجـــان
ثـــم لمـــا شـــاء الحكـــيم أمـــورا	*	أيــــدتها حقـــــائق البرهــــــان
أظهـــر الضـــد والنظيـــر جميعـــا	*	بـــالعُلى والثـــرى فـــلاح اثنـــان
فتبـــدأ العلـــو بالسِّـــفل ســـراً	*	وكـــذا الســـفل للعلـــو الـــدَّانى
حكمـــة شـــاءها الحكـــيم فأبـــدت	*	كـــل ســـر بواضـــح البرهـــان

فاشـــكر الله يـــا بنـــى علـــى مـــا * أودعتـــه حقيقـــة الإنســـان[١]

معقل أُنسه: قال الحكيم العاقل ــ أيده الله تعالى: نكاح بغير صداق (مهمات إله المتعال إذا نظر فى الانفصال)[٢]. شعرٌ:

قلـــت يـــا بيضـــة الفلـــك * هـــذه الـــنفس هيـــت لـــك

أنـــا عـــرش مهيـــأ * فاســـتوى أيهـــا الملـــك

أنـــت بـــدر مكمـــل * وأنـــا درة الفلـــك

إن أتـــى النـــوع مـــن هنـــا * جـــاءه مـــن هنـــا الملـــك

عشـــت فـــى بـــرزخ المنـــى * كلمـــا شـــئت قيـــل لـــك[٣]

[٤] حقيقة الكمال، مقامه الانفعال، ذكرته الأحوال، معدنه الرجـال، سـلطانه الوصال، تهيم فى الجمال، صال جعل ببدر الريال، صاحب الرمال، سيرته غزالـة الزوال، أظهرته الليال، أخذ فى الرحال، بيع بثمن غال، صيغ منه الحجال، وتيجان الإقبال، اختلفت الأشكال، بين هلال وبدر كمال، تفيأت الظلال، حـنَّ لهـا ومـال غصن ميال، يميس فى اعتدال، داخله الانسلال، رقَّ المثال، لَطُفَ الخيـال، وجـه الإرسال، رمتهم بالنبال، لاطفها فى السؤال، بأدب الأنس والإدلال، وذات الخجـل والدلال، صب مغتال، يشكو المطَال، عَذَاب قد طال، ودمع هَطَّال، زفرة وخبال، لم يسمع له مقال احتيال، لوح لها بالمال، رثت لها فى الحـال، اشـتملت عليـه أى اشتمال، قالت له: هل يستوى الواجب والمحال، تمكن الاتصال، أصدَقَها ألف مثقال، اصطحب معها ومال، كانت له أكرم أهل ينال، حمد الله على الإفضال، ثـم أنشـد وقال:

---

(١) الأبيات من بحر الخفيف ووزنها: (فاعلاتن مفاعلن فاعلاتن) مرتين.
(٢) هكذا المخطوط.
(٣) الأبيات من بحر المتدارك ووزنه: (فاعلن فاعلن فعل) مرتين.
(٤) هذا الموضع مطموس بالأصل.

بالمـــال ينقـــاد كـــل صـــعب * مـــن عـــالم الأرض والســـماء
يحســـبه عـــالم حجابـــا * لـــم يعرفـــوا لـــذة العطـــاء
لـــولا الـــذى فـــى النفـــوس * لـــم يُجِـــب الله فـــى الـــدعاء
لا تحســـب المـــال مـــا تـــراه * مـــن عســـجد مشـــرق المرائـــى
بـــل هـــو مـــا كنـــت يـــا بنـــى * بـــه غنـــاء عـــن الســـواء
فكـــن بـــرب العُـــلاَ غنيـــاً * وعامـــل الحـــق بالوفـــاء
فـــذاك مـــال الغنـــى صـــدقاً * يزيـــل فـــى الحـــال كـــل داء[(١)]

خاتمة الكتاب:

ســـتكون خاتمـــة الكتـــاب لطيفـــة * من حضرة التوحيد فـــى علوائهـــا
تحوى وصـــايا العـــارفين وقطـــبهم * فهـــى المنـــار لســـالكى سيســـائها
مـــن كـــل نجـــم واقـــع لحقيقـــة * وأهلـــة طلعـــت بـــأُفْق ســـمائها
وأتى بها عرشا فوافـــق طـــي مـــن * متنـــزل الملكـــوت فـــى ظلمائهـــا
ليعـــرف النحريـــر قطـــب وجـــوده * ويبينـــه بـــدرا بنـــور ســـنائها
فمـــن اقتفـــى أثـــر الوصـــية إنـــه * بالحال واحد عصـــره فـــى بائهـــا
ويكـــون عنـــد فطامـــه مـــن ثـــديها * وطلابـــه الترشـــيح مـــن أمرائهـــا
هـــذى الطريقـــة أعلنـــت بعلاتهـــا * فمن السعيد يكون مـــن أبنائهـــا[(٢)]

---

(١) الأبيات من بحر البسيط.
(٢) الأبيات من بحر الكامل.

[موقع نجم الظمآن][1]:

الطمأنينة سكون القلب بالمطلوب عند اتصاله بالمحبوب، وتَقَضّى لبانات الهمم وملك ما كان القلب به متعلقا فى القدم، فطلع هلاله. شعرٌ:

قل كيف يسكن قلب لا يحيط به * وقد تيقن هذا فى تقلبه

من يطمئن إلى تحصيل فائته * فإنما فاته أعلى لمنتبه[2]

موقع نجم خشية الفؤاد: من قلة الزاد، وهول المعاد، بل هو من سوء المعاملة، مع طلب المواصلة، بل هو من الدعوى، مع التعرى عن التقوى، مطلع هلاله:

كيف يخشى فؤاد من ليس يخشى * غير محبوبه القديم ويرجو

كل قلب قد داخلته حظوظ * من كيان العلا فذا القلب ينجو

موقع نجم التوبة: قرين الحوبة علامتها الندم، مما جرى به القلم، وتعلق به العلم فى القدم، ثم أقلع فرجع، عندما سمع: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [النور: 31]، مطلع هلاله شعرٌ:

ما فاز بالتوبة إلا الذى * قد تاب منها والورى نُوَّمُ

فمن يتب أدرك مطلوبه * من توبه الناس ولا يعلم

موقع نجم الإبانة: خلع تعبد الناس لذاتك، وخروجك عن رق شهواتك، وتجردك عن ملك صفاتك، واستهلاكك فى الحق استهلاك محق من صاحب عشق، مطلع هلاله. شعرٌ:

لا ينيب الفؤاد إلا إذا ما * كان مستهزئا بذكر سواه

---

(1) ما بين المعكوفتين من المطبوعة.

(2) البيتان من بحر البسيط.

فـــإذا شـــاهد العجائــب فيـــه * لـم يكـن ذا إنابـة فـى هـواه[1]

موقع نجم الأوبة: نبوية المحتد، رسالية المشهد، نالها من ظن كرامته فتنـة، والتذ بها من شاهد عذابه منةً، مطلع هلاله:

إن قلبـــى الــــذى آب عنـــه * فهـو فـرد ومـا سـواه مثنـى

كـل قلـبٍ يـراك يـا مـن تعـالى * فحقيـــق عليــه أن يتجنَّـــى

فـــإذا مـــا دنـــا إليـــك يعـــزى * وإذا مـــا دنـــوت منـــه تهنـــى

موقع نجم التوحيد: أصل الأشياء وإليه يرجع الأمر كله، فكل صاحب مقام، أو صاحب صفة، أو صاحب نعت، أو صاحب رسم، لا يقف على توحيده فى ذلك المعنى القائم به فهو مخدوع فى مقامه؛ فمنه المبدأ وليس له مبدأ وله فى كل صفة ومعنىً بدايةٌ وتوسطٌ وغايةٌ، فبدايته علمه رسماً، وتوسطه علمه حالاً، وغايتـه ألا يعلم أصلاً، مطلع هلاله:

الــرب حـــق والعبـــد حـــق * يـا ليـت شـعرى مـن المكلـف

إن قلـت عبـد فـذاك ميْـت * أو قلـت رب أنـى يكلـف؟

موقع نجم الأعمال: لها درجات ظاهرة وباطنة، فالظاهرة لأصحاب الرسوم وهم أهل الجنان، والباطنة لأصحاب الهمم وهم أهل الرحمة فمن فـتح لـه مـن أصحاب الرسوم كانت غايته الهمة، ومن فتح له من أصحاب الهمم كانـت غايتـه اللقاء والإلقاء له ومنه؛ فصاحب الهمة سالك وصاحب الإلقـاء مالـك ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ﴾ [الإسراء: ٢٠]، والرياء

---

(١) البيتان من بحر الخفيف، ووزنه: (فاعلاتن مفاعلن فاعلاتن)، مرتين.

سبب الدعوى[1] فمن لا دعوى له لا رياء لــه ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦].

عمـــــل الهمـــــة اعـــــتلا[2] * فـــــوق رســـــم المـــــدبرة

وكـــــذا الرســـــم غايـــــة * للبـــــرور المـــــدبرة

غايـــــة الرســـــم همـــــةٌ * مصـــــطفاةٌ مطهـــــرة

ولهـــــا غايـــــة علـــــت * بـــــالوجوه المنضـــــرة

موقع نجم العبيد: وصول العبيد إلى الحق فى توحيدهم على حســب حســن ظنونهم، فمن اعتنى به حتى صيَّر ظنه علما فهو الرسول والنبى وبعض الأولياء، ومن تُرك مع ظنه بلغه حيث ظن لقوله تعالى: «**أنا عند ظن عبدى بى**»[3].

دع الظـــــن إن للظـــــن آفـــــة * وقوفك حيث الظن والظـــن مـــتهم

فشـــرد وســـاوس الظنـــون بلمحـــة * من الكوكب العلمى إن كنت تحتـــرم

فـــلا ظـــن إلا مـــا يقـــال بقطعـــه * وإلا فنـــار للجهالـــة تضـــطرم[4]

موقع نجم المشيئة: إرادة الحق سبحانه وهى صفة قديمة اتصفت بها ذاتـــه كعلمه وقدرته وكلامه وسائر صفاته، ويسمى متعلَّقها المراد، فمن تعلقت بهدايتـــه إرادة الحق أزلاً يُسِّرت أسبابه وطُوِى له الطريق وحُمل علـــى الجـــادة والمحجـــة البيضاء، ووهب سر تدبير نفسه، وحُبِّبَ إليه كل شيء ونعم به، ولا يمقت إلا مـــا

---

(١) الدَّعوى: إضافة النفس إليها ما ليس لها، قال سهل بن عبد الله: أغلظ حجاب بـــين العبـــد وبين الله الدعوى. المعجم الصوفى.

(٢) بالقصر للممدود.

(٣) طرف من حديث قدسى تمامه: ".. إن خيرا فخير، وإن شرا فشر" أى: إن ظن خيرا فهـــو خير، وعكسه.

(٤) الأبيات من بحر الطويل، ووزنها: (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن)، مرتين.

مقته الله تعالى أدباً شرعيا، فهذه حالة المراد وهو المعبر عنهـا بالعنايـة، ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس: ٢]، مطلع هلاله:

أنـا إن شـئتَ شـئتُ منـك وإلا * أنا إن شئتُ شاء مـن لا يشـاء[1]
عجبـاً شـئتُ والمشـيئة غيـرى * ثـم إن لـم أشـأ فلسـتَ تشـاء
بـل أنـا صـاحب المشـيئة فـاعلم * ومشـيء بهـا وذات المشـاء
كيـف شـاءت مشـيئة المتلاشـى * ولها الحكـم إن يشـاء والقضـاء
بمشيء المشيء حيث شاءت فأبـدت * كل شـيء يصـح فيـه المشـاء
كـل مـن شـاء بـالوجود يشـاء * ولـه المجـد فـى العُـلا والثنـاء
عـدم شـاءِ والوجـود بصـير * عميت عـين كـل مـن لا يشـاء

موقع نجم المراد والمريد[2]: سِيَّانِ[3] على الحقيقة فـى تعلـق إرادة الحـق بهدايتهما غير أن المراد سالك الطريق بالتنعم والمشاهدة ملتذ بأفعاله نشيط الـنفس بالقيام بحدود سيده، يتنعم بالبلاء تنعم الأحباب بالنعماء ويصبر على البلاء رجـاء حصول النعماء، والمريد يسلك الطريق بالمجاهدة الشاقة علـى الـنفس والمكابـدة والتنغيص، يحمل على نفسه القيام بحدوده ويصبر على الـبلاء رجـاء حصـول النعماء، فكم بين نفس تحملك على الطاعة لا لالتذاذها بجذب الحق لها وبين نفـس

---

(١) قوله: (شئت) فى الأولى بفتح التاء، والثانية بضمها، وكذا الثالثة. ومعنى البيت: أنا يا ربِّ إن شئت بى شيئا فأنا تبعا لذلك أرضاه ويكون من جملة مرادى، وإن لم أرضَ بـذلك فلـن أستطيع أن أغير مشيئتك بى، فأنت الذى لك الحكم والفصل والمشيئة.

(٢) المريد: من انقطع إلى الله تعالى عن نظر واستبصار، وتجرد عن إرادته؛ إذ علم أنه ما يقع فى الوجود إلا ما يريده الله تعالى، لا ما يريده غيره، فيمحو إرادته، فلا يريد إلا ما يريـده الحق. المعجم الصوفى.

(٣) أى: هما سيان باعتبار ما هو تعلق الإرادة بهدايتهما.

تحملها على الطاعة بغاية الجهد والكد وهى تروغ عنها روغان الثعلب، فصـــاحبها فى مجاهدة لا يفتر: مطلع هلاله:

إن المـــراد مـــع المريـــد مُطَالــبٌ * بــدلائل التحقيــق فــى دعواهمـــا

فــإذا جهلــت الأمــر فــى حاليهمـــا * فدليل ما قـــالوه فـــى تقواهمـــا[١]

موقع نجم التقوى: كل عمل يقيك من النار، وإذا وقاك من النار وقاك مـــن الحجاب، وإذا وقاك من الحجاب شاهدت العزيز الوهاب.

مـــن اتقـــى الكـــون فـــذاك الـــذى * قـــد ســـاء ظنـــا بالـــذى أوجـــده

فمـــن يشـــاهد مـــا رمزنـــا لـــه * فليتـــقِ الله الـــذى أشـــهده

موقع نجم الموحّد: إذا اعترض أهلكته الحقيقة، وإذا سلم أهلكه الأدب، فـــلا يزال هالكا مادام فى الدنيا ولكن إذا كان ولابد فهلاك الحقيقة نجاة، وهـــلاك الأدب هلاك، فكن ذا أدب تفز بالسعادات، ومطلع هلاله:

لا تعتـــرض فعلـــه إن كنـــت ذا أدب * واضمم إليك جناحيـــك مـــن الرهـــب

وسلم الأمـــر مـــا لـــم تَبْـــدُ فاحشـــةٌ * فإن بدت فاحذر التـــدريج فـــى الأدب

ولا تغرنـــــك أرواح محيـــــرة * من عند ربـــك إن السِّـــلم كـــالحرب

إن الـــذى قـــال إن الفعـــل مصـــدره * من قدرتى ذمـــه كالشـــرك والكـــذب

فاهرب إلى فعلـــه مـــن فعلـــه فـــإذا * ما غبت عن فعله فاحذر من السلب[٢]

موقع نجم الخلاف بين أهل الحقائق[٣] والكشف[١] والوصول[٢]: غير جـــائز عليهم وهو جائز على السالكين، والمخالفة إنما تقع من الأدنى فالأدنى، ومثاله فـــى

---

(١) الأبيات من بحر الكامل.
(٢) الأبيات من بحر البسيط، ووزنها: (مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن)، مرتين.
(٣) الحقيقة: هى إقامة العبد فى محل الوصال إلى الله، ووقوف سره على محل التنزيه، وقيل: الحقيقة سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه، بأنه الفاعل بك فيك منك لا أنت.

السالكين أنهم يسلكون على طريق واحد يعنى يفتقرون منه إلى نور يســـعى بــين أيديهم ليروا حيث يجعلون أقدامهم وما يبدو لهم فى طريقهم، وذلك النور هو التخلق على طبقاتهم، فمنهم صاحب فتيلة، ومنهم شمعة، ومنهم صاحب كوكب، وصاحب قمر، وصاحب بدر، وصاحب شمس، فعلى قدر نور كل واحد يكون كشفه لما يكون فى طريقه، فقد يقول من سلك بنور القمر: "رأيت فى طريقى كذا وكذا" على قدر ما كشف له نوره، فيقول له صاحب السراج: "قد دخلت ذلك الطريق وما رأيت شـــيئا مما ذكرت إلا بعضه"، فلو تناصف صاحب السراج معه لقال له: "بم دخلته"؟ فـــإذا قال: "بالقمر" اعترف بكماله عليه وقال: أنا صاحب سراج فكوشفت[٣] علـــى قـــدر نورى. والشيوخ ــ رضى الله عنهم ــ مكملون فى مقاماتهم الذوقية ومكملون فـــى مكاشافاتهم الغيبية، فهم يسلمون لمن فوقهم على الكشف فى دعواه، فـــإذا ســـمعت بينهم خلافا فابحث عليه تجده فى اللفظ والمعانى متحققةٌ ليس فيها خلاف، مثال ذلك مسألة تداولت بينهم فيها خلاف عنهم كبير وليس بخلاف، وهى بين العلم والمعرفة، فقال بعضهم: العالم فوق العارف، وقال بعضهم: العارف فوق العالم، فاترك هـــذا اللفظ وانظر إلى المعانى التى إذا قامت بشخص سماه هذا عارفا تجدها بعينها هـــى التى سماها هذا الآخر علما والمتصف بها عالما، فاختلفـــا فـــى التســـمية لا فـــى المعانى[٤]، وكذلك مسألة الحال[٥] بينهم، منهم من قال بدوامها، ومنهم من منع ذلك، وهكذا ــ رضى الله عنهم ــ جميع ما ينسب إليهم من الخلاف على هذا الحد، وذلك أن مقامهم يعطى ذلك؛ إذ هم أهل الجمع والوجود والرحمة الاختصاصية، قـــال الله

---

(١) الكشف: الاطلاع على ما وراء الحجاب ــ بإذن الله ــ من المعانى الغيبية والأمور الحقيقية وجودا أو شهودا.

(٢) الوصول (الوصل): هو فناء العبد بأوصافه فى أوصاف الحق، وقد يعبر به عـــن قيوميـــة الحق للأشياء، المعجم الصوفى.

(٣) فى المخطوط: (فكشفت)، والمثبت الصحيح.

(٤) وهذا ما يسمى بـــ "الخلاف اللفظى"، وهو الذى لا يترتب عليه أثر فى العمل.

(٥) سبق التعرض لتعريف "الحال" فى كلامهم.

تعالى فى الأجانب: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [هود: ١١٨]، ثم استثنى هذه العصبة الكريمة بقولـه: ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَالِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هـود: ١١٩]، يعنى: "كلٌّ ميسَّرٌ لما خلق له".

كيــف يكــون الخــلاف فــى بشــر * تميــزوا فــى العــلا عــن البشــر

فهــم ذوو رحمـــة علـــى نظــر * مســـدد فـــى تخـــالف الصـــور

ونعمـــة لا تـــزال تصـــحبهم * ليســوا ذوى مريـــة ولا ضــــرر

موقع نجم ترجيح الشيوخ بعضهم على بعض: حرام على التلامذة، والـــذى يؤدى إلى هذا فضول قلة الشغل بما يُغنى، وتضييع الوقت، فلو وقف عند قوله ﷺ: «**من حسن إيمان المرء تركه ما لا يعنيه**» فالمريد إذا لم يشتغل بنفسه عن غيـــره فهو فى إرادته مخدوع، والعارف إذا لم يعرف بمناسبة نفسه مع ربــه فهـــو فـــى معرفته مخدوع، والعالم إذا لم ينعدم فهو فى علمه مخدوع، والحكيم إذا لم يرتب فى حكمته مخدوع. مطلع هلاله:

مـــن يشـــتغل بالـــذى قـــد ألزمــــه * فـــى وقتــه ربــه فلـــيس هنـــاك

فــــذاك أنـــــه مـــــدع بحالتـــــه * يمقـــت أضـــداده ولـــيس بـــذاك

موقع نجم الحزن حلية الأدباء: فرضى الله عن المحزون، فليتنى أرى مـــن رأى محزونا، يا أيها المحزون طوبى لك ثم طوبى، أنت والله الســـعيد، أنـــت والله صاحب التحقيق، أنت والله خليل الصديق، ليت الله يمن علىَّ به من خزائن جـــوده، للحزن مخازن لا يعطى منها شيئًا إلا الصديق مجتبـــى الحـــزين عـــارف بقـــدره الحزين، هو العارف الحزين، هو الوارث الحزين، سر الله فى أرضه الحـــزن، إذا فقد من القلب خَرِبَ، يا مخدوع، تظن أنك فى الحاصل وأنت فى الفائت! يا مسكين مثلى ألست تعلم أن الذى فاتك أكثر مما حصل لك؟ فبأى شيء تفـــرح؟ صـــاحب

الأمن والبشرى فى هذه الدار يحزن على التقصير فى شكر هذه النعمة مع أنه يرى تولى الحق له فى نفسه شكره وهو عرىٌّ عن ذلك ناظر بعين التوحيد والأدب، أنت أنت وهو هو، وإذا كان صاحب الأمن بهذه الحالة فما ظنك بالخائف الذى لا يعرف على ما يُقْدِم؟ طوبى لمن كان شعاره الحزن، طوبى لمن كان دثاره الحزن وطعامه الحزن وشرابه الحزن، به يلتذ الصديقون والنبيون، الحزن جماع الخيـــر كلـــه، إذا أحب الله عبدا ألقى له نائحة فى قلبه، من لم يذق طعم الحزن لم يذق لـــذة العبـــادة على أنواعها، فلا يغرنك يا بنى ما تسمع من قول صديق متمكن أن الحزن مقـــام نازل، فليس يريد ﷺ صاحب التحقيق ما يتخيله بعض المتطفلين على الطريقة، فإن الحزن تابع للمحزون، مثل العلم تابع للمعلوم فيتضع باتضاعه ويرتفع بارتفاعـــه، هَبْكَ أقامك الحق فى أعلى المقامات التى ينتهى إليها أعلى الموجودات، هل فاتـــك شيء أم لا إما من جهة احترامها لعلوها أو من جهة أخرى فوق هذا؟ ألست تجـــد الحزن إن كنت مكملا غير محجوب بمشاهدتك وإن حجبك ذلك المقـــام فأنـــت ذو نقص، فليت الله يمن على قلبى بلطيف الحزن ودقيق الشجو، إنه سميع مجيد، مطلع هلاله:

حـــــزن الفـــــؤاد أدبــــــه * ودينـــــــــه ومذهبـــــــــــه

إن جئتـــــــــه وجدتـــــــــه * أمـــــــراً عســـــيراً مركبـــــه

وكـــــــل مـــــــن يشـــــغله * مقامـــــــــه لا يطلبـــــــــه

فصول الوصية السنية

فصلٌ: الصحبة نتيجة البسط ولا يقوى عليها إلا الأقوياء من الرجال الذين لا تغيرهم الأحوال، وحدُّها ألا يقبل من صاحبه إلا ما يقبل من ربه تعالى، فـــإن لـــم يفعل فقد خانه فى الصحة، فإن شرطها النصيحة، وأدبها كف جفاك عـــن خليلـــك

وتحمل جفاه، ولها مراتب بحسب الأحوال، فإن كان فوقك فاصحبه بالحرمـــة، وإن كان كُفْأك فاصحبه بالوفاء، وإن كان دونك فاصحبه بالرحمـــة، وإن كـــان عالمـــا فاصحبه بالخدمة والتعظيم، وإن كان جاهلا فاصحبه بالسياســـة، وإن كـــان غنيـــا فاصحبه بالزهد، وإن كان فقيرا فاصحبه بالجود، وإن كان صوفيا فاصحبه بالتسليم، واعلم أن صحبة الجليل سبحانه أولى من صحبة الخليل؛ فإن الجليل تعالى يحفظك والخليل تحفظه، الجليل يعطيك والخليل تعطيه، الجليل يحملـــك والخليـــل تحملـــه، الجليل يتولاك والخليل تتولاه، الجليل يكون لك حيث تريد والخليل يريد أن تكون له حيث يريد، وعلامة مَنْ آثر صحبة مولاه: ألا يأنس بسواه، وأن يقف عند ما أمره ونهاه، وأن يعامل الخلق برحماه، وأن يوالى من والاه ويعادى من عاداه ولو كـــان ابنه وأباه، ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة: ٢٢] مِنَّةً.

مَـــنْ صَـــاحَبَ الحـــقَّ لا يبـــالى * مِـــنْ ذلـــة المنـــع والســـؤال
مَـــنْ طَعِـــمَ الهجـــرَ فـــى هـــواه * أذاقـــه لـــــذة الوصـــــال[1]

من الحكمة توقير الكبير ورحمة الصغير ومخاطبة الناس باللين، وإذا لقيـــت أحداً فالقه بالبشاشة، وإن لم تقدر عليها فالقه بما تدوم عليه من الخير لـــئلا تتغيـــر أحوالك فى التقصير بطول المجالسة فيتغير عليك، فربما يؤذيك فاحذر.

فصـــلٌ: أنصت لحديث الجليس، فإن كان هجرا فانصحه فـــى الله تعـــالى إن علمت منه القبول بألطف النصح وإلا فأعتذر فى الانفصال، وإن كان ما جـــاء بـــه حسناً فحسن الاستماع ولا تقطع عليه حديثه، واشخص بالنظر إليه مادام محدثاً لك

---

(١) البيتان من بحر الوسيط، ووزنه: (مستفعلن فاعلن فعولن)، مرتين.

وإن كان ما يأتى به ليس بعظيم الفائدة؛ فإن لكل أحد عند نفسه قدرا، خرّج عقلك بأدب كل زمان.

فصلٌ: عليك بالتواضع واعلم أنه سر من أسرار الله تعالى المخزونة عنده الذى لا يهبه على الكمال إلا لنبى أو صديق، فليس كل تواضع تواضعا، وهو من أعلى مقامات الطريق وآخر مقام ينتهى إليه رجال الله، وحقيقته العلم بعبودية النفس، ولا يصح مع العبودية رئاسة لأنها ضد، ولهذا قال المشايخ – رضى الله عنهم: "آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرئاسة"، ولا تكون إلا مع الجهل، وقال عيسى عليه السلام لأصحابه: "أين تنبت الحبة؟" قالوا: فى الأرض، فقال عليه السلام: "كذلك الحكمة لا تنبت إلا فى قلب مثل الأرض"، يشير إلى التواضع، وإلى هذه الإشارة أشار سيد البشر ﷺ، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، والينابيع لا تكون إلا فى الأرض وهو موضع نبع الماء، ولا تظن أن هذا التواضع الظاهر على أكثر الناس وعلى بعض الصالحين تواضعا، فليس بتواضع وإنما هو تملُّق لسبب غاب عنك، وكلٌّ يتملق على قدر مطلوبه والمطلوب منه[1]، والتواضع شريف لا يُتَصَوَّر عليه كل أحد، فإنه موقوف على صاحب التمكين فى العلم والتحقق فى التخلق.

فصلٌ: وعليك بالزهد، فإنها صفة شريفة إذا قامت بشخص على الكمال حالت بينه وبين رؤية الأكوان، وشرطه ألا يحنَّ إلى ما زهد فيه، وأدبه ألا يذم المزهود فيه لكونه من جملة أفعال الله تعالى، وليشغل نفسه بمن زهد من أجله؛ فإنه إذا اشتغل بذلك تولاه الحق بالحضور معه فى بساط الأنس به فى كل ما يطرأ من تفاصيل الكون، وقد يختبر يوما ما ليُعَرَّف بمنة الله تعالى عليه فى تولِّيه إياه بأخذه

(١) فمن طلبة العلم والمشايخ والصالحين بل والرؤساء من يتواضع للناس بسكون الهيئة وقلة الحركة وهدوء النفس طلبا للمكانة فى قلوبهم وليوصف بأنه من أهل ما يدعيه من علمٍ أو صلاح أو رعايةٍ للرعية، وغير ذلك، عافانى الله والمسلمين من ذلك.

مما يتنافس فيه القلب المحجوب، فإذا لم يلتفت لذلك الأمر العارض عرف حينئذ منة الله تعالى عليه وعنايته به فيزيد شكرا ورغبة عما زهد فيه.

فصـــلٌ: لا تلق أحداً إلا بما ينشطه إليك، ووازنه فى عقله تأمنه، قال بعـــض الحكماء: "عاشروا الناس معاشرةً" إن متم بكوا عليكم، وإن غبتم حنُّوا إليكم".

فصلٌ: ليس فى المذاهب أشرف من مذهبك لتعلقك بالله تعالى، فلا تنتم لمذهب أحد سواه فإنه أشرف المذاهب، واستمر على حالتك، والزم الاعتدال فإنه طريــق الرجال.

فصلٌ: الوقت هدية الله إليك فخذ فائدته، وهو راجع إليه راحلٌ عنــك فزيِّنْــهُ بالتقوى والعمل الصالح وإلا كان حسرة عليك. إذا فاز غيرك به فاسمع لا يحجبنك مدح المادحين لك عن معرفتك بنفسك. السياسة رأس الحكمة فالزمها.

فصلٌ: لا تصحب أحداً إلا من ترى معه الزيادة فى دينك، فإن نقص فاهرب منه هربك من الأسد بل أشد؛ فإن الأسد يهدم دنياك ويعطيك الدرجات[1]، والقــرين السوء يحرمك الدنيا والآخرة. الورع فى المنطق من الحكمة[2] وهل يكب النــاس على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم؟

فصلٌ: لا تجلس فى طريق المسلمين، فإن اضطررت وغلبتك النفس فغـض البصر، وأرشد الضال، وأعن الضعيف، وأمط الأذى، وردّ السلام، ولا تقعد وأنت تقابل دار أخيك، وتورَّعْ فى مشيك على الطريق وقعودك، وذلك ألا تمســك مــن الطريق إلا قدر ذاتك، ووسِّعْ على الناس فى طريقهم؛ فإنه ليس لــك إلا موضــع قدميك إن كنت واقفا، ولقد حدثنى أبو عبد الله محمد بن عبــد الكــريم: أن بعــض المتورعين أتى بقلتين، فأوقفه بعض الناس فى كلام طويل فأقعدَ القلتين على وجوه رجليه.

---

(١) لما أنه إذا افترسه مات مأجورا.
(٢) والحكمة: وضع الأمور فى مواضعها.

فصـــلٌ: احترام الشيوخ واجب، ومن احترامهم ألا تلبس ثيابهم ولا تقعد فـــى مكانهم ولا ينكح المريد امرأة شيخه إن طلقها أو مات عنها(١)، ولا يرد فى وجوههم كلاما، ويبادر لامتثال ما يقولونه، ومن احترامهم تعظيم من عظموه، فعظِّــم مَــنْ عظمه شيخك واتَّلمذ له أن قدمه عليك، وإن كنت أعلم منـــه فـــإن الشـــيخ أعلـــم بالمصالح لك منك، ولا يحجبنك ما ترى من نقصه عن تقديم الشـــيخ لـــه عليـــك وتقريبه.

فصلٌ: إذا رأيت المساجد فلا تأتها إلى طاهرا بنية احترامها ورفعهـــا وقـــدِّم اليمين فى الدخول وأخِّرْها فى الخروج، واركع عند دخولك ركعتين، وإن استطعت أن تكون أول داخل وآخر خارج فافعل، وإذا سلمت سلِّمْ على كل عبد صالح فـــى السماء والأرض من ذلك المقام يرد عليك، ولا تقل هجراً ولا فحشاً، ولا تـــدخلها للنوم ولا للراحة إن كان لك عوض منه(٢)، فإن اتخذته بيتك وليس لك ســـواه فـــلا بأس.

فصلٌ: كما يحرم عليك فى صلاتك التوجه لغير القبلة إذا عرفتها، وإن فعلت بطلت صلاتك، كذلك يحرم عليك التوجه بقلبك لغير الله من دار وأهل ودكان ومال، وكما يحرم عليك أن تتلو غير كلامه تعالى كذلك يحرم عليك أن تناجى فى قلبـــك غيره أو تشاهده إلى أمثال هذا فالزم الأدب؛ فإنه لا يقبل لك من صـــلاتك إلا مـــا عقلت(٣).

---

(١) وهذا من حيث الأدب الذى هو من أوجب الواجبات عند من بصره الله بهذا فى حق أولياء الله تعالى، وقد يعرض الرجل عن زواج امرأة أخيك بعد موتك محبةً وأدباً وصيانةً، مـــع أن هذا الأمر مباح فى الشريعة، فما بالنا بشيخ الإنسان الذى هو قائده إلى الهدايـــة ومخرجـــه من الجهل والظلمة إلى العلم والنور.

(٢) أى: إن كان لك مكان للراحة والنوم سوى المسجد.

(٣) ففى الحديث: "ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها".

فصلٌ: العاقل كلامه وراء قلبه، فإذا أراد أن يتكلم به أَمَرَّه على قلبه فينظـر فيه فإن كان له أمضاه وإن كان عليه أمسك، والأحمق كلامه على طرف لسـانه، وعقله في حجره، إذا قام سقط، روى عن أنس بن مالك ﷺ قال: "من عدَّ كلامه من عمله قلَّ كلامه". التزِمْ أربعةً: "الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، وسـلامة الصـدر، وخدمة الفقراء، وكن مع كل أحد على نفسك".

فصلٌ: الورع رأس الدين، وهو من صفات المحققين، قال بعض الصوفية: "ما رأيت عليَّ أسهل من الورع، كلما حاك له في نفسي شيء تركته"(١)، أشـار إلـى الزهد. الإرادة ترك الإرادة. رؤية التوكل نقص التسليم(٢) التوحيـد. السـخي مـن تسخى بنفسه على العالم، النفس هدية العبد إلى الله تعالى.

من ظـن أن طريـق أربـاب العـلا * قـولٌ فجهـل حائـل وتعـذر

إن السـبيل علـى الإلـه عنايـة * منـه بمـن قـد شـاءه وتعـززّ

لا يرتضـى بحقيقـة ذو غِـرَّة * إلا إذا ضـم السـنابل يَبْـدُرُ

الحـال يطلبـه بسـر مقامـه * فمـن ادعـاه فحالـه لـك يشـهر

يتخيـل المسـكين أن علومهـا * مـا بـين أوراق الكتـاب تسـطر

هيهات بل ما أودعـوا فـى كتـبهم * إلا يسـيرا مـن أمـور تعسـر

لا تقـرأ الأقـوام غيـر نفوسـهم * فى حالهم مع ربهـم هـل تحضـر

فترى الـدخيل يقـيس فيـه برأيـه * لِيُقَـال هـذا مـنهم فيكبـر

وتناقضـت أقوالـه إذ لـم تكـن * عـن حـالهم فيمـا تقـدم تخبـر

علـم الطريقـة لا يُنـال براحـة * ومقـايس فاجهـد لعلـك تظفـر

(١) وفى الحديث: "الإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس"، وفى الحـديث: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك".

(٢) لفظة غير واضحة فى هذا الموضع من المخطوط.

عزت علوم القــوم عــن إدراك مــن * لــم تعتريــه صــبابة وتحيُّــر
وتـــنفس ممـــا يحـــن وأنـــةٌ * وهــوىً يزيــد وعبــرة لا تفتــر
وتدلـــةٌ وتولُـــةٌ فـــى غيبـــةٍ * وتلـــذذٌ بمشـــاهد لا تظهـــر
وتقـــبضٌ عنـــد الشـــهود وغيـــرةٌ * أن قام شــخص بالشــريعة يســخر
وتخشـــع وتفجـــع وتســـرع * بتشـــرع لله لا يتغيـــر
هـــذا مقـــام القـــوم أو حـــالاتهم * ليسوا كمن قـال الشـريعة مزجـر
ثـــم ادعـــى أن الحقيقـــة خالفـــت * ما الشرع جاء بـــه ولكـــن يســتر
تبـــاً لهـــا مـــن قالـــةٍ مـــن جاحـــدٍ * ويـــلٌ لـــه يـــوم الجحـــيم يســـعر
أو مَنْ يُشَاهد فى المســاجد مطرقــا * ليقـــال هـــذا عابـــد يتفكـــر
هـــذا امـــروٌ لا يســـتلذ براحـــةٍ * فـــى نفســـه إلا ســـويعة ينظـــر
لكنـــه مـــن ذاك أســـعد حالـــة * وله النعـيم إذ الجهـول يقطـر[1]

مواقع النجوم الفرقانية: ختمنا بها الكتاب تبركا وتيمنا بكلام الحى القيوم جل جلاله ووصية لعباده فى محكم تنزيله، فاسع يا بنى جهدك فـــى الوقـــوف عنـــدما أوصاك به الحق سبحانه فى كتابه تكن من السعداء فى الـــدارين ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإســـراء: ٢٣ ــ ٢٤]، ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ

(١) الأبيات من بحر الكامل، ووزنه: (متفاعلن متفاعلن متفاعلن) مرتين.

ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٩]،وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبـذيرا، ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسـراء: ٣٢]، ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإسراء: ٣١]، ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الإسـراء: ٣٤]، ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الإسراء: ٣٣]، ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ﴾ [الإسراء: ٣٤]، ﴿ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾ [الإسراء: ٣٥]، ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسـراء: ٣٦]، ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [الإسـراء: ٣٧]، ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص: ٢٦]، ﴿ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأٓخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [القصـص: ٧٦ ـ ٧٧]، ﴿ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [هـود: ٨٥]، ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ [لقمـان: ١٨]، ﴿ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾ [لقمـان: ١٩]، ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعـام: ١٥٣]، ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ

ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٨٣]، ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ [لقمان: ١٧]، ﴿ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡ ﴾ [النساء: ١٠٧]، ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا ﴾ [الكهف: ٢٨]، ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡ ﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ ﴾ [الزمر: ١٤]، ﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ ﴾ [الفرقان: ٥٧]، ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [الزمر: ٥٤]، و﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ﴾ [العنكبوت: ١٦]، ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ [الحج: ٧٨]، ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءً فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنًا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ﴾ [آل عمران: ١٣٠]، ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ [البقرة: ١٦٨]، ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ ﴾ [الحشر: ١٩]، ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ

أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الإســـراء: ٧٢]، ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [الـــــــــنجم: ٣٢]، ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [النســـاء: ٣٦]، ﴿ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [المائـــدة: ٨]، ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنفـــــال: ٤٧]، ﴿ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾ [النســـاء: ٥]، ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ١٣١] إلى أمثال هذه الآيات الواقعة فـى القرآن التى أوصى الله بها عباده وأوضح لهم بها السبيل الموصل إليه، قال العبـد الفقير إلى رحمة ربه: انتهى الإلقاء الإلهى والإلهام الربانى والروحانى، وقد علـم كل قلب مشربه، وأخذ كل سر مطلبه، ووصلت الأعضاء بالإنضاء[1] إلى حضـرة التقريب والارتضاء من غير تناهٍ ولا انقضاء، وصلى الله علـى السـيد الطـاهر المعصوم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الدرة البيضاء موصلنا إلى نيـل هـذه المقامات العلية القدسية بالتسليم والتفويض لموارد القضاء، والحمد لله رب العالمين، قال مؤلف هذا الكتاب الشريف رحمه الله تعالى ورضى عنه وأعاد علينا بركاتـه وبركات علومه فى الدنيا والآخرة فى فتوحاته فى باب الطهارة: إن هـذا الكتـاب الموسوم "بمواقع النجوم" إنه قيده فى أحد عشر يوماً فى رمضان بالمرية سنة خمس وتسعين وخمسمائة، يغنى عن الأستاذ بل الأستاذ محتاج إليه، فإن الأستاذ مَنْ فهـم العالى والأعلى، وهذا كتاب على أعلى مقامات يكون الأستاذ عليها ولـيس وراءه

(١) أى: بالفناء فى طاعة مولاها، من قولك: "نضيت الثـوب"؛ أى: أبليتـه. انظـر القـاموس المحيط.

مقام فى هذه الشريعة التى تُعبِّدْنا فيها، فمن حصل لديه فليعتمد بتوفيق الله عليه فإنه عظيم المنفعة، وما جعلنى أن أعرفك بمنزلته إلا أنى رأيت الحق تعالى فى النـــوم مرتين وهو يقول لى: "انصح عبادى"، وهذا من أكبر نصيحة نصحتك فيهـــا، والله الموفق وبيده الهداية وليس لنا من الأمر شيء، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآلـــه وصحبته وسلم تسليما دائما أبدا إلى يوم الدين، والحمد لله رب العـــالمين، [وكـــان الفراغ من تعليقه نهار السبت خامس شهر رجب الفرد سنة سبعة وألف، والحمد لله على ذلك](١).




(١) ما بين المعكوفتين من كلام الناسخ.

فهرست الموضوعات

تم بحمد الله تعالى